حياة ابن عُمَر

محمود شلبي

حياة ابن عمر

(لو شهدتُ لأحدٍ أنّه من أهل الجنّة
لشهدتُ لعبدِ اللهِ بن عُمَر)

«سعيد بن المسيّب»

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الاهداء

اللهم... منك... وإليك

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين...

والصلاة والسلام على سيد المرسلين...

وبعد...

هذا كتاب عن «حياة ابن عُمر»... فماذا تعرف عن عبدالله بن عمر بن الخطّاب؟!

هل هو قمة من قمم أصحاب رسول الله... ﷺ؟!

هل هو قد اخذ من صفات أبيه الشيء الكثير؟!

لماذا لم يزاحم قُرَيْشًا على الخلافة وقد كان أهلًا لها؟!

ما هو مذهبه وموقفه من صراعات الفتنة الكبرى؟!

لماذا آثر الحياد في أكبر خلاف نشأ في الأُمَّة؟!

هل كان فقيهًا؟!

هل كان مُتَّبعًا لآثار النبيّ ﷺ؟!

كم رَوَى عن النبيّ ﷺ... وكم رُوِي عنه؟!

ماذا عن حياته من مولده حتى مماته؟!

كل أولئك... وغيره كثير... كان في هذا الكتاب مسطورًا.

محمود شلبي

مَنْ . . .
أبوه . . . ؟!

إنَّه عُمَر!!!

فمَن عُمَر هذا؟!!

هل تعرفه؟!!

وكيف لا أعرفه.. وقد عرفه أهل السماء... قبل أهل الأرض؟!!

الفاروق؟!!

مَن عجزت النساء أن يلدن مِثْله!!!

أغرودة الدنيا.. وأعجوبة الزمان!!!

عُمَر؟!!!

مَن عمَر؟!!!

ليس بمستطاع الحديث عن مناقبه... وفضائله... وعجائبه... ولكن... خُذْ شيئًا قليلًا منها... تحية له... وذكرى!!!

فإن قال قائل: وما لنا وعُمر بن الخطاب ونحن في أمر «عبدالله بن عمر»؟!

قلنا: الولد سرّ أبيه... فمن الحتم أن نذكر عُمَر... لنعلم مدى تأثير عظمة الوالد على ولده!!!

عُمَر ...
صَاحب رسول الله[1] !!!

(١) سيأتي فيما بعد أنّ ابن عمر أسلم مع أبيه عمر بن الخطاب!

من الشعب!

نشأ عمر نشأة شعبية، ذاق مرارة الحياة، وشظف العيش، واكتوى بنار آلامها.

لم يكن أبوه «الخطاب» من وجوه قريش، ولا من رؤسائها، وكان رجلًا فظًا، غليظًا، يكلفه رعي إبله.

فكان يتعبه إذا عمل، ويضربه إذا قصر!

شخصية!

كان قويًا، شديدًا، لا واهنًا، ولا ضعيفًا.

إذا مشى أسرع، ووطئ الأرض وطئًا شديدًا.

وكان جهوري الصوت.

وكان يصيح الصيحة، فيكاد من يسمعها يصعق ويغشى عليه!.

رأت امرأة فتيانًا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدًا. فقالت: ما هذا؟

قالوا: نسّاك.

قالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو الناسك حقًا.

فارس؟

وكان إذا هم بركوب فرسه، أخذ باذن الفرس، وأخذ أذنه بيده الأخرى، ثم نزا على متن الفرس، فكأنما خُلِق على ظهره!.

ثم عداه عدوًا شديدًا.

قال أبو مسعود الأنصاري: كنا جلوسًا في نادينا، فأقبل رجل على فرسه يركضه، يجري حتى كاد يوطئنا، فارتعنا لذلك، وقمنا، فإذا عمر بن الخطاب!.

قلنا: فمن بعدك يا أمير المؤمنين؟!.

قال: وما أنكرتم؟ وجدت خفة، فأخذت فرسًا، فركضته؟!.

وهذا هو الصنف من الرجال الذي يحبه الله.

إن الله يريد فرسانًا، يحملون هذه الفكرة، المسماة بالإسلام، على اكتافهم، ويطيرون بها في الآفاق.

ولا يصلح لحمل رسالة الإسلام إلا من كان هكذا!.

ولقد عاش عمر خمسًا وستين سنة، أمضى منها ثلاثين سنة في جاهلية.

شباب؟!

عاش عمر شبابه، كما كان يعيش أقرانه في الجاهلية... متاع... لهو... فروسية... فراغ.

كان فارسًا، يشاهد دائماً على صهوة جواده.

وكان مصارعًا، يصرع أصحابه، ويغلبهم...

وكان تاجرًا، بارعًا في فنون التجارة...

وكان قارئًا، يقرأ الكتاب، فكانت قراءاته تجعله ممتازًا في تفكيره...

ومن هنا كان عمر قبل إسلامه، خبيرًا بالحياة في شرورها، حتى إذا جاءت ساعة الصفر من حياته، دخل إلى الإسلام دخول الخبير بألاعيب الأشرار، فاكتملت بذلك شخصيته، وتوازنت عبقريته.

ساعة الصفر؟!

اجتمعت قريش... فقالوا: أي رجل يقتل محمدًا؟

فقال عمر بن الخطاب: أنا لها.

فقالوا: أنت لها يا عمر.

فخرج في يوم شديد الحر، متوشحًا سيفه، يريد رسول الله ﷺ، ونفرا من أصحابه، اجتمعوا في دار الأرقم، في أسفل الصفا.

فلقيه نعيم بن النحام، فقال: أين تريد يا عمر؟

قال: أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسب آلهتها، فأقتله!.

قال له نعيم: لبئس الممشى مشيت يا عمر، ولقد والله غرتك نفسك من نفسك.. أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟!

فتحاورا حتى علت أصواتهما، فقال عمر: إني لأظنك صبوت، ولو أعلم ذلك لبدأت بك!

فلما رأى النحام أنه غير منته قال. فإني أخبرك أن أهلك وأهل ختنك قد أسلموا وتركوك، وما أنت عليه من ضلالتك!

قال عمر: وأيهم؟

قال: ختنك، وابن عمك، وأختك.

فلما سمع عمر أن أخته، وزوجها، قد أسلما، احتمله الغضب، فذهب إليهما.

فلما قرع الباب قالوا: من هذا؟

قال: ابن الخطاب.

وكانوا يقرءون كتابًا في أيديهم، فلما سمعوا حس عمر قاموا مبادرين، فاختبؤوا، ونسوا الصحيفة على حالها.

فلما دخل ورأته أخته، عرفت الشر في وجهه، فخبأت الصحيفة تحت فخذها..

قال عمر: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟. وكانوا يقرءون (طه) فقالا: ما عدا حديثًا تحدثناه بيننا.

قال: فلعلكما قد صبوتما؟

فقال له ختنه: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟.

فوثب عمر على ختنه سعيد، وبطش بلحيته، فتواثبا، وكان عمر قوياً شديداً، فضرب بسعيد الأرض، ووطئه وطأ، ثم جلس على صدره.

فجاءت أخته، فدفعته عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمي وجهها!.

فقالت وهي تمضي: يا عدو الله، أتضربني على أن أوحد الله؟

قال: نعم.

قالت: ما كنت فاعلًا فافعل، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لقد أسلمنا، على رغم أنفك!.

فلما سمعها عمر ندم، وقام عن صدر زوجها، فقعد، ثم قال: أعطوني هذه الصحيفة التي عندكم فأقرأها.

وكان عمر يقرأ الكتاب.

فقالت أخته: لا أفعل.

قال: ويحك، قد وقع في قلبي ما قلت، فأعطنيها أنظر إليها، وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت.

قالت: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم، فاغتسل أو توضأ.

فخرج عمر ليغتسل.

وخرج إليها خباب فقال: أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر؟!
قالت: نعم.. إني أرجو أن يهدي الله أخي..

فدخل خباب البيت... وجاء عمر.. فدفعت إليه الصحيفة، وكان فيها (طه) وسور أخرى، فرأى فيها: «بسم الله الرحمٰن الرحيم».. فلما مر بالرحمٰن الرحيم ذعر، فألقى الصحيفة من يده، ثم رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها: ﴿سَبَّح لله ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ★ له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ★ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم... الخ﴾[١].

فجعل كلما مر باسم من أسماء الله ذعر.

وكان في الصحيفة أيضًا سورة (طه) و﴿إذا الشمس كورت﴾[٢]

فقرأ: ﴿طه ★ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ★ إلا تذكرة لمن يخشى ★ تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى ★ الرحمن على العرش استوى ★ له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ★ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾[٣].

فعظمت في صدره، فقال: من هذا فرت قريش؟!

ثم قرأ...

فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ★ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ★ فلا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾[٤]

(١) سورة الحديد، الآيات ١ – ٣.
(٢) سورة التكوير، الآية ١.
(٣) سورة طه، الآيات ١ – ٨.
(٤) سورة طه، الآيات ١٤ – ١٦.

قال: ينبغي لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره... دلوني على محمد.

فلما سمع خباب قول عمر، خرج من البيت، فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ يوم الاثنين: اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب.

قال: دلوني على مكان رسول الله.

فلما عرفوا منه الصدق.. قالوا: هو في أسفل الصفا.

فأخذ عمر سيفه، فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ، وأصحابه، فضرب عليهم الباب.

فلما سمعوا صوته وجلوا... وكان حمزة، وطلحة على الباب والنبي ﷺ داخل يوحى إليه..

ولم يجترئ أحد منهم أن يفتح له، لما قد علموا من شدته على رسول الله ﷺ.

فلما رأى حمزة وجل القوم، قال: ما لكم؟

قالوا: عمر بن الخطاب!

قال: عمر بن الخطاب؟! افتحوا له، فإن يرد الله به خيرًا يسلم، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينًا.

ففتحوا له، وأخذ حمزة، ورجل آخر بعضديه حتى أدخلاه على رسول الله ﷺ.

فقال: أرسلوه..

فأرسلوه..

فنهض ﷺ فأخذ بمجامع ثوبه، وحمائل سيفه، فنهره نهرة، فما تمالك عمر أن وقع على ركبتيه، وقد ارتعد من هيبته ﷺ.

فقال له: ما أنت بمنته يا عمر، حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟

(أي الخزي والنكال).

ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم أهد قلبه.

فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله!.

فكبر المسلمون تكبيرة واحدة، سمعت في طرق مكة!.

... وكانت هذه هي ساعة الصفر، في حياة عمر... واللحظة الخالدة من شخصيته. لحظة تم فيها الانقلاب، ونفذت فيها الثورة.

انتقل بعدها من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين.. ومن يومها.. وعمر يتمدد في التاريخ، موجات من النور، تفصل بين الحق والباطل، وتضيء للعالمين!.

الفاروق؟

وقال عمر: يا رسول الله، ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟

قال ﷺ: بلى.. والذي نفسي بيده، إنكم على الحق، إن متم وإن حييتم.

قال: ففيم الاختفاء؟.. والذي بعثك بالحق لتخرجن..

وأذن رسول الله بالاعلان.. وخرج ﷺ في صفين...

عمر في أحدهما... وحمزة في الآخر.. يثور الغبار من مشيهم.. حتى دخل المسجد!

فنظرت قريش إلى عمر، وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم تصبهم قط.

وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق!.

لقد كانت مظاهرة صامتة... أريد بها إعلان الحق... رغم أنف أعدائه!..

يتحدى الجميع وحده؟!

واشتد إيذاء الكفار للمسلمين، فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى المدينة في استخفاء...

فكانوا يخرجون لذلك أفرادًا وجماعات، مستخفين عن أعين الكافرين...

إلا عمر!!..

فإنه لما هم بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهمًا، واختصر عصاه التي كانت كالرمح الصغير، ومضى قبل الكعبة.. والملأ من قريش بفنائها.

فطاف بالبيت سبعًا متمكنًا، ثم أتى المقام فصلى...

ثم وقف على الحلق، واحدة واحدة.. فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس... من أراد أن يثكل أمه، أو يوتم ولده أو يرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي!.

فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين، علمهم ما أرشدهم، ثم مضى لوجهه!..

وتحدى عمر مكة كلها... بل الدنيا كلها... وقامت بنفسه قوة خارقة تريد أن تصارع أهل الباطل جميعًا مرة واحدة..

إلا أنهم جميعًا تراجعوا أمامه، وجبنوا عن لقائه!!

ومن يوم أن هبط عمر المدينة، واستقر المسلمون فيها، وأسسوا الدولة الجديدة في ربوعها.. أخذ عمر مكانه الممتاز إلى جوار رسول الله ﷺ.

فكان دائمًا الرجل الثاني في الدولة بعد أبي بكر...

لو أَمَّرْتَ عُمر؟

عن ابن عمر قال: لما اشتد بالنبي ﷺ المرض، قيل له في الصلاة. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق القلب، وإنه إذا قام في مقامك لا يكاد يسمع الناس من البكاء، فلو أمرت عمر؟.

فقال: مروا أبا بكر فليصل.

فعاودته فقال: مروه فليصل فإنكن صواحب يوسف.

أي إنكن تحسن للرجل ما لا يجوز. وتغلبن على رأيه.

ثم توفي رسول الله ﷺ... ولم تقو أعصاب عمر على احتمال الصدمة، فكذب بالخبر، فلما علم من أبي بكر أنه الحق، خر صعقًا.

إنه لم يستطع أن يتصور أن هذا كان آخر عهده بالنبيّ الذي أحبه من أعماق فؤاده!

عُمَر...
وزير أبي بَكر؟!

حزم!

.. أفاق عمر من غشيته.. على يقين أن رسول الله ﷺ قد مات..

وعاد إليه عقله سريعًا، فكان أول ما فكر فيه، هو من يتولى أمر هذه الدولة بعد رسول الله؟.

وأسرع عمر يشق طريقه خلال المجتمعين بالمسجد، يتحدثون في وفاة رسول الله، وسار حتى أتى أبا عبيدة بن الجراح، فقال له: أبسطْ يدك أبايعك، فأنت أمين هذه الأمة على لسان رسول الله.

قال أبو عبيدة: «ما رأيت لك فهة (سقطة) قبلها منذ أسلمت! أتبايعني وفيكم الصديق وثاني اثنين؟!»

وجاء الخبر أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن تكون الإمارة على المسلمين لهم.

فأرسل عمر إلى أبي بكر في بيت عائشة ليخرج إليه.

إنه قد حدث أمر؟

ورد أبو بكر الرسول يقول: «إني مشتغل».

لكن عمر رأى أمر المسلمين أخطر من أن يترك لحظة أو يشغل عنه شاغل ولو كان جهاز رسول الله.

فبعث كرة أخرى يقول لأبي بكر: « إنه قد حدث أمر لا بد لك من حضوره ».

وخرج أبو بكر يسأل أي أمر يمكن أن يصرفه عن جهاز رسول الله؟.

قال عمر: «أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير؟»

وأحس أبو بكر خطورة الموقف، فأسرع، ومعه عمر وأبو عبيدة، يريدون السقيفة.

إذا يقتلك الله!

فلما بلغوها تولى أبو بكر مجادلة الأنصار في حزم ورفق.

أما عمر فأقام إلى جانبه ينتظر ما يصير إليه الأمر.

فلما رأى الحباب بن المنذر يحرض الأنصار ليثوروا إن لم يكن منهم أمير ومن المهاجرين أمير، قام فقال: « هيهات ألا يجتمع اثنان في قرن!. والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم! ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم!. ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة؟! ».

ورد الحباب يطلب إلى الأنصار إجلاء المهاجرين عن المدينة أو يتولوا عليهم الأمر! ثم وجه الحديث إلى المهاجرين الثلاثة يقول: «أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة».

فصاح به عمر: « إذًا يقتلك الله! ».

ورد الحباب: « بل إياك يقتل! ».

هذا عمر

فتدخل أبو عبيدة في الأمر، ووجه الحديث إلى أهل المدينة: «يا معشر الأنصار! كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر».

وهدأت النفوس قليلًا، وعاد المجتمعون يتجادلون بالحجة، وانضم بشير بن سعد، من زعماء الخزرج إلى المهاجرين، فشق كلمة الأنصار.

ورأى أبو بكر أن الأمر قد استوى، وأن اللحظة لحظة الفصل، فقام يدعو الأنصار إلى الجماعة، ويحذرهم الفرقة.

ثم أخذ بيد كل من عمر، وأبي عبيدة، ونادى: «هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا!».

إن أبا بكر يرشح للخلافة عمر أو أبا عبيدة، فمن يقع عليه الاختيار؟.

ولكن الناس اختلفوا.. ورأى عمر ذلك، فقام فنادى بصوته الجهوري: «ابسط يدك يا أبا بكر!».

قضي الأمر.. وفصل عمر في القضية..

وبسط أبو بكر يده، فبايعه عمر، وهو يقول: «ألم يأمر النبي أن تصلي أنت يا أبا بكر بالمسلمين؟!. فأنت خليفة رسول الله، فنحن نبايعك لنبايع خير من أحب رسول الله منا جميعًا».

وهكذا أيد عمر رأيه بالحجج العقلية التي اقتبسها من واقع الحياة.

وبايع أبو عبيدة أبا بكر وهو يقول: «إنك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، أفضل دين المسلمين. فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك؟!».

وتتابع أهل السقيفة، فبايعوا أبا بكر، مجمعين لم يند عنهم إلا سعد بن عبادة.

وكان هذا أول موقف لعمر إثر وفاة رسول الله ﷺ. حسم به الخلاف، واندفعت من بعده تلك الأمة لتملك الأرض شرقًا وغربًا.

وأدى أبو بكر لعمر حقه، فاصطفاه وزيرًا، يشير عليه، كما كان يشير على رسول الله ﷺ.

سئل أبو بكر مرة: لسنا ندري من الأمير، أنت أم هو (يعني عمر)؟.

فقال أبو بكر: هو، ولكنه أبى!!

إنهم يدرءون التهمة عن أنفسهم، كأنما رئاسة الدولة تهمة يفرون منها؟!.

القضية العظمى؟!

ثم كان ذلك الموقف الخالد من أبي بكر.. حين أرادت قبائل عبس وذبيان، القريبتين من المدينة، أن تمنعا الزكاة.

رأى أبو بكر أن يقاتلهم، ودفع حجة مخالفيه بقوله: «والله لو منعوني عقالًا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه!».

وكان عمر من هؤلاء المخالفين، القائلين بموادعة من أرادوا منع الزكاة، والاستعانة بهم على المرتدين.

وكان عنيفًا في رأيه.. وجه الكلام إلى الصديق في حدّة، يقول: «كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فمن قالها عصم مني ماله ودمه، إلا بحقها، وحسابهم على الله؟!».

وأجاب أبو بكر على اعتراض عمر بقوله: «والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، وقد قال: «إلا بحقها»».

قال عمر: «والله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق».

وسارت جيوش المسلمين تحارب المرتدين، وتسجل نصرًا بعد نصر، وابن الخطاب مقيم إلى جانب الخليفة يشير عليه بالرأي ويدبر وإياه سياسة الدولة!

كأنه لم يقع بينهما خلاف، وإنما تطاوع عمر لأبي بكر، وعاونه أكبر المعاونة في حروبه!

ثم نعود إلى قضيتنا العظمى.. قضية المال.. نسأل: لماذا رأى عمر ألا يقاتل مانعي الزكاة؟.

لعله كان يجتهد رأيه، وينظر إلى عموم المسألة، فهؤلاء يمكن استخدامهم مؤقتًا في القضاء على المرتدين.

رأي سياسي لا بأس به.

ولكن أبا بكر كان أعمق فهمًا لحقيقة الإسلام، وأوسع مدى في إدراك القضية في عمومها.

كان يرى أن التهاون في أخذ الزكاة فيه قضاء على الدين كله من أساسه والقضاء على الدولة الناشئة قضاء تامًا.

ذلك أن الجماهير الجائعة في الدولة لا يهمها من أمر الدولة إلا أن تسد جوعها، أو تملأ بطنها، ولا يهمها أمر الدولة بعد ذلك في شيء.

ذلك شأن الجماهير دائمًا، أهم شيء في تقديرها هو الحياة المعيشية، هل هي مكفولة مأمونة، أم ليست ذلك؟

فإن رأت الحكم يوفر لها معيشتها، ومطالب حياتها، أثنت عليه خيرًا، ومضت تؤيده بكل قواها، وإن رأت غير ذلك لعنت الحكم والقائمين عليه، وعارضته بكل قواها.

وأبو بكر كرجل مسئول يعلم ذلك فلا بد له من اقتلاع الفتنة من جذورها.

ثم هذا الدين، كيف يقوم بغير عدالة اجتماعية؟.

وكيف تكون العدالة قائمة ما لم يأخذ الفقراء حقهم من الأغنياء؟

وكان الحق مع أبي بكر، ووقف وقفته التي انحنى لها التاريخ.

وأدرك عمر على الفور، أن ذلك هو الحق، واندفع يؤيده بكل ما علم عنه من اندفاع.

عمر يرى معاقبة خالد؟

قضى خالد بن الوليد على الردة في بني أسد، وانتقل من منازلهم إلى البطاح يقضي على الردة في بني تميم، فقتل زعيمهم مالك بن نويرة، وتزوج من امرأته، مخالفًا بذلك تقاليد العرب إذ كانوا يجتنبون النساء في الحرب.

وجاء الخبر إلى المدينة، وذهب عمر إلى أبي بكر غاضبًا، واندفع يقول: «إن في سيف خالد رهقًا، وحق عليه أن يقيده».

ولم يكن أبو بكر يقيد من عماله.

فقال حين ألح عمر عليه: «هبه يا عمر تأول فاخطأ فارفع لسانك عن خالد!».

فلم يقتنع عمر بما سمع، وأخذ يطالب في الحاح بعزل خالد.

حتى ضاق أبو بكر بالحاحه، فقال له: «لا يا عمر. ما كنت لأشيم سيفا سله الله على الكافرين!».

فما كان من عمر، إلا أن ذهب يطالب بشتى الوسائل بعزل خالد، حتى استدعى أبو بكر خالدًا إلى المدينة.

وظن عمر أن أبا بكر سيعزل خالدًا.. ولكن أبا بكر عنفه.. ثم أمره أن يسير إلى محاربة بقية المرتدين!.

إنّي أرى أن تجمع القرآن!

.. وكانت معركة اليمامة، تلك التي قتل فيها أربعون ألفًا من المرتدة، وألف ومائتان من أصحاب رسول الله.. كان منهم جمع عظيم من حفظة كتاب الله.

فكر عمر في الأمر.. وذهب سريعًا إلى أبي بكر، وقال: «إن القتل قد

استحر بقراء القرآن يوم اليمامة، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها. فيذهب قرآن كثير. وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن».

ودهش أبو بكر، وقال: «كيف أفعل شيئًا، لم يفعله رسول الله ﷺ ؟!».

إلا أن عمر، كان يرى رأيًا غير رأي الصديق، فأيد رأيه بالحجة إثر الحجة حتى أقنعه.

ودعا أبو بكر زيد بن ثابت.. وأمره أن يجمع القرآن!.

فما دلالة الواقعة؟

دلالتها أن عمر، أثبت مرة أخرى أن حرية الرأي لا تأتي إلا بخير.

فلو أن عمر كان من أولئك الأتقياء، الذي يعيشون في رعب من عذاب النار، وينعزلون عن الحياة شيئًا فشيئًا حتى يصابوا بالتحجر والجمود.. لو أنه كان من هؤلاء الموتى ما استطاع أن يفكر، ولا أن يرى ذلك الرأي العظيم، ولحرمت الأمة إلى يوم القيامة تلك النعمة.

ولكنها الحرية، حرية القلب الذي آمن بالله، فاندفع يفكر في كل ما فيه خير للأمة.

وجمع القرآن كما رأى عمر، وبقي فينا أثرًا من آثار حرية الرأي عند عمر.

ويرى فتح الشام!

ثم تمضي حرية الرأي بعمر إلى أبعد امتداداتها..

أصبح يومًا أبو بكر، فدعا إليه أهل الرأي، وعمر في مقدمتهم. وذكر لهم أن رسول الله، عول أن يصرف همته إلى الشام.. «والعرب بنو أم وأب. وقد أردت أن استنفرهم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيدًا،

وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عـن الدين، مستوجبًا عند الله عز وجل ثواب المجاهدين».

وطلب إليهم رأيهم في ذلك، فكان عمر بن الخطاب أسبقهم إلى إجابته.

قال عمر: «والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه. قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله ان يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصاب الله بك سبل الرشاد. سرب إليهم الخيل في اثر الخيل، وابعث الرجال تتبعها الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله عز وجل ناصر دينه، ومقر الإسلام وأهله، ومنجز ما وعد رسوله».

وبهت الحاضرون...

وعاد أبو بكر يدعوهم إلى التجهز، فسكتوا...

كيف يخرج بضعة آلاف من العرب إلى امبراطورية الروم بمقدراتها وجبروتها وأعدادها؟

إن أبا بكر يطلب إليهم مستحيلًا!!

عمر يصيح بالجماهير؟

فما كان من عمر إلا أن صاح فيهم «ما لكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله إذا دعاكم لما يحييكم؟!».

وكانت صيحـة... قضـت على الخوف الكـامـن في النفـوس... فـرضي الحاضرون بالجهاد، وانطلقوا يتأهبون!.

ونسأل الآن.. أفي القتال حياة؟!

نعم... وبلغة العصر الحديث: كل الحياة... والحروب سبب تقـدم البشريـة.

فكيف إذا كان ذلك القتال، انتصاراً للحق، وإعلاء لدين الله؟

إنه إذا الخير العظيم، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون!

ذلك أن الأمة المقاتلة، تأخذ بأسباب القوة.

القوة في الأجسام، القوة في الإنتاج، القوة في التسلح، القوة في العلم... وهذه أسباب تحيي الأمة. وتنشر فيها دوافع الحياة.

الشعب يختار عمر؟

استبان الموت لأبي بكر، فخاف أن يترك الناس بلا خليفة، فيكون يوم كيوم السقيفة.

فجمع الناس، لم يشغله مرضه وألمه عن الاهتمام بأمرهم.

فنزع بيعته من أعناقهم، وكلفهم أن ينتخبوا غيره للخلافة.

قال لهم: إنه قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلا ميتًا لما بي من المرض، وقد أطلق الله ايمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فأمروا عليكم من أحببتم فإنكم إن أمرتم في حياة مني، كان أجدر ألا تختلفوا بعدي.

فذهبوا، وتشاوروا، وبحثوا، فلم يتفقوا على أحد.

فرجعوا إليه، فوكلوه أن يختار لهم.

قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

وبدأ استشاراته، وجعل يدعو أصحاب الرأي، وكبار الصحابة، واحدًا بعد واحد.

فدعا أولًا عبد الرحمن بن عوف، فقال له: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟.

فقال له: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني.

فقال له: وإن!

فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان، فقال له مثل ذلك.

فقال: علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله.

فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك.

ثم شاور سعيد بنْ زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار.

فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

معارضة!؟

إلا أن بعض الصحابة سمع بذلك، ممن لا يرى انتخاب عمر فدخلوا على أبي بكر، وقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك، إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته، وهو إذا ولي كان أفظ وأغلظ؟!

إن هناك معارضة... وإن كانت قليلة... ترى غير رأي الأغلبية الساحقة.

فماذا كان موقف أبي بكر؟

هل سارع إلى اعتقالهم، أو اتهامهم بالخيانة، أو حتى نظر إليهم نظرة ريبة؟

كلا.. وإنما قال: أجلسوني.

فلما جلس، قال: أبالله تخوفوني؟ خاب من تزود من أمركم بظلم. أقول: اللهم إني قد استخلفت على أهلك خير أهلك.

ثم قال للمعارض أبلغ عني ما قلت لك مَن وراءك.

قرار خطير

ثم اضطجع، ودعا بعثمان، وأملى عليه قرارًا هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة. في آخر عهده بالدنيا، خارجًا منها، وأول عهده بالآخرة، داخلًا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلف عليكم بعدي..»

وأخذته غشية، فذهب به قبل أن يسمي أحدًا.

فكتب عثمان: «عمر بن الخطاب».

ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ عليَّ ما كتبت.

فقرأ عليه ذكر عمر.

فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك، فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيرًا والله إن كنت لها لأهلًا.

ثم أمره أن يكتب تتمة الكتاب: «فاسمعوا وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا. فإن عدل فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾(١) والسلام عليكم ورحمة الله».

ثم أمره فختم الكتاب، وخرج به مختومًا، ومعه عمر، وأسيد بن الحضير، وأسيد بن سعية القرظي.

فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟.

قالوا: نعم.

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

فإنه عمر!

ـ وفي رواية ـ إن أبا بكر أشرف على الناس من كوّته، فقال: يا أيها الناس إني قد عهدت عهدًا، أفترضونه؟

فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله.

فقام عليّ فقال: لا نرضى إلا أن يكـون عمر.

قال: فإنه عمر.

فأقروا بذلك جميعًا، ورضوا به، ثم بايعوا.

وانشرح أبو بكر صدرًا، فرفع يديه فقال «اللهم إني لم أرد إلا صلاحهم. وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم، وأقواهم عليه، وأحرصهم على ما أرشدهم.

«وقد حضرني مـن أمـرك مـا حضر، فـاخلفني فيهـم، فهـم عبـادك، ونواصيهم بيدك.

«وأصلح لهم من أمرهم، واجعله من خلفائك الراشدين. يتبع هدى نبي الرحمة. وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته».

عُمَر . . .
أمير المؤمنين ؟ !

اللهم إني غليظ!

فرغ عمر من دفن أبي بكر، بعد منتصف الليل، لإحدى وعشرين ليلة خلت من جمادى الآخرة، للسنة الثالثة عشرة من الهجرة.

فلما كان الظهر، وازدحم الناس للصلاة، صعد المنبر، ثم قال: «أيها الناس، ما أنا إلا رجل منكم، ولولا أني كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت أمركم».

ثم توجه بنظره إلى السماء وقال: «اللهم إني غليظ فليِّنِّي، اللهم إني ضعيف فقوني، اللهم إني بخيل فسخني!».

ثم سكت قليلًا.. ثم قال: «إن الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي. فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والأمانة. ولئن احسنوا لأحسنن إليهم، ولئن أساءوا لأنكلن بهم».

تهديد باستعمال القوة!

وخرج عمر إلى الناس بالمسجد في اليوم الثالث، فلما فرغوا من بيعته قام فيهم، فقال: «إنما مثل العرب مثل جمل أنف (ذلول) اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده. أما أنا، فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق.

ودوى هدير عمر في المدينة، كما يدوي هدير الموج في الآفاق.

وأحس عمر آثار قوله في وجوه الناس، فصعد المنبر حين ازدحموا لصلاة الظهر فقال: « بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي، وقالوا: قد كان يشتد علينا ورسول الله بين أظهرنا، ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟!

« ومن قال ذلك فقد صدق».

« ... إنني كنت من رسول الله، فكنت عبده وخادمه، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا. فكنت بين يديه سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني، فأمضي. فلم أزل مع رسول الله حتى توفاه الله، وهو عني راض! والحمد لله على ذلك كثيرًا، وأنا به أسعد.

« ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر، فكان من لا تنكرون دعته وكرمه ولينه، فكنت خادمه وعونه، أخلط شدتي بلينه، فأكون سيفًا مسلولًا حتى يغمدني أو يدعني فأمضي. فلم ازل معه كذلك حتى قبضه الله عز وجل وهو عني راض. فالحمد لله على ذلك كثيرًا، وأنا به أسعد.

« ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين.

« فأما أهل السلامة، والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض.

« ولست أدع أحدًا، يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق.

« وإني بعد شدتي تلك، اضع خدي على الأرض، لأهل العفاف، وأهل الكفاف.

« ولكم عليَّ أيها الناس خصال، أذكرها لكم ، فخذوني بها.

لكم علي ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم، إلا من وجهه.

« ولكم عليَّ إذا وقع في يدي، ألا يخرج مني إلا في حقه.

« ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم، وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم.

« ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك، ولا أجمركم[1].

« وإذا غبتم في البعوث، فأنا أبو العيال.

« فاتقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفها عني.

« وأعينوني على نفسي، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة، فيما ولاني الله من أمركم ».

يا ويل من يظلم بعد الآن.. يا ويل من يتعدى على أحد بعد اليوم!!! إن عمر له بالمرصاد.. لقد قام في الدنيا عملاق الحق... عمر بن الخطاب!

وكان إنذارًا... أعجب إنذار!.

الحقّ المسلح!؟

وكان من قوله في تلك الخطبة الخالدة: « ولست أدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر، حتى يذعن بالحق. وإني بعد شدتي تلك، أضع خدي على الأرض، لأهل العفاف وأهل الكفاف!!

إن عمر يعلن ـ وإعلانه الحق الواقع ـ أنه لن يدع أحدًا يظلم أحدًا، أو يتعدى عليه. فهل حدث هذا فعلًا في عهد عمر؟

نعم.. فما شهدت الأرض عدلًا مثل عدله، وما ظلم أحد في عهده، وعلم ذلك عنه، إلا رد إليه حقه!

---

(١) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهلهم.

ثم انظر إلى تصوير عمر للحالة التي ينوي إحداثها في كل ظالم.. «حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر»... غاية الإذلال للظالم، إنه سيطرحه أرضًا، خده على الأرض، وقدم عمر فوق خده الآخر؟

وغاية الشدة والبأس... حتى متى؟.. حتى يذعن بالحق.

جبار على الظالمين، جبار على المعتدين.. هذا هو عمر.. إلا أنه على النقيض.. مع أهل العفاف، وأهل الكفاف.

إنه يضع خده على الأرض لصنفين، أهل العفاف والكفاف فمن هم هؤلاء؟

هم الذين يعفون عما بأيدي الناس، ولا يظلمون أحدًا.

وهم الذين حياتهم كفافٌ، اي بالكاد يجدون ما به يستمرون في حياتهم، فلا فضل مال عندهم، ولا شيء يزيد عن حاجتهم.

إن الكفاف هو ما كف عن الحاجة والسؤال.

وهذا أصل عظيم في عدالة عمر.. ونقول عظيمًا لأنه كان امرًا نافذًا طول حياته وحكمه.. طبقه، وأخذ الناس به، واشتهر عنه.

ثم ماذا قال عمر؟

«لكم عليَّ ألا أجتبي شيئًا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه».

أي لا يجوز للدولة أن تدخل شيئًا من حرام إلى خزانتها، لأن الإسلام يفرض عليها أن يكون مالـها مكتسبًا من حلال.

ثم ماذا؟... «ولكم عليَّ إذا وقع في يدي ألا يخرج مني إلا في حقه».

فلسفة المصروفات في ميزانية الدولة عند عمر... فلسفة الإنفاق... لا يخرج مني إلا في حقه... لا يجوز أن تنفق الدولة شيئًا إلا في حقه.

ولو أن الباحثين في الاقتصاد أرادوا أصولًا عامة، يهتدون بها في وضع الميزانيات، ما وجدوا خيرًا مما وضعه عمر، وأعلنـه منذ أربعة عشر قرنًا أمام الجماهير.

لا يحصل مال إلا من وجهه، ولا يخرج منه إلا في وجهه.

قضي الأمر، ونطق عمر بفصل الخطاب!

فالميزانية في الإسلام ليست مجرد إيرادات تجمع مما هب ودب، لا تفريق فيها بين حلال أو حرام وإنما هي أموال طيبة، ليس فيها شيء يحرمه الله.

وكذلك المصروفات، هي أموال طيبة تنفق في وجوه الخير التي أحلها الله وشرعها.

رفع مستوى المعيشة!

ثم ماذا؟.. «ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم، وأرزاقكم».

إن لكل مواطن على الدولة حقًا ثابتًا... أن أزيد مهاياكم وأجوركم... أن أزيد وسائل الربح لكل إنسان.

عمر يقرر أن الدولة ملزمة تجاه الشعب، ومفروض عليها أن تزيد مهايا الأفراد وأجورهم، وأن تزيد لهم أرزاقهم عمومًا، تفتح فرصًا جديدة للعمل، تفتح فرصًا جديدة للربح!.

الدفاع عن الدولة!

ثم يمضي عمر في بيان سياسته العامة فيقول: «وأسد ثغوركم»... الدولة مسئولة أمام الشعب عن صيانة حدودها، وتوزيع الجيوش على الثغور، دفاعًا عن كيانها، وجعلها على أعلى درجة من القدرة على الضرب والحركة.

ثم يقول: «ولكم عليَّ ألا ألقيكم في المهالك» ليس من حقّه أن تكون الجيوش ألعوبة في يده، يعبث بها كيف يشاء، ويغامر بها في مغامرات طائشة... وللدولة أن تمنعه من إساءة استعمال القوة التي بيده.

التربية قبل السياسة؟!

وفي زحمة الألفاظ السياسية البحتة، يتحول عمر إلى التربية... فيقول: «ولا أجركم في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال»!

لماذا يعد عمر الجماهير ألا يحبس الضباط والجنود طويلًا في مواقعهم التي فيها يعسكرون؟.

لأن غياب المقاتل طويلًا عن بيته، فيه ما فيه من احتمال الفساد.. فمن الخير أن يعود بعد قليل إلى منزله، لينظر أحواله، ويأنس إلى أهله. ثم يعود إلى القتال.

مبدأ خالد شرعه عمر، ما زالت الدنيا تنظر إليه في إعجاب وإكبار!

ثم يعلن المربي العظيم مبدأ أخطر وأخطر حين يقول «فإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال»...

ومعنى «أنا» هنا، أي الدولة، لأن عمر يتكلم بصفته رئيسًا للدولة.

الدولة تحل محل الأب في الأسرة، في حالة غيابه، دفاعًا عنها، ونشرًا لدين الله.. أو بسبب الموت، أو غير ذلك.

فهي مسئولة عن الأسرة مسئولية الأب عنها. تنفق على الأسرة كما كان الأب ينفق عليها.

وتحافظ على مقدساتها، وحرماتها، كما كان الأب يحافظ عليها.

وتعطف على أبنائها، كما كان الأب يعطف عليها!

عزل القائد العام للقوات المسلحة!

ما إن تولى عمر الخلافة، حتى سارع إلى عزل خالد بن الوليد، قائد عام القوات الإسلامية المسلحة، وسيف الله المسلول، والرجل الذي تعلقت الجماهير بانتصاراته الخارقة!.

لماذا هذا؟

لأن عمر يريد أن تتعلق قلوب الناس بالله، لا بخالد بن الوليد!

والجماهير دائمًا وأبدًا تلتف حول الفاتح الميمون، وتكثر من نسج الخيالات في شأنه.

ولقد أوتي خالد بن الوليد من يمن الانتصارات، وعظمة الفتوحات، ما جعله حديثًا في فم الزمان، وأغنية على لسان الجماهير.

ومعنى هذا أن الجماهير قد اقتنعت بخالد، ونسبوا النصر إليه ونسوا الله، الذي هو الناصر الحق، الذي بيده الأمر.

وحين تتعارض الأمور، يقف عمر فورًا إلى جانب الحق، ليبطل الباطل.

هذا هو الوجه من قضية عزل خالد، فإن عمر لا يرى لشيء فضلًا إلا لله، ولا نصرًا إلا من الله، ولا عزاً إلا من الله... فإذا تسببت انتصارات خالد، أن تنسب الجماهير النصر إليه، فمعنى هذا أن التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ قد أصيب في نفوس الناس، وأنهم بدءوا يرتبطون بالأسباب، ولا يرتبطون بالله... وهذا أخطر داء تصاب به الجماهير، ويحرمها من تأييد الله.

ذلك هو الوجه الذي نظر إليه عمر حين رأى أن يعزل خالدًا، ويؤمر مكانه أبا عبيدة بن الجراح، بمجرد توليه للخلافة بعد أبي بكر.

وقد كتب عمر منشورًا يذاع في الأمصار والبلدان يوضح هذه الحقيقة للجماهير، وذكر فيه أنه لم يعزل خالدًا عن سخطة ولا عن خيانة، ولكن الناس فتنوا به، فخشي أن يوكلوا إليه ويبتلوا، فأحب أن يعلموا أن الله هو الصانع، وأن لا يكونوا عرضة للفتنة به، وينسبوا النصر إليه، وما النصر إلا من عند الله.

وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، غداة قبض أبو بكر، يخبره بوفاة الخليفة.

ثم كتب بعزل خالد، وتولية أبي عبيدة إمارة الجيش مكانه.

وأن يكون خالد أمير اللواء الذي كان أبو عبيدة أميره.

أمير المؤمنين؟

كان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله، فلما استخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله.

فقال المسلمون: فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله؟ فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء.

فبعث إليه عامل العراق، لبيد بن ربيعة العامري، وعدي بن حاتم الطائي، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد، فإذا هما بعمرو بن العاص فقالا له: استأذن لنا على أمير المؤمنين.

فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه، نحن المؤمنون وهو أميرنا.

فوثب فدخل على عمر، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ما بدا لك في هذا الاسم؟

قال: إن لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم قدما فأناخا وقالا لي: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فهما والله أصابا إسمك، أنت الأمير ونحن المؤمنون.

فجرى الكتاب بذلك.

ومن يومئذ لم يدع أحد عمر خليفة خليفة رسول الله، بل دعاه الناس جميعًا «أمير المؤمنين».

وبقي هذا اللقب له، ولمن بعده من خلفاء المسلمين وملوكهم.

وهكذا كانوا دائمًا... يتطورون مع الحوادث، ولا يجمدون.

إعادة فتح العراق؟

وألقت الإمبراطورية الفارسية بجيوشها، تريد أن تسحق العرب الذين اجترءوا على انتزاع العراق منها، وتلقي عليهم درسًا لا ينسى، ويردهم إلى صحرائهم التي جاءوا منها.

وجاء أبو عبيدة بالجيش الذي خرج على رأسه من المدينة، وانضم إلى الجيش الذي تحت إمرة المثنى، وقاد أبو عبيدة الجميع إلى اللقاء.

واصطدمت القوتان، وكانت معركة النمارق..

ومضت جيوش أبي عبيدة، وانطلقت لتجهز على ما تبقى من جيوش فارس، وفر الفرس، وتركوا للمسلمين مغانم كثيرة.

ووجه أبو عبيدة قواده، والمثنى في مقدمتهم، فاحتلوا سواد العراق من أعلاه إلى أسفله، وأذاعوا الرعب في الناس، وأعادوا إلى ذاكرتهم أيام خالد بن الوليد.

ورجع الدهاقين إلى أبي عبيدة، ليصالحوه، ويعتذروا إليه عما كان منهم، في ممالأة الفرس على العرب. وقد ذكروا أنهم غلبوا على أمرهم، فلم يكن لهم فيما حدث نهي ولا أمر.

أأكرمتم الجند بمثله!؟

ولما أتم ابو عبيدة الصلح معهم، جاءوه بآنية فيها ألوان من طعام فارس الشهي، وقالوا: هذا قرى لك، وكرامة، أكرمناك بها.

قال: أأكرمتم الجند بمثله، وقريتموهم؟!

قالوا: لا!

فرده، وقال: «لا حاجة لنا فيه! بئس المرء أبو عبيدة، إن صحب قومًا من بلادهم، واهراقوا دماءهم دونه، أو لم يهريقوها، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه! لا والله، لا يأكل مما أفاء الله عليهم، إلا مثلما يأكل أوساطهم!».

ولم يأكل من طعام أتى به الدهاقين، غداة ذلك اليوم، حتى علم أنهم قربوا مثله لأصحابه!!

الأمّة صفًا واحدًا؟!

وألقت فارس بجيوش لا حصر لها، لتخوض مع العرب معركة فاصلة حاسمة!.

وبدأ عمر يجمع الجيوش ويرسلها إلى المثنى في العراق، بينما المثنى هو الآخر، بدأ يستمد القبائل العربية من حوله، أيا ما كان دينها، فالموقف موقف الجميع.

وكانت قوات المثنى تشتمل على أولئك الذين استمدهم فأمدوه وفيها من القبائل التي استجابت لنداء عمر.

فيها من بني النمر، نصارى قدموا مع أنس بن هلال، وجلاب جلبوا خيلًا.

وفيها من تغلب، نصارى جاءوا مع ابن مردى الفهر التغلبي، وجلاب جلبوا خيلًا.

وفيها غير هؤلاء رجال من قبائل عربية أخرى مقيمة بالعراق.

هؤلاء جميعًا رأوا موقف العرب من العجم فقالوا: نقاتل مع قومنا.

وكذلك جمعت رابطة الجنس إلى جيش المسلمين عددًا غير قليل من نصارى العراق، وقفوا إلى جانبهم وحاربوا في صفوفهم.

واصطف الفريقان للقتال، وكان الشهر رمضان، فأفطر المسلمون ليقووا على القتال.

واشتبك الفريقان... ولم يطق الفرس أن يثبتوا لهذا البأس، فانهزموا، وانقلبوا يولون الأدبار.

وحصرهم فرسان المسلمين، وهم في اضطرابهم، فقتلوهم شر قتلة.

وقتل من الفرس في تلك المعركة، مائة ألف، بقيت جثثهم صرعى، طريحة في الميدان، حتى بليت وصارت عظامًا!

وانتصر المسلمون نصرًا مبينًا.

وقاتل أنس بن هلال النمري النصراني حتى قتل.

وهكذا خرج العرب، على اختلاف أديانهم، نصارى ومسلمين، لمحاربة أبناء فارس.

وفي أوج النصر الذي كلل رأس المثنى، نغرت عليه جراحه التي أصابته، حتى قضت عليه.

ومات المثنى بن حارثة الشيباني، بعد أن ضرب الفرس ضربة، لم يستطيعوا أن يفيقوا بعدها أبدًا.

فتح دمشق؟!

والآن ننتقل إلى جهة الشام.. وكان خالد بن الوليد قد انتصر فيها على الروم نصره الساحق في معركة اليرموك...

وما إن تولى عمر الخلافة حتى سارع إلى عزله وهو في أوج انتصاره وتولية أبي عبيدة قائدًا عامًا للجبهة الغربية مكانه.

نذكر ذلك ونحن ننتقل إلى الجبهة الغربية، لننظر ماذا تعمل القوات الإسلامية المسلحة فيها.

وكتب أبو عبيدة يسأل أمير المؤمنين رأيه فيما يفعل بعد نصر اليرموك.

ورد عمر عليه، أن يبدءوا بدمشق...

وعلى الفور، انطلق هو وخالد بن الوليد، في قوة الجيش الكبرى، يقصدون دمشق، عروس الشام.

وطالت مقاومة دمشق، وطال حصار المسلمين لها... وبدأ اليأس يتسرب إلى نفوس الدمشقيين.

ثم اقتحمها خالد بن الوليد... فصالحوا أبا عبيدة، وفتحوا له أبوابها!

واستقر المسلمون بعاصمة الشام وجلت عنها حامية هرقل.

فماذا كانت سياسة المسلمين في إدارتها؟

تركوا لأهل دمشق، ما كان لهم من إدارة مدينتهم، وأقاموا الأمر فيها على الأساس الذي صوره خالد في كلمته لبعض أهل العراق: « إن كنتم عربًا فماذا تنقمون من العرب؟ وإن كنتم عجمًا فماذا تنقمون من الإنصاف والعدل؟؟ »

إحدى اثنتين... إما أنكم عرب فنحن إخوة، لا ننقم حكم أنفسنا لأنفسنا، وإما أنكم غير عرب، فنحن نحكمكم بالإنصاف والعدل.

إبادة ٨٠٠٠٠؟!

وانطلقت القوات الإسلامية المسلحة بالشام، لتخوض معركة ثانية مع قوات الروم.

وسارت هذه القوات جميعًا، فعبرت اليرموك، ووقفت أمام الروم ببيسان.

وكان الروم أمامهم يقفون في ثمانين ألفًا، أشد ما يكونون حرصًا على أن يظفروا بأولئك الذين قضوا على قواتهم باليرموك وفتحوا عليهم دمشق.

وفجأة هجم الروم على المسلمين، فتلقاهم المسلمون، وقاتلوهم أشد القتال.

واستبسل الروم، وطالت المعركة الليل كله، واستمرت اليوم الذي يليه إلى الليل.

فلما أظلم الليل خارت قوى الروم، فاضطربت صفوفهم، فانهزموا... وانطلقوا يفرون، فتلقتهم الأرض الموحلة، فتعذر عليهم السير فيها.

فلحقهم المسلمون... وألقوهم في الوحل... وقتلوهم شر قتلة...

فقتل الثمانون ألفًا من الروم، لم يفلت منهم إلا الشريد!

وتتابعت البلاد، بعد معركة بيسان، وهزيمة الروم الساحقة فيها، تستسلم للفاتحين!

القادسية؟!

نحن في سنة خمس عشرة هجرية... وعمر رابض كالأسد، في عاصمة الدولة الجديدة المدينة، وقد اتخذ قرارًا خطيرًا جدًا...

قرر أن يجهز على الامبراطورية الفارسية كلها، لا تقوم بعده أبدًا...

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات الإسلامية المسلحة تتجه إلى حمص بقيادة أبي عبيدة، لتلتقي مع الروم في معركة فاصلة.. كان عمر قد قرر أن يخوض مع الفرس المعركة الحاسمة!

وأرسل عمر منشورًا إلى عماله علي البلاد والقبائل: «لا تدعوا أحدًا له سلاح، أو فرس، أو نجدة، أو رأي، إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إليّ، والعجلَ العجلَ».

وقال عمر: «والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب».

ووقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص، أمره عمر على حرب العراق.

ثم أوصاه: «يا سعد. لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه...

«فإن الله عز وجل لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ ولكنه يمحو السيِّئ بالحسن!

«وليس بين الله وبين أحد نسب إلا بطاعته.

«فالناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء.

«يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده بالطاعة.

«فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ يلزمه فالزمه، وعليك بالصبر»!.

الاستعداد للمعركة؟

واكتمل لسعد بن أبي وقاص جيش بلغ ستة وثلاثين ألفًا.

وأمر عمر سعد بن أبي وقاص بالمبادرة إلى القادسية، والقادسية باب فارس.

ثم قال له: «لا يهولنك كثرة عددهم وعددهم، فإنهم قوم خَدَعة مكرة. وإن أنتم صبرتم، وأحسنتم، ونويتم الأمانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لم يجتمع شملهم أبدًا»..

وسار سعد متمهلًا حتى نزل القادسية..

وخرجت قوات الفرس في مائة وعشرين ألفًا، بقيادة رستم، قائد الفرس الأول.

وعلم سعد بمسيرته، فكتب إلى عمر، فأمره أن يبعث إلى كسرى من يناظرونه، ويدعونه.

فبعث سعد إلى يزدجرد وفدًا، فيه أهل الرأي والسياسة والشجاعة.

وأمرهم أن يدعوه إلى الإسلام، فإن أبى فالجزية، وإلا فالمناجزة.

وغضب يزدجرد غضبًا شديدًا، حين اجترأ الوفد العربي على مخاطبته في هذا الأمر، وقال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي!»

ثم أمر من جاء بحمل من تراب، فقال: «احملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه، حتى يخرج من باب المدائن. إرجعوا إلى صاحبكم، فأعلموه، أني مرسلٌ إليه رستم حتى يدفنه، ويدفنكم معه في خندق القادسية»!!

المعركة؟!

وخرج رستم بقواته الضخمة تتقدمها الفيلة، أمضى سلاح لدى الفرس!

وبلغ رستم القادسية في جيش عدته مائة وعشرون ألفًا..

وصف عساكره قبالة عسكر المسلمين، وقدم الفيلة أمامه، وبدا بذلك في مظهر من القوة يثير الرعب في النفوس.

ووقف الجيشان ينتظران أمر الصدام.

والتحم الجيشان... وظلا يقتتلان ثلاثة أيام بلياليهن، متواصلات...

ثم بدأت صفوف الفرس تضطرب... وتأذن الله بالنصر للقلوب المؤمنة...

واستمكن أحد رجال المسلمين من رستم، وهو يلقي نفسه في النهر فراراً.. فاقتحم الرجل النهر وراءه، ثم خرج به، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله.

ثم صعد سريره ليصيح: قتلت رستم ورب الكعبة. إليّ! إليّ!.

وأطاف الجند به يهللون ويكبرون.. ووهنت قوة الفرس.

وحاول الجالينوس ـ أحد قوادهم ـ أن يعبر بهم النهر، لكن الردم انهار بهم في النهر المتدافع التيار، فغرق بانهياره ثلاثون ألف فارس، مقترنين بالأصفاد.

وكذلك انهزمت جيوش يزدجرد شر هزيمة، وانطلقت فلولهم يولون الأدبار!.

وانتهت معركة القادسية، وكانت نتيجتها الحتمية، كسائر المعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم، نصراً للحق، وهزيمة للباطل.

واستشهد من المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة!!

خسارة كبيرة في الرجال... ولكن انتصار الحق كان أكبر!

فتح عاصمة كسرى؟

وأمر عمر بالزحف إلى المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية.

فأمر سعد بالسير إليها، وتجمع جنود على شاطئ دجلة، ولم يبق بينهم وبين المدائن سوى النهر.

ورأى الجند مبانيها الفاخرة، وعمارتها النادرة، يطل من بينها قصر عظيم... هو قصر كسرى فصاحوا، الله أكبر... هذا أبيض كسرى.

وبينما كان المسلمون يقفون كالآساد، ينتظرون ساعة الهجوم على شاطئ دجلة.

كان كسرى قد رعب لساعته مما رأى، فأمر رجاله، فحملوا بيت ماله،

وما خف من متاعه وخزائنه، وحملوا النساء والذراري، وفروا بها يقصدون بلدة من فارس اسمها حلوان!!

جيش يسير على الماء!

وأمر سعد فرسانه فاندفعوا جميعًا... ألوفًا مؤلفة إلى لجة النهر...

وامتلأ النهر بالخيل، فلم يكن ماؤه في هذه الساعة ليرى!

فلما عبر سعد بالجيش، كان أهل المدائن جميعًا قد فروا!!

أين الامبراطورية الفارسية؟

فرت أمام هؤلاء... الذي جاءوا إليها ليزيلوها فزالت!

في إيوان كسرى؟!

ودخل سعد بجنده القصر، وجعل يجيل بصره فيما احتواه، من نفائس وعجائب، ويتلو قوله تعالى: ﴿**كم تركوا من جنات وعيون ★ وزروع ومقام كريم★ ونعمة كانوا فيها فاكهين★ كذلك وأورثناها قومًا آخرين ★ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**﴾[1].

وصلى سعد صلاة الفتح، ثماني ركعات بتسليمة واحدة.

ثم أمر أصحابه فجاءوا بأطفال المسلمين من سائر مدن العراق وقراه فأنزلهم المدائن!

ونزل سعد قصر الأكاسرة، وأقام به، واتخذ الإيوان مصلى!

وارتفعت كلمة لا إله إلا الله في قصر عبدة النار!

---

(١) سورة الدخان، الآيات ٢٥ ـ ٢٩.

٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دينار!

ووجد سعد خزائن كسرى مترعة بالأموال، وبنفيس الثياب والأمتعة والآنية والألطاف والأدهان، وما إلى ذلك مما لا تعبر عن قيمته الألفاظ والأرقام!

ليس هذا وحده، وإنما بعث سعد جنده يطاردون يزدجرد والذين فروا معه إلى حلوان، فأدركوهم، وجاءوا بما حملوه، فإذا قيمته تضاهي قيمة ما بالقصر.

ووجد المسلمون بدور المدائن من التحف والنفائس، ما أذهل خيالهم، وما دلّ على ترف أهلها ترفًا لم يعرفه غير الفرس.

ذكروا أن سعدًا وجد بخزائن كسرى ثلاثة آلاف ألف ألف ألف دينار!!

ووجدوا بالقصر من التحف والأمتعة ما لا تدرى قيمته...

وجاء الذين خرجوا في أثر يزدجرد بتاج كسرى مرصّعًا بالدر والجوهر، وبثيابه من الديباج المنسوج بالذهب، المنظوم بالجوهر.

كما جاءوا بخرزات كسرى، ووشاحه، ودرعه التي فيها الجواهر.

ووجد المسلمون بدور المدائن سلالًا مختومة برصاص ظنوا ما فيها طعامًا، فإذا هو آنية من الذهب والفضة، وبلغ من كثرة ما وجدوا من ذلك أنه كان الرجل يطوف ليبيع الذهب بالفضة متماثلين!.

وهكذا وضعت كنوز كسرى، وكنوز الفرس كلها، تحت أقدام الفاتحين المؤمنين!

ونحن نسجل هذا هنا.. من هذا الفصل من الكتاب ليعلم العالم أجمع أن الدولة الإسلامية في عهد عمر، بلغت غاية ما تبلغه الدولة من الغنى وكثرة الأموال.

وحسبك أن الامبراطورية الفارسية كلها، تلك الامبراطورية التي عمرت مئات السنين، إذ كانت عبارة عن نصف العالم القديم، قد أصبحت

بمقدراتها، وأموالها وسائر طاقاتها ملكًا للدولة الإسلامية!

وإنك تستطيع أن تتصور مدى، ما كانت عليه فارس من نعيم وأموال، إذا تصورت أن خزانة كسرى وجدوا بها ٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دينارا!!

فكيف إذا أحصينا ما عند أغنياء الدولة آنئذ، وسائر طبقاتها من أموال؟

ويمكنك أن تدرك ذلك، إذا تصورت كتلة كالكتلة الغربية مثلًا، بذهبها، وثرواتها كلها، ومصانعها، وشركاتها، تصبح ملك دولة واحدة.

لقد كانت الفرس في ذلك العالم القديم تشبه كتلة بأكملها من الكتلتين القائمتين الآن في عالمنا الحديث.

فانظر بكم تقوم أموال الكتلة الشرقية، أو الغربية؟.

نقول هذا، لنضع تحت أعين الناس، فكرة سريعة، عن دولة عمر، وأنها كانت تموج بالأموال موجًا.

حتى إذا تكلمنا بعد ذلك عن دولة عمر، كان في اعتبارنا أن الدولة كانت غنية إلى أبعد حدود الغنى، ومع هذا استطاع عمر أن يسوسها سياسة عادلة محكمة!

فكيف والإمبراطورية الفارسية كلها، كانت إحدى غنائم المسلمين بينما هناك الإمبراطورية الرومية وكنوزها بعد ذلك! إنه يمكن أن يقال، إن العالم كلّه كان يومئذ تحت قدمي عمر!!

القعقاع يفتح جلولاء!

وظن كسرى أنه يستطيع من المسلمين انتقامًا. فاجتمع الفرس من كل مكان بجلولاء، على أربعين ميلًا من المدائن.

وجاءت هذه الأنباء سعدًا، فبعث بها إلى عمر، بالمدينة، فأمره بلقائهم...

وأرسل سعد إليهم اثني عشر ألفًا على مقدمتهم القعقاع بن عمرو.

والتقى الفريقان... فاقتتلوا قتالًا شديدًا، لم يعهد مثله.

لقد كان الفرس يخوضون معركة حياة أو موت...

وحمل المسلمون، وقاتلوا عدوهم قتالًا مخيفًا. وانهزم الفرس وأخذهم المسلمون من كل وجه، حتى قتل من الفرس في ذلك الوقت مائة ألف رجل، وفر من بقي منهم، فاتبعهم القعقاع، يريد أن يجعلهم حديثًا!

وكتب سعد إلى عمر، بفتح جلولاء، وبالغنائم العظيمة التي غنمها، واستأذنه في مطاردة الفرس داخل بلادهم.

لكن عمر كان لا يرى التوسع، وآثر الحذر فكتب إليه يقول: «وددت لو أن بين السواد (ما بين نهري العراق) والجبل سدًا لا يخلصون إلينا، ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال».

وكان رأيًا سديدًا من العبقري الملهم.

عدل عمر في العراق!

لما فتحت جلولاء، كتب سعد إلى عمر في أمر الفلاحين، من فرّ منهم ومن أقام، وكان قد فر منهم بضعة وثلاثون ومائة ألف، يتألف منهم بضعة وثلاثون ألف بيت.

فكتب إليه عمر: «أن أقر الفلاحين على حالهم إلا من حارب أو هرب منك إلى عدوك...

ونفذ سعد أوامر عمر هذه، فأقر الفلاحين، ودعا من لج، ووضع الخراج على من رجع، وقبل الذمة.

مصادرة أموال آل كسرى؟!

واستصفى سعد ما كان لآل كسرى، ومن لج معهم من الأمراء والدهاقين وغيرهم.

وكان ما استصفاه من هذه الأموال كثيرًا، موزعًا بين جبل فارس وتخوم العرب.

وكانت هذه الأموال التي استصفاها سعد حبسًا، لا يجوز بيعه، كما لا يجوز بيع المنافع العامة من الآجام، ومفيض المياه، وسكك البريد، وما كان لبيوت النار: معابد المجوس.

وترتب على تنفيذ هذه السياسة أن بقيت للفلاحين أرضهم، واعتبروا من أهل الذمة، سواء منهم من أقام بأرضه أثناء الحرب، ومن فرّ منها جزعًا، ثم عاد بعد الحرب إليها.

فرار امبراطور الرومان؟

في نفس الوقت الذي كان فيه سعد بن أبي وقاص يتم تدمير الإمبراطورية الفارسية...

كان أبو عبيدة بن الجراح وزملاؤه بالشام، يتقدمون فيه ويفتحون مدنه، ليتموا تدمير الإمبراطورية الرومية!

وكانت أنطاكية إلى يومئذ عاصمة الإمبراطورية الرومية في الشرق، أو المدينة التي تلي فيها مدينة قسطنطين.

من أجل ذلك كان عمر حريصًا على فتحها، وكان الاستيلاء عليها يعادل عنده فتح المدائن، وفتح بيت المقدس.

فهل فكر الإمبراطور في الدفاع عنها؟.. كلا.. لقد أثـرت الهزائـم المتلاحقـة في نفسه. فترك المدينة الخالدة، أنطاكية، وفر إلى القسطنطينية!!

وسار إليها أبو عبيدة، وخرج إليه أهلها، فهزمهم في معركة حامية. وسقطت أنطاكية. وأصبحت سوريا كلها جزءًا من الدولة الاسلامية!

تمامًا.. كما فر امبراطور فارس أمام سعد بن أبي وقاص..

ها هو امبراطور الروم يفر أمام أبي عبيدة!!

معاوية يقتل ١٠٠٠٠٠ في معركة واحدة؟!

بينما كان أبو عبيدة يسير مظفرًا في شمال الشام. كان عمرو بن العاص، وشرحبيل، يواجهان من قوات الروم التي اجتمعت بفلسطين، ويجاهدان للقضاء عليها.

وكانت هذه القوات عددًا عظيمًا، يقودها أخطر قواد الرومان وأدهاهم، ويسمى أطربون.

وكتب عمرو إلى عمر.. فأمر أمير المؤمنين يزيد بن أبي سفيان أن يوجه أخاه معاوية إلى قيسارية ليفتحها، فينقطع المدد الذي يأتي إلى أطربون عن طريق البحر.

والتقى معاوية بأهل قيسارية، وكانوا قوة هائلة، وقاتلوا مستميتين..

إلا أن النتيجة دائمًا معروفة..

قضى معاوية عليهم، حتى كانت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفًا بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألف!

وسقطت قيسارية، وامتنع المدد عن أطربون، من طريق البحر.

سقوط بيت المقدس؟

وحاصر عمرو بجيوشه بيت المقدس شهورًا. واشتدت مقاومة المدينة، حتى كتب عمرو إلى عمر يستمده.

فأناب عمر عليًا على المدينة، وأمر الناس بالسير معه.

وسار عمر على رأس الجيش الذي اجتمع له من المدينة، حتى نزل الجابية، وكان قد كتب إلى أمراء الجيوش في الشام أن يوافوه بها ليوم سماه لهم.

فلما عرف قـواد عمر مقدمه إلى الجابية، ساروا إليه يتقدمهم يزيد بن أبي سفيان، ثم أبو عبيدة. ثم خالد بن الوليد، على الجند في عرض يأخذ بالأبصار.

ونزل عمر بمعسكر الجابية.. وجاءت رسل صفـرنيـوس أسقف بيت المقدس، يتمنون الصلح مع أمير المؤمنين.

وصالحهم عمر على صلح أكثر من صلح دمشق سخاء، وكتب لهم معاهدة ووقع عليها.

ورجع رسل صفـرنيـوس بالمعاهدة إلى القدس، فسر الأسقف سرورًا عظيمًا.

وساد الفرح أهل المدينة جميعًا.. كيف لا وقد أعطت المعاهدة للجميع حرية العقيدة، وحرية الإقامة، وحرية الخروج من المدينة، وحرية الحياة مهما تنوعت، ومهما تعددت؟

واعتبرها عمر مدينة مفتوحة، لها كل الحرمات وكل القداسات.

عمر يدخل بيت المقدس؟!

وامتطى أمير المؤمنين فرسه، ودخل به بيت المقدس، ومعه عدد من قواده...

وتلقاه البطريق صفرنيوس وكبراء المدينة، فتلطف بهم وأدناهم، وتحدث إليهم حديثًا أدخل محبته في قلوبهم.

وجاء المساء، وانصرف القوم... وخلا عمر بنفسه... فقام يصلي من الليل طويلًا، شكرًا لله على ما أنعم به عليه.

فلما أصبح جاءه صفرنيوس، وسار معه خلال المدينة، يشرح له آثارها، وكم لها من آثار!

وبينما الرجلان بكنيسة القيامة، أدرك عمر موعد الصلاة. فطلب البطريق إليه أن يصلي بها، فهي من معابد الله..

إلا أن عمر اعتذر، بأنه إن يفعل يتبعه المسلمون على تعاقب القرون.

وصلى في مكـان قريب من الصخرة المقدسة، على أطلال هيكل سليمان.

وفي هذا المكان شيد المسلمون من بعد مسجدًا ضخمًا، هو المسجد الأقصى.

أما في عهد عمر فقد كان هذا المسجد بسيط البناء كمسجد رسول الله بالمدينة يوم أقيم.

ورأى عمر على الصخرة كناسة كان الروم يلقونها فوقها، فقال لأصحابه: اصنعوا كما أصنع.

ثم جثا في أصلها، وجعل يحمل ما عليها بنفسه، فيلقيه بعيدًا عنها.

وصنع أصحابه كما صنع. وما زالوا بالصخرة حتى زال كل ما عليها.

وأنهى عمر رحلته إلى بيت المقدس، وفتح الله له المدينة العالمية.

وكانت أنباء الفتح قد بلغت عليا والمسلمين بالمدينة.

فاستقبلوه بظاهر المدينة استقبالًا عظيمًا.

محاكمة خالد؟!

وكتب عمر إلى أبي عبيدة، أن يستقدم خالدًا، وأن يعقله بعمامته، وينزع عنه قلنسوته، حتى يعلم: أأجاز الأشعث بن قيس من ماله أم من إصابة أصابها، فإن زعم أنها من إصابة فقد أقر بخيانته، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف!

وأمره أن يعزله على كل حال، وأن يضم إليه عمله!

وكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدم عليه، فلم يذكر له عن كتاب عمر شيئًا.

وجمع الناس، وجلس لهم على المنبر..

ثم قام رجل البريد الذي أرسله أمير المؤمنين يسأل خالدًا: أمن مالك أجزت بعشرة آلاف، ام من إصابة أصبتها؟

وألح الرجل في السؤال.. وألح خالد في الصمت.

وقام بلال فقال: إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك، وأن تنزع عنك قلنسوتك، حتى تجيب عما تسأل عنه الآن.

وتناول بلال قلنسوته، ولـمّ يديه وراء ظهره، وعقله بعمامته وقال: «ما تقول؟ أمن مالك أم من إصابة؟».

وأجاب خالد: بل من مالي!!

وأطلقه بلال... وأعاد قلنسوته، ثم عممه بيده وقال: «نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونخدم موالينا».

وكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد... فاستبطأ عمر تنفيذه أمره... فبعث إلى خالد يستقدمه، ليبلغه بنفسه ما يريد.

وجاء خالد إلى المدينة معزولًا.

والتقى الرجلان... وقال خالد لعمر: «لقد شكوتك إلى المسلمين. وبالله إنك في أمري غير مجمل يا عمر!».

فقال عمر: «فأين هذا الثراء! من اين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة آلاف؟».

وجعل يكرر عليه هذا السؤال كلما رآه.. فلما ضاق خالد قال له: «من الأنفال والسهمان ما زاد على الستين ألفًا فهو لك».

ما زاد عن ثروة خالد أيام أبي بكر، يردها إلى الخزانة العامة.

وقوم عمر عروض خالد بثمانين ألف درهم، ترك له منها ستين ألفًا،

وأخذ العشرين الزائدة، فأدخلها بيت المال.

وتحدث قوم إلى عمر في شأن خالد، وقالوا له: يا أمير المؤمنين، لو رددت على خالد ماله؟

وأجابهم عمر: إنما أنا تاجر للمسلمين والله لا أرده عليه أبدًا.

سياسة عمر بالشام؟

وأصبحت الشام من أقصاها لأدناها، قطرًا عربيًّا، يخضع للدولة الاسلامية، وعمه العدل الذي عم العراق من قبل.

واستمسك أكثر أهله بمسيحيتهم، وأدوا الجزية عن رضا وطواعية.

وما الجزية... وما تلك الدريهمات القليلة، بجانب الحرية، والعدل، والمساواة، والدفاع عن البلاد إذا هوجمت؟

وأين هذا مما كانوا عليه أيام الرومان، من ضرائب باهظة، واضطهاد عقائدي، وتفكك مذهبي؟!.

عمر . . .
والمجاعة ؟!

كان سبب المجاعة أن أمسك المطر في شبه الجزيرة العربية كلها تسعة أشهر كاملة، وتحركت الطبقات البركانية من أرضها، فاحترق سطحها، وكل ما عليها من نبات، فصارت الأرض سوداء مجدبة كثيرة التراب، فإذا تحركت الريح سفت رمادًا.

ولذا سمي هذا العام عام الرمادة.

ونشأ عن إمساك المطر، وهبوب الرياح، وهلاك الزرع والضرع، جوع أهلك الناس والأنعام، فقد فني الكثير من قطعان الغنم والماشية، وجف ما بقي منها، حتى كان الرجل يذبح الماشية، فيعافها لقبحها، رغم جوعه وبلواه.

ومن ثم اقفرت الأسواق، فلم يبق فيها ما يباع ويشترى، وأصبحت الأموال في أيدي أصحابها لا قيمة لها، إذ لا يجدون لقاءها ما يسد رمقهم.

وطال الجهد واشتد البلاء، فكان الناس يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان ويخرجون ما فيها!

وكان أهل المدينة أحسن من غيرهم حالًا أول العهد بالمجاعة.

فالمدينة حضر ادخر أهله حين الرخاء ما اعتاد أهل الحضر ادخاره، فلما بدأ الجدب جعلوا يخرجون ما ادخروا يعيشون منه.

أما أهل البادية فلم يكن لهم مدخر، فاشتد بهم الكرب، من أول الأمر.

ثم إنهم هرعوا إلى المدينة يجأرون إلى أمير المؤمنين بالشكوى ويلتمسون لدى أهلها فتاتًا يقيمهم.

وازداد هؤلاء اللاجئون عددًا فضاقت بهم المدينة، واشتد بأهلها البلاء، فصاروا في مثل حال أهل البادية جوعًا وجدبًا!

ماذا صنع عمر؟

اشتدت المجاعة.. وجيء عمر بخبز مفتوت بسمن، فدعا رجلًا بدويًّا فأكل معه، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك إلى جانب الصفحة.

فقال له عمر: كأنك مقفر من الودك؟

وأجابه الرجل: أجل! ما أكلت سمنًا ولا زيتًا، ولا رأيت آكلًا له منذ كذا وكذا إلى اليوم!

وقامت بنفس عمر أعتى ثورة يمكن أن تقوم بنفس رجل.. وأقسم.. لا يذوق لحمًا، ولا سمنًا، حتى يحيا الناس!!

وظل على هذا العهد حتى أذن الله. فعاد المطر، وزال عن الناس الجدب!

أول مبدأ خطير؟

وقدمت السوق عُكة من سمن، ووَطْب من لبن.. فاشتراهما غلام له بأربعين درهمًا.

وذهب إليه الغلام فقال له: قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك. قدم السوق وطب من لبن، وعكة من سمن، فابتعتهما بأربعين.

قال عمر: أغليت.. فتصدق بهما، فإني أكره أن آكل اسرافًا.

وأطرق عمر هنيهة ثم قال: كيف يعنيني شأن الرعية، إذا لم يمسسني ما يمسهم؟!

وذلك هو أول المبادئ الخطيرة التي وضعها عمر في عام المجاعة.

ما معنى هذا ؟.. أن عمر يقرر أن الحاكم عليه أن يعاني بنفسه آلام الشعب، ويذوق بنفسه تجربة الفقر، وألم الحرمان، حتى يستطيع أن يعنى بمشاكل الفقراء، وأن يحل آلام المحرومين.

كذلك حرم على نفسه أن يأكل شيئًا لا يأكله كل فرد في الشعب، حرم السمن واللحم، حتى يأكل كل فرد السمن واللحم.

فالرجل الجائع هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الجوعى. والرجل الضائق هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الضائقين.

عمر يسودّ وجهه جوعًا!

واسود وجه عمر... ونحل جسمه.. وقرقرت أمعاؤه.. من الجوع..

حتى رآه الناس عام الرمادة، وقد اسود لونه ـ وكان أبيض مشربًا بحمرة ـ ذلك أنه كان يأكل السمن واللبن واللحم، فلما أمحل الناس، حرمها على نفسه، وأكل بالزيت، وأكثر من الجوع، حتى كان الناس يقولون، وقد رأوا ما أصابه: «لو لم يرفع الله المحل، عام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين».

يا غوثاه!.. يا غوثاه!..

كتب إلى عمرو بن العاص بفلسطين يقول: سلام عليك! أما بعد، أفتراني هالكًا ومن قبلي، وتعيش أنت ومن قبلك! فيا غوثاه!.. يا غوثاه!.. يا غوثاه!..

عمر يتفجع، ويتوجع، ويستنجد.. لا لنفسه، وإنما للشعب، للجماهير الجائعة.

وأجابه عمرو: « .. لأبعثن إليك بعير أولها عندك وآخرها عندي».

وبعث عمر بمثل هذا الكتاب إلى معاوية، وأبي عبيدة بالشام. وإلى سعد بالعراق.

فأجابوه جميعًا، بنحو مما أجاب به عمرو.

وهكذا... كل أعضاء الجسم تستجيب لنجدة أي جزء من الجسم يصاب، أو يحتاج... تمامًا كما شبههم رسول الله... كمثل الجسد.

القرى قبل العواصم!

وكان أبو عبيدة أسرع الأمراء استجابة لنداء عمر، وغياثًا لأهل شبه الجزيرة.

سبقهم جميعًا، فقدم في أربعة آلاف راحلة محملة طعامًا.

فولاه عمر قسمته فيمن حول المدينة.

كانوا يهتمون بأهل القرى قبل أهالي المدن والعواصم.

يطعمون البعيدين قبل الأقربين... وكان ذلك سياسة عامة من الدولة، تتبعها في شأنها كلها.

وتلك علامة الحكم الصالح.. أن يمدّ الخدمات العامة إلى القرى قبل العواصم حتى يطمئن الأبعدون أن حقهم واصل إليهم قبل المتمركزين في العواصم.

الدولة ملزمة باطعام الجميع؟

وبعث عمرو بن العاص الطعام من فلسطين على الإبل، وفي السفن، من ثغر أيلة (العقبة).

وبعث معاوية ثلاثة آلاف بعير من الشام.

وبعث سعد بن أبي وقاص ألف بعير من العراق تحمل كلها الدقيق.

خلا خمسة آلاف كساء أرسلها عمرو، وثلاثة آلاف عباءة أرسلها معاوية.

إمدادات سريعة، تتوالى، لنجدة الجزيرة العربية الجائعة.

وهكذا كانوا.. يغيث بعضهم بعضًا.. سراعًا.. فماذا كان مسلك عمر؟

أصدر أمرًا بتعيين وزير للتموين يشرف على توزيع الإمدادات على أهل الأمصار والبادية.

ثم أشرف بنفسه على إطعام أهل المدينة، ومن وفد إليها!

احصائيات وبطاقات؟!

وأمر عمر ليلة، بعد أن فرغ الناس من العشاء بإحصاء الذين أُطعموا على موائده، فكانوا سبعة آلاف رجل.

وأحصيت العائلات التي لم تأت، والمرضى، والصبيان، فكانوا أربعين ألفًا.

وزاد هؤلاء وأولئك بعد أيام... فكان الذين تعشوا عنده عشرة آلاف، والآخرون خمسين ألفًا.

وكان العمال يقدمون في السحر إلى قدور عمر، فيعملون حتى يصبحوا... ثم توزع العصيد، ويوزع اللحم على المرضى والصبيان، والأسر، ممن لا ينالون طعامهم على موائد أمير المؤمنين!

هذا هو الإحصاء في عهد عمر.. دقة متناهية وصورة حقيقية لواقع الناس.. لا نجد فيه تلك الإحصاءات الخيالية التي يقدمها كثير من الحكام إلى شعوبهم ليخدعوهم بها، ويموهوا عليهم حقيقة الدولة الاقتصادية.

وأكثر من ذلك... كان عمر يتعهد هؤلاء جميعًا بنفسه ليطمئن إلى أنهم حصلوا على ما يدفع عنهم غائلة الجوع.

وكان عمر يرسل الدقيق والتمر والأدم، إلى منازل القادرين على تهيئتها، لغذائهم شهرًا بشهر.

يوزع ذلك عليهم في نظام يشبه نظام «البطاقات» أيام الحروب في عهدنا الحاضر.

أرأيتم؟... شهر بشهر... يزاد وينقص حسب كمية الموجود بخزانة الدولة!

روعة والله يا عمر... روعة!!

الأمة كلها تلتجئ إلى الله؟

بذل عمر ما هو فوق طاقة البشر، في دفع المجاعة عن شعب شبه الجزيرة العربية.

إلا أن التقادير كانت فوق طاقة الرجل، ففشا المرض في الناس، وهلك منهم كثيرون.

فكان عمر يتعهد المرضى بنفسه، ويبعث بالأكفان لمن مات، ويصلي عليهم.

وازداد في شبه الجزيرة المرض والموت، وبلغ الهول منهم أشده.

فلما اشتد الهول عزم عمر على أن تخرج الأمة كلها. تجأر إلى الله، في وقت واحد.

وكتب عمر إلى نوابه في الأمصار، أن يخرجوا بالناس في يوم عينه لهم، وأن يتضرعوا إلى ربهم، أن يرفع البلاء عنهم.

وفي الوقت المحدد للجميع، خرج عمر بالناس إلى الصحراء، وعليه برد رسول الله.

وبكى عمر بكاء طويلًا بين يدي ربه، وبكوا...

وبعث معاوية ثلاثة آلاف بعير من الشام.

وبعث سعد بن أبي وقاص ألف بعير من العراق تحمل كلها الدقيق.

خلا خمسة آلاف كساء أرسلها عمرو، وثلاثة آلاف عباءة أرسلها معاوية.

إمدادات سريعة، تتوالى، لنجدة الجزيرة العربية الجائعة.

وهكذا كانوا.. يغيث بعضهم بعضًا.. سراعًا.. فماذا كان مسلك عمر؟

أصدر أمرًا بتعيين وزير للتموين يشرف على توزيع الإمدادات على أهل الأمصار والبادية.

ثم أشرف بنفسه على إطعام أهل المدينة، ومن وفد إليها!

احصائيات وبطاقات؟!

وأمر عمر ليلة، بعد أن فرغ الناس من العشاء بإحصاء الذين أُطعموا على موائده، فكانوا سبعة آلاف رجل.

وأحصيت العائلات التي لم تأت، والمرضى، والصبيان، فكانوا أربعين ألفًا.

وزاد هؤلاء وأولئك بعد أيام... فكان الذين تعشوا عنده عشرة آلاف، والآخرون خمسين ألفًا.

وكان العمال يقدمون في السحر إلى قدور عمر، فيعملون حتى يصبحوا... ثم توزع العصيد، ويوزع اللحم على المرضى والصبيان، والأسر، ممن لا ينالون طعامهم على موائـد أمير المؤمنين!

هذا هو الإحصاء في عهد عمر.. دقة متناهية وصورة حقيقية لواقع الناس.. لا نجد فيه تلك الإحصاءات الخيالية التي يقدمها كثير من الحكام إلى شعوبهم ليخدعوهم بها، ويموهوا عليهم حقيقة الدولة الاقتصادية.

وأكثر من ذلك... كان عمر يتعهد هؤلاء جميعًا بنفسه ليطمئن إلى أنهم حصلوا على ما يدفع عنهم غائلة الجوع.

وكان عمر يرسل الدقيق والتمر والأدم، إلى منازل القادرين على تهيئتها، لغذائهم شهرًا بشهر.

يوزع ذلك عليهم في نظام يشبه نظام «البطاقات» أيام الحروب في عهدنا الحاضر.

أرأيتم؟... شهر بشهر... يزاد وينقص حسب كمية الموجود بخزانة الدولة!

روعة والله يا عمر... روعة!!

الأمة كلها تلتجئ إلى الله؟

بذل عمر ما هو فوق طاقة البشر، في دفع المجاعة عن شعب شبه الجزيرة العربية.

إلا أن التقادير كانت فوق طاقة الرجل، ففشا المرض في الناس، وهلك منهم كثيرون.

فكان عمر يتعهد المرضى بنفسه، ويبعث بالأكفان لمن مات، ويصلي عليهم.

وازداد في شبه الجزيرة المرض والموت، وبلغ الهول منهم أشده.

فلما اشتد الهول عزم عمر على أن تخرج الأمة كلها. تجأر إلى الله، في وقت واحد.

وكتب عمر إلى نوابه في الأمصار، أن يخرجوا بالناس في يوم عينه لهم، وأن يتضرعوا إلى ربهم، أن يرفع البلاء عنهم.

وفي الوقت المحدد للجميع، خرج عمر بالناس إلى الصحراء، وعليه برد رسول الله.

وبكى عمر بكاء طويلًا بين يدي ربه، وبكوا...

منظر خالد بهيج... شعب يخرج كله إلى الفضاء، وعلى رأسه أميره... يجأر إلى الله، ويبكي، ويتضرع!!

أدعوني أستجب لكم!

اخترقت أدعيات المؤمنين أجواز السماء، وارتفعت إلى الله العظيم، وعلم الله صدقهم في التجائهم، فاستجاب لاضطرارهم، وانفتحت أبواب السماء بماء منهمر وسيول دافقة!

فاهتزت أرض الجزيرة العربية، وربت، واخضرت، وارتفع البلاء عن الناس.

فأصدر عمر أوامره بإجلاء الأعراب الذين قدموا المدينة بسبب المجاعة.

وجعل يسير بينهم يقول: اخرجوا اخرجـوا! الحقوا ببلادكم.

وقف تحصيل الزكاة!

ثم ندخل إلى مبدأ خطير... ذلك أنه لم يبعث جباته عام الرمادة، ليقبضوا الزكاة بل أخّرهم إلى أن ارتفع الجدب.

فلما اطمأن الناس إلى العيش، وكثرت عندهم مادته، أمر الجباة أن يسيروا إليهم، وأن يأخذوا من كل قادر حصتين.

حصة عن عام الرمادة، وأخرى عن العام الذي بعده.

وأن يقسموا إحدى الحصتين على المعوزيـن، ويقدموا عليه بالثانية.

هكذا كان عمر.. يحس ما يحسون، ويألم كما يألمون!

الطاعون!

مضت المجاعة بآثارها الرهيبة... فأنزل الله على الشعب بلاء آخر، يختبرهم به، كما اختبرهم بالمجاعة.

فقد فشا الطاعون في عمواس من أرض فلسطين، ثم انتقلت عدواه إلى الشام، فجعل يفتك بكل من يصابون به فتكا ذريعًا.

لم يكن الواحد منهم يطعن حتى يدركه الموت!

وطال الوباء شهورًا، هلك أثناءها من المسلمين خمسة وعشرون ألفًا بالشام وحدها.

وكان منهم أبو عبيدة، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفان. وغيرهم كثير.

وانتشر الوباء في العسكريين، كما انتشر في المدنيين على حد سواء.

فرارًا من قدر الله إلى قدر الله؟

وكان عمر قد نوى الذهاب إلى الشام، تفتيشًا وتنظيمًا لشئونه بعدما تم فتحه من أقصاه إلى أدناه.

وسار من المدينة حتى إذا بلغ قريبًا من تبوك، لقيه أمراء الأجناد، فأخبروه أن الأرض سقيمة، وقصوا عليه قصة الطاعون وشدة إصابته.

وأمر عمر فنادى ابن عباس في الناس، ليعدوا رواحلهم متى أصبحوا.

فلما صلوا الصبح التفت عمر إليهم وقال: «إني راجع فارجعوا».

وجاء أبو عبيدة، فقال له: «أفرارًا من قدر الله يا عمر؟!»

ونظر عمر طويلًا إلى أبي عبيدة ثم قال: «لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! نعم! فرارا من قدر الله إلى قدر الله!».

وأقبل عبد الرحمن بن عوف، فقال: عندي من هذا علم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارًا منه».

وفرح عمر بهذا الحديث وقال: الحمد لله، انصرفوا أيها الناس!.

وعاد عمر ومن معه إلى المدينة... وعاد أمراء الأجناد، ومن معهم إلى أعمالهم.

أمات أبو عبيدة؟

عاد عمر إلى المدينة، وكتب إلى أبي عبيدة: «فإني قد عرضت لي إليك حاجة، أريد أن أشافهك فيها» فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إليَّ.

وقرأ أبو عبيدة الكتاب.. وأدرك أن عمر يريد أن يستخرجه من الوباء، وأن يحتفظ به حيًا ليخلفه في إمارة المؤمنين.

إلا أن أبا عبيدة كان يرى أن القائد ينبغي عليه أن يبقى مع جنوده في السراء والضراء، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين!.

ثم كتب إلى عمر: «إني قد عرفت حاجتك إليّ وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيَّ وفيهم أمره وقضاءه. فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي».

وقرأ عمر هذا الكتاب، فبكى، فسأله من حوله: أمات أبو عبيدة؟ فأجاب ودموعه تسيل: «لا.. وكأن قد».

مات الرجل الثاني؟!

قرأ عمر كتاب أبي عبيدة. فبكى..

وشاور أهل الرأي في الوسيلة التي ينقذ بها أهل الشام من الطاعون..

ثم كتب إلى أبي عبيدة: «إنك أنزلت الناس أرضًا عميقة، فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة».

وإن أبا عبيدة ليفكر في تنفيذ هذا الأمر، إذ طعن فمات!

ومات الرجل الذي رشحه أبو بكر ليخلف رسول الله يوم السقيفة.

فقد عمر بموته الرجل الثاني، الذي كان يطمع أن يخلفه في إمارة المؤمنين!

ثم زال الطاعون بعد أن أفنى من المسلمين بالشام خمسة وعشرين ألفًا.

وبعد أن انتقل من الشام إلى العراق، ففتك فيه بأهل البصرة أشد مما فتك بغيرهم، وكان أهل البصرة من خير جند المسلمين.

رحلة تفتيشية؟

قرر أمير المؤمنين أن يذهب بنفسه إلى الشام ليرتب أموره، بعد أن زال عنه الطاعون، وهلك من جنده العدد الكثير.

وغادر عمر المدينة، في جماعة من أصحابه، وعين عليًا نائبًا له عليها.

واتخذ طريقه إلى أيلة (العقبة)...

ثم سار من أيلة. فنزل الجابية، فجعلها مقره.

وذكر له عماله بالشام وفلسطين، ما كان من أمر المسلمين، وما نزل بهم.

فزار بلاد سورية جميعها، وتفقد شئون المسلمين في شتى أرجائها، وبذل لهم، ورتب منازلهم بدمشق، وحمص، وسائر المدن التي بلغ فيها الفتك أشده.

ثم إنه نظم ثغور الشام، ومسالحه، وأعاد توزيع القوات في كوره، وسمى الرجال الذين عينهم عليها.

وبذلك استقر كل أمر في نصابه، وعاد كل شيء إلى نظامه، واطمأن الناس بعد طول الفزع.

وأزمع عمر الرحيل... وحضرت الصلاة.. فقال له الناس: لو أمرت بلالًا فأذّن؟!

وكان بلال قد انقطع عن الاذان منذ قبض رسول الله ﷺ.

أذن بلال... وارتفع صوته الندي، تمامًا كما كان يؤذن أيام رسول الله.

فلم يبق من الناس واحد إلا بكى.. وبكى من لم يدرك النبي ﷺ لبكائهم.

وكان عمر أشدهم بكاء!!

ثم ودع أهل الشام، وعاد إلى المدينة!

عمر . . .
وتصفية الامبراطورية الفارسية؟!

معركة نهاوند؟

طمع المسمى كسرى في استرداد ما ضاع من ملكه، فجعل يثير الفرس، ويحركهم ضد الحكم الجديد.

وكتب أمراء فارس إلى يزدجرد أن يكون على رأس حركتهم، حتى يجتمع الفرس جميعًا عليه، ويخرجوا إلى عدوهم ليدفعوه من فارس إلى الابد.

وبعث كل أمير من جنده إلى نهاوند، حتى بلغ عددهم مائة وخمسين ألفًا، اجتمعوا بإمرة الفيرزان.

واختار عمر قائد المعركة... «النعمان بن مقرن» بعد أن استشار الشعب في اختياره.

وكتب عمر إلى القائد: «أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا اتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين... فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان، ومن جمع معه من الأعاجم وغيرهم».

٣٠٠٠٠ يقاتلون ١٥٠٠٠٠؟!

وعرف الفيرزان أنهم جاءوا إليه ثلاثين ألفًا.. بينما هو في خمسين ومائة ألف!

واندفع الجيش كله، والفيرزان على رأسه، ليطهروا أرض فارس من أولئك العرب!

وكبر النعمان ثلاثًا، ثم اندفع واللواء في يده، فانقض على الفرس، وجعل يطيح بالرءوس، ويجندل الفرسان.

والتقى الفريقان متصافحين بالسيوف فلم يكن يسمع إلا وقع الحديد على الحديد.

وانهمرت الدماء، فكان الناس والدواب تزلق عليها لكثرة ما تلطخ به أديم الأرض منها.

وبينما يشق النعمان طريقه في قلب العدو، زلق جواده في الدماء فصرعه.

واستشهد القائد العظيم!

وأقبل الليل، والمسلمون يدفعون عدوهم أمامهم... وانتشر الظلام... وقد أصاب الفرس الإعياء، فانكشفوا وتراجعوا منهزمين... فأمعن المسلمون فيهم قتلًا.

فهلك من الفرس مائة وعشرة آلاف قتيل.

تلك هي المعركة الخالدة «نهاوند»، حيث التقى ٣٠٠٠٠ من المسلمين بـ ١٥٠٠٠٠ من الفرس، وكانت النتيجة الحتمية دائمًا، نصرًا ساحقًا للمسلمين، وهزيمة ماحقة لأعدائهم!

وهكذا كانت نهاوند من فتح فارس، ما كانت القادسية من فتح العراق لم يقم للفرس بعدها قائمة، لذلك سماها أهل الكوفة فتح الفتوح.

ورأى عمر ما أصاب الفرس من انهيار، فأسرع يجهز على ما تبقى من بلادهم.

ودفع قواته في سائر ولاياتهم، حتى لا يبقى فيها لمقاومة أثر.

لذلك عقد بنفسه ألوية، عهد إلى أصحابها بالانسياح في أرض فارس جميعًا.

واندفعت جيوش عمر تتم الاستيلاء على بقايا الامبراطورية الفارسية.

تصفية الامبراطورية؟!

اندفعت القوات المعسكرة بأصبهان إلى خراسان.

وتدفقت قوات من البصرة، ومن البحرين، إلى فارس وكرمان.

وسارت الأمداد من بلاد العرب تعزز الجيوش المنتشرة في مختلف الأرجاء من أرض كسرى.

وكذلك أصبحت بلاد كسرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب مسرحًا لحرب واسعة. كانت جيوش المسلمين، في كل غزواتها قلة أبدًا، ثم كانت مع ذلك منتصرة فيها جميعًا.

وكان الملك الشريد الطريد، كسرى يزدجرد، يتتبع أنباء هذا القتال حيثما كان من منازل فراره، فلا يرى لنفسه ملجأ يأوي إليه، ليستقر فيه، بل يضطر إلى التنقل من ملجأ إلى ملجأ، والاعتصام بمدينة بعد مدينة.

مهزلة كسرى!

وسقط إقليم خراسان كله.. وسار الأحنف ـ قائد جيوش المسلمين فيها ـ على رأس الجيش يريد مرو الشاهجان حيث التجأ يزدجرد، وكانت مرو عاصمة خراسان، ومدينتها الكبرى.

فماذا فعل المدعو كسرى؟.. لم يلبث حين سمع بمسيرة الأحنف إلى مرو أن خرج إلى مرو الروذ، وهي مدينة قريبة منها، لكن الأحنف لم يمهله حتى

كيف حكم الإسلام الإمبراطورية الفارسية؟

تلك الإمبراطورية الواسعة الشاسعة التي انهارت. وسقطت بأكملها بأيدي المسلمين، واستسلم أمراؤها أميرًا بعد أمير.. كيف حكمها الإسلام؟؟

لقد رأى الفرس هذا الحكم أكثر انصافًا وعدلًا، وأقل إرهاقًا لهم من حكم الأكاسرة.

فقد تركهم العرب، ولم يزعجوهم عن دينهم، ولم يتدخلوا في شئونهم.

ثم جعلوا لأمراء الولايات من الاستقلال، أكثر مما كان لهم في عهد يزدجرد وأسلافه.

كما تركوا المناصب العامة للفرس لم يحاولوا استغلالها لأنفسهم.

واكتفوا بالجزية، تلك الضريبة البسيطة، يقتضونها وفاقًا للمعاهدات المعقودة، بينهم وبين مختلف الولايات.

وحتى هذه الضريبة، كانوا يسقطونها عن الذين يقومون بواجب الدفاع عن وطنهم مع المسلمين ضد أعداء البلاد!

إلا أن عمر العبقري الملهم، لم يطمئن إلى ذلك كله، فأقام المسالح في شتى أرجائها، واحتاط بذلك لكل انتقاض يمكن أن تقوم به طائفة من أبنائها.

ورأى العقلاء من أبناء فارس سمو الإسلام..

ثم رأوا أنهم يصيرون بمجرد اسلامهم أندادًا للحاكمين يساوونهم ويصاهرونهم، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم..

فدخل الفرس في الإسلام أفواجًا.

وانتهت دولة الأكاسرة إلى الأبد!!

عُمَر . .
وفتح مصر[1] ؟!

(١) سيأتي أنَّ ابن عمر اشترك في فتح مصر . . . وإفريقية .

بينما كانت جيوش المسلمين تنساح في بلاد الفرس لتجهز على امبراطورية النار، كان عمرو بن العاص، يتقدم بجنوده في مصر، يفتح مدنها، ويجلي الرومان عنها، ويسقط دولتهم فيها!

هنالك تدمير لإمبراطورية الفرس، وهنا تدمير لإمبراطورية الروم.. في وقت واحد!

وهناك انتصارات متتابعة خارقة.. وهنا انتصارات متلاحقة.

ويدبر هذا كله ذلك الرجل البسيط، الرابض كالأسد، بالمدينة، المسمى عُمر!!

كيف كان الفتح؟

عاد عمر من رحلته التفتيشية بالشام بعد أن استمع إلى حجج عمرو بن العاص في فتح مصر. فلما نزل المدينة، جمع أهل الرأي فيها وذكر لهم حجج عمرو، وشاورهم في الأمر، فانقسموا في رأيهم.

ولما كان عمر يرى الفتح، فقد كتب إلى عمرو يأمره بالشخوص إلى مصر.

وكان عمرو محاصرًا قيسارية حين جاءه كتاب أمير المؤمنين فاستخلف

معاوية بن أبي سفان على حصارها.

وتحرك في قوة صغيرة.. أربعة آلاف... وسار متمهلًا بساحل البحر، جاعلًا وجهته العريش.

وواصل عمرو سيره في الأربعة آلاف الذين معه إلى العريش فألفوهـا خلاء ليس بها للروم قوة، فتخطاها منحدرًا إلى الجنوب.

ولم يلق عمرو من يوقف سيره حتى بلغ مدينة الفرما، وهناك لقيه الروم في قوة حاولت صده عن الغزو.

وتحصن الروم بالمدينة لمواجهة العرب، إلا أن عمرو وأصحابه، حاصروا الفرما شهرًا، ثم اقتحموها واتخذوها معقلًا، بعد أن هزموا الروم فيها شر هزيمة!

معركة بلبيس؟

انضم إلى عمرو بعد فتح الفرما جند من البدو المقيمين على تخوم الصحراء المصرية، فعوضوا المسلمين عمن فقدوا في أول حصار ضربوه بمصر.

ثم إن عمرًا سار منحدرًا إلى الجنوب ملازمًا هذه التخوم، فتخطى مدينة مجدل القديمة، إلى موضع القنطرة اليوم.

ومن هناك اتجه غربًا إلى القصاصين..

وتابع مسيرته جنوبًا بغرب حتى بلغ بلبيس.

وفي هذا الطريق الطويل الذي قطعه فرسان المسلمين في أرض مصر لم يكن عمرو يدافع إلا بالأمر الخفيف.

بلغ المسلمون بلبيس وصاروا على ثلاثة وثلاثين ميلًا من مدينة مصر وحصونها، وبعث المقوقس حاكم مصر إلى عمرو، أول ما نزل بلبيس، من يفاوضه ليرجع عن مصر.

إلا أن قائد جند الرومان، الأطربون، أبى إلا مقاتلة المسلمين.

وسار الأطربون في اثني عشر ألفًا كاملي العدة، حتى يأخذ المسلمين ببلبيس على غرة.

ولقد فاجأهم، وبيتهم بياتًا شديدًا.

لكن عمرًا كان الحذر كل الحذر، وكان كل جيشه فرسانًا في عدة القتال.

وحميت المعركة بين الفريقين.. فقتل فيها من العرب عدد ليس بالقليل، وخسر الروم ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير.

ثم ماذا؟.. ثم انهزم الأطربون، وتمزق جيشه... وقتل في المعركة!

ومكث عمرو نحوًا من شهر ببلبيس بعد انتصاره الساحق.. ثم تقدم متاخمًا الصحراء حتى نزل قريبًا من قرية «أم دنين» على النيل.. وكانت أم دنين تقع في موضع حي الأزبكية الآن.

سقوط أم دنين

وجاء الرومان إلى حصن بابليون بأكبر قواتهم، وأمدوا حصن أم دنين بقوات مسلحة قوية.

وكان حصن بابليون حصنًا رومانيًا منيعًا، يقع موقع مصر القديمة الآن، وكان متين البنيان، قوي الأسوار. وما زالت منه أطلال لا تزال تشهدها أعيننا حتى الآن.

وأدرك عمرو بن العاص دقة الموقف وخطورته.

فبعث رسولًا إلى المدينة بكتاب يطلب فيه المدد... بينما أذاع في الجند أن المدد يوشك أن يجيء!!

ثم إنه تقدم إلى أم دنين فحاصرها، ووقف قبالتها، يمنع عنها العتاد والتموين.

ومضت أسابيع لم يتغير الموقف فيها.

وإن الفريقين لكذلك، إذ جاءتهم الأنباء بمقدم أول مدد لهم.

وأقبل المدد، ورآه حماة حصن أم دنين جنود هرقل، فرعبوا، وقل خروجهم للقاء المسلمين.

فلما رأى عمرو ذلك منهم، وكان قد عرف مداخل الحصن ومخارجه، تخير وقتًا أمر فيه أصحابه أن يشدوا كلهم على الحصن شدة رجل واحد ليأخذوه عنوة.

وسار هو في طليعتهم إلى بابه، ففتحه الله عليهم، فاستولوا عليه بعد قتال عظيم، وبعد أن أسروا من بقي فيه حيًا!.

وتم الاستيلاء على أم دنين.. وعبر عمرو مع جنده النيل في السفن التي كانت بمرساها، وسار على رأسهم يتخطون الصحراء، مجتازين أهرام الجيزة!

إبادة ورعب!

وانطلق ثعلب الصحراء العربي إلى الفيوم.

وجاءه البدو المقيمين بهذه المنطقة بأنباء عرف منها أن كتيبة من الروم بإمرة رجل اسمه حنا، تسير مختفية في النخيل والآجام قبالته متنطسة أخباره، فإذا حاول اقتحام البلاد الآهلة، دعت الجيش المرابط في ثغور الفيوم لمواجهته.

فواصل عمرو السير حتى بعد بجنا وكتيبته عن الجيش..

ثم ارتد إليه.. وحاصره ومن معه.. وقتلهم عن آخرهم.

وحقق الثعلب العربي مراده بتلك الفعلة، فرعب أهل الإقليم جميعًا.

واكتفى عمرو بما فعل.. وانسحب عائدًا إلى أم دنين سريعًا!

بعد أن حققت خطته أهدافها، حين أشاع الرعب في إقليم الفيوم، فتحدثت مصر كلها أن هؤلاء قوم لا يغلبون!

وعبر عمرو بجيشه النيل إلى الشاطئ الشرقي واتصل بالمدد الذي بعثه إليه أمير المؤمنين، ونزل عين شمس، على مقربة من الحصن الروماني.

معركة عين شمس؟

أيقن عمرو أن ساعة الفصل بينه وبين الرومان قد اقتربت.

فجمع أصحابه من أولي الرأي في الحرب، وتداول معهم في خطة القتال، وكان كل أمله أن يستخرج الرومان من بابليون ليقاتلهم في الفضاء.

وجاءته عيونه بأن الله محقق عما قليل رجاءه.

فقد تداول تيودور، أمير جند الروم مع أصحابه، فرأوا ان مقامهم بالحصن يظهرهم أمام المصريين مظهر الضعف والجبن، ويغري الناس بالانضمام إلى المسلمين ومعاونتهم.

وقد كانت أعدادهم تفوق أعداد المسلمين، وكانوا خيرًا منهم عدة.

لذلك عزموا الخروج إلى العرب لمقاتلتهم، وقرروا السير إلى عين شمس لإجلائهم عنها.

وعرف عمرو خطتهم، فدبر للقائهم، والقضاء عليهم.

أخرج خمسمائة رجل ساروا تحت الليل من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل عند قلعة الجبل.

وأخرج خمسمائة آخرين جعل عليهم خارجة بن حذافة، فساروا قبيل الصبح إلى أم دنين (حي الأزبكية الآن).

وزود هؤلاء وهؤلاء بأوامره.

فلما تنفس الصبح سار هو من عين شمس على رأس قواته كلها، حتى بلغ موضع العباسية الآن.

وهناك انتظر جموع الروم القادمة من حصن بابليون.

وخرج الروم من حصنهم في الصباح الباكر، وتقدموا إلى ناحية عين شمس، وتعاهدوا أن يقضوا على الغزاة القضاء التام!

والتقى الفريقان، كل يريد أن يقضي على عدوه.. وعلا غبار المعركة.

وإنهم لكذلك إذ انحدرت الكتيبة المختبئة في مغار بني وائل، تهوي من الجبل فتعصف بمؤخرة الروم عصفًا!

وفوجئ الروم بمكيدة الثعلب العربي، فتولاهم الفزع لما أصابهم، فاضطربت صفوفهم، وتقهقروا متياسرين نحو أم دنين.

عند ذلك خرج الكمين الآخر إليهم يقوده خارجة بن حذافة، فأمعن فيهم قتلًا!

ورعب الرومان، وتصوروا أن ثلاثة جيوش من العرب تقاتلهم من ثلاث نواح مختلفة، وأنهم لا أمل لهم في المقاومة. فانحل نظامهم، ولاذ أكثرهم بالهرب يطلبون النجاة من سيوف العرب!

وانتهت معركة عين شمس إلى نصر حاسم للعرب!

عِزَّة!؟

وسار عمرو إلى مدينة مصر فاستولى عليها بغير قتال.

ثم نقل معسكره من عين شمس فأنزله بين البساتين والكنائس، في المكان الذي أقام فيه الفسطاط من بعد.

وعلم بأن حامية الروم بالفيوم فرت إلى نقيوس حين علمت بنصر المسلمين، فجهز على الفور كتيبة سارت في طريق الصحراء، فاستولت على إقليم الفيوم كله!.

ولم يكتف بهذا بل أرسل قوة أخرى إلى جنوب الدلتا، فاستولت في إقليم المنوفية على أثريب ومنوف.

وأمر عمرو أن يؤتى بالحكام من الروم مجموعة أيديهم في الاصفاد.. وأرجلهم في القيود..

ورأى المصريون ذلك المنظر، فخشعت نفوسهم، وازدادوا رهبًا!

واستولى الرعب على كثير منهم، ففروا إلى الاسكندرية.

حصار حصن بابليون؟

كثر اللاجئون من الرومان إلى حصن بابليون، وعزموا على الدفاع عنه، والقتال دونه.

وعزم عمرو على محاصرة الحصن..

وكان ذلك الحصن حين الفتح العربي قلعة رومانية من أمنع القلاع وأقواها.

وكان الروم بالحصن يرمون العرب بالمجانيق فيجيبهم العرب بالحجارة والسهام.

ودام الحصار على ذلك شهورًا..

وضاق العرب ذرعًا بالشهور السبعة التي انقضت منذ حاصروا الحصن، ففكروا في ضرورة اقتحامه مهما كان الثمن.

وكان الزبير بن العوام أشدهم حماسة، وأكثرهم على الموت في سبيل الله إقبالًا، فقال في الناس: «إني أهب نفسي لله، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين».

ثم أقبل بعد أيام في الليل مع كتيبة آزرته، فطمروا الخندق المحيط بالحصن في موضع اختاروه، ووضعوا سلمًا على السور علاه الزبير بعد أن أمر أصحابه إذا سمعوا تكبيره أن يرقوا إليه، وأن يجيبوه جميعًا.

واستوى الزبير بأعلى الحصن، وانطلق يكبر، وسيفه يلمع في يده...

فتبعه أصحابه، وصعدوا السلم، وساروا إلى جانبه، وكبروا معه.
وأجاب المسلمون من خارج الحصن تكبيرهم.
فأيقن الروم أن العرب قد اقتحموا الحصن فهربوا.
وعمد الزبير إلى باب الحصن ففتحه، ودخل المسلمون، واستولوا على ما فيه.
وخرج جند الروم من الحصن، يعلوهم عار الهزيمة.

فتح الاسكندرية؟!

وسار عمرو إلى الاسكندرية، عاصمة البلاد، وعروس الشرق...
وطال حصاره لها أربعة عشر شهرًا.. وأمير المؤمنين ينتظر أنباء فتحها دون جدوى.
فاشتد غضب عمر لبطء الفتح، وقال لأصحابه، «ما أبطئوا لفتحها إلا لما أحدثوا»!
ثم كتب عمر إلى عمرو.. عجبت لإبطائكم عن فتح مصر. إنكم تقاتلونهم منذ سنتين. وما ذلك إلا لما أحدثتم، وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم. وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قومًا إلا بصدق نياتهم.
«وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل... فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، ومر الناس جميعًا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد.
«وليكن ذلك عند الزوال، يوم الجمعة، فإنها ساعة تنزل الرحمة، ووقت الإجابة، وليعج الناس إلى الله، ويسألونه النصر على عدوهم».
أرأيت؟.. إن عمر يضع بنفسه خطة اقتحام الاسكندرية، ويختار قواد الجيش بنفسه، ويحدد ساعة الصفر، ساعة الهجوم!

اقتحموا!

كيف السبيل إلى فتح الاسكندرية، ويتحصن بها خمسون ألفًا من الرومان في حصون هي غاية في المناعة؟

جمع عمرو الناس، وقرأ عليهم الكتاب، ثم دعا أولئك النفر الذين ذكروا فيه فقدمهم.

وأمر الناس أن يتطهروا، ويصلوا ركعتين، ثم يرغبوا إلى الله عز وجل، ويسألوه النصر على عدوهم، ففعلوا.

ودعا عمرو عبادة بن الصامت، وعقد له، وولاه قتال الروم.

خرج الجيش وعلى رأسه عبادة بن الصامت.

واقتحموا الاسكندرية اقتحام رجل واحد، كما أمرهم أمير المؤمنين.

وكانت معركة هائلة، فاقت معارك القادسية، والمدائن، ونهاوند...

ففتح الله عليه ليومه... وهرب الروم في البر والبحر!!

ودخل المسلمون الاسكندرية قهرًا، في أول السنة العشرين من الهجرة، فاقتحموا أسوارها، وفتحوا أبوابها. ففر الروم منهم إلى البر والبحر وأذعن لهم سكان العاصمة، وأسلموهم مقاليدها.

ودخل أصحاب رسول الله ظافرين... ورأوا الاسكندرية لأول مرة..

ماذا رأوا؟... رأوا المدينة في أبهى صورها... الحضارة آنذاك كانت في الاسكندرية!

كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين: «فإني فتحت مدينة لا أصف ما فيها، غير أني أصبت فيها أربعة آلاف بنية، بأربعة آلاف حمام، وأربعين ألف يهودي عليهم الجزية، وأربعمائة ملهى للملوك».

لقد كانت الاسكندرية وقتئذ أكبر عاصمة عالمية، فيها جميع اللغات، وجميع الحضارات، وجميع الأجناس، وجميع الأديان، وجميع الاتجاهات... ومع هذا كله حكمها الإسلام، ونظمها، وكفل لأهلها أسعد حياة!

الانطلاق إلى برقة؟

أصبح الأمر في مصر خالصًا للمسلمين من شواطئ بحر الروم إلى بلاد النوبة.

فهل هدأ عمرو واستراح إلى ذلك؟.. كلا.. بل خرج في قواته، فسار من الاسكندرية إلى برقة.

ولم يكن الطريق بينهما صحراويًا كما هو اليوم، بل كان يجري في أرض خصبة، تحيط به من الجانبين زروع وفاكهة وكروم وعمران متصل.

وسار فرسان المسلمين في نزهة ممتعة حتى انتهوا إلى برقة.

فسلمت صلحًا، ورضيت أداء الجزية.

ثم إلى طرابلس؟

ثم واصل عمرو سيره إلى طرابلس، وكانت ميناء حصينًا، به قوة من الروم تحميه.

وعرف العرب أثناء حصارها، أن المدينة غير محصنة من جانب البحر، فانسل جماعة منهم من تلك الناحية، وصاحوا مكبرين، فلم يسع الروم إلا الفرار إلى السفن تاركين المدينة، يفتح الحراس أبوابها، فيدخلها عمرو على رأس جيشه!

إلى الأطلنطي؟

هل وقف عمرو عند هذا الحد؟.. كلا.. إنه سير الكتائب تذيع الرعب في قلوب أهل الإقليم فاستسلم السكان جميعًا.

وكتب إلى أمير المؤمنين يستأذنه في السير إلى تونس وما وراءها من شمال

أفريقيا حتى المحيط الأطلنطي.. فلم يأذن له.

فعاد إلى برقة حيث أقبلت إليه أكبر قبائل البربر فدانت له بالطاعة.

فلما تأكد للقائد العربي أن لم يعد للروم سلطان بشمال أفريقيا، عاد إلى الاسكندرية بالأسرى والغنائم!

حرية العقيدة؟

كان أول أمر أذاعه عمرو بن العاص في الناس جميعًا من النوبة إلى الاسكندرية، أن لا إكراه في الدين، وأن حرية العقيدة أمر مقدس فلن يضار أحد في حريته، أو في ماله بسبب دينه أو مذهبه.

من شاء أن ينتقل من دين إلى دين أو من مذهب إلى مذهب فلن يصاب لذلك بسوء.

ومن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

منشور عجيب أذاعه عمرو بن العاص في أنحاء البلاد.

ونفذت هذه السياسة بدقة وإخلاص.

ورأى المصريون حكمًا جديدًا، يحترم الحريات، ويترك الناس أحرارًا في آرائهم، وعقائدهم، ومذاهبهم الفكرية. وقارنوا بين ما جاء به حكم الإسلام، وما كانوا عليه من اضطهاد وتعذيب دام عشرة أعوام أيام الرومان، فأيقنوا أن الإسلام هو دين الحرية.

والمساواة؟

وخفف عمرو وطأة الضرائب، وألغى ما قرره الرومان من فروق بين الناس في أمرها.

كان الرومان يحصلون غير جزية الرءوس ضرائب كثيرة من أنواع شتى أكثرها غير عادل.

وكانوا قد منحوا امتيازات طبقية لبعض الطوائف، فأعفوهم من الجزية ومن ضرائب معينة، خصوصًا أهل الاسكندرية.

فألغى عمرو ما كان غير عادل من تلك الضرائب، وسوى بين الناس في أدائها.

فتحدث الناس بعدالة عمر، عدالة الإسلام.

العاصمة الجديدة؟

كتب عمرو إلى أمير المؤمنين يستأذنه في المقام بالإسكندرية، وإقامة حكومته بها، وسأل عمر الرسول: هل يحول بيني وبين المسلمين ماء.

أجابه: نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل.

لذلك كتب عمرو: «لا أحب أن تنزل المسلمين منزلًا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف».

فلما عاد من الاسكندرية أمر جنده أن ينزلوا عند الفسطاط وأن يختطوا دورهم حوله.

واختطت المدينة، وقسمت بين أحياء العرب وبناها لهم القبط.

وبنى عمرو مكان فسطاطه (خيمته) وما حوله مسجدًا بين حدائق وأعشاب.

وظل قائمًا مع أصحابه حتى حرروا قبلته.

ثم إنه اتخذ في المسجد منبرًا يخطب الناس من فوقه. فلما عرف عمر صنيعه ذاك كتب إليه يقول: «فإنه قد بلغني أنك اتخذت منبرًا ترقى به على رقاب المسلمين أما حسبك أن تقوم قائمًا والمسلمون تحت عقبيك؟! فعزمت عليك إلا ما كسرته!».

فكسره عمرو.. وأزاله!

وبنى عمرو دارًا لعمر بن الخطاب وكتب إليه. إنا قد اختططنا لك دارًا عند المسجد الجامع.

فأجابه عمر: أنَّى لرجل من الحجاز أن يكون له دار بمصر.

وأمره أن يجعلها سوقًا للمسلمين، فنفذ عمرو أمره!».

ودائمًا وابدًا... تجد عمر عاليًا على الدنيا، عاليًا على شهوات النفس.

لقد أبى أن ينزل تلك الدار. وأمر بتحويلها إلى الشعب، إلى الجماهير!!

نموذج للمجتمع الإسلامي

كما أنشئت الكوفة، والبصرة، في العراق، مدنا إسلامية، يطبق فيها النظام الإسلامي الصحيح، كذلك أنشئت الفسطاط مدينة إسلامية، بعيدة عن مدينة مصر، مستقلة عنها في كل شيء..

ودائمًا نلحظ في تلك المدينة التي ينشئها الجيش الإسلامي، أن المسجد يتوسطها، وتنتشر من حوله بيوت الجنود.

وفي هذا المجتمع الصغير، تتمركز الفكرة الإسلامية، بقواتها ومبدئها.

القوة ممثلة في الجيش كله، والفكرة ممثلة في كتاب الله.

مجتمع كامل يطبق الإسلام على نفسه في كل شيء، وعلى استعداد دائمًا ليبذل دمه في سبيل عقيدته.

ومن هذا المجتمع الصغير كان ينبثق الإسلام نورًا على البلاد التي يفتحها، وتوجيهًا لأبنائها، وعدلًا في حكمها.

وهو أبرع أسلوب في الدعوة إلى دين الله... وعرض الفكرة على الأجانب عنها.

وسرعان ما اقتنع المصريون، وسرعان ما دخلوا بعد ذلك في دين الله أفواجًا!.

فليأت البطريرك آمنًا!

فلما أيقن رهبان القبط أن عمرًا يحترم حرية العقائد، خرج عدد عظيم منهم من الأديار التي كانوا قد اعتصموا بها من اضطهاد الرومان.

وساروا إلى عمرو يعلنون له الطاعة.

وكتب للقبط جميعًا أمانا خص فيه بنيامين بقوله: « فليأت البطريق الشيخ آمنًا على نفسه وعلى القبط الذين بأرض مصر، والذين في سواها، لا ينالهم أذى ».

وعلم بنيامين بما أذاعه الفاتح العربي، فخرج من مخبأه بالصحراء وسار إلى الاسكندرية، فدخلها دخول الظافر، في مظاهر من ابتهاج القبط، لا يساورها خوف، ولا يشوب صفوها كدر.

ثم دعاه عمرو إليه، وقابله بالترحيب والتكريم وجعل له ولاية الدين على القبط، يسوسهم في أمورهم بما يشاء.

وخرج البطريرك القبطي من حضرة الفاتح الإسلامي، وعاد إلى الاسكندرية يلهج بالثناء عليه، ويقول لأتباعه: « عدت إلى بلدي الاسكندرية، فوجدت بها أمنا من الخوف، واطمئنانًا بعد البلاء. وقد صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم ».

وكان المصريون يقولون: « ما خرج الروم من الأرض، وانتصر عليهم المسلمون إلا لما ارتكبه هرقل من الكبائر، وما أنزله بالقبط وملتهم. لقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر ».

المصريون يتدفقون على الإسلام؟!

أشاع عمرو جوًا من الحرية في ربوع البلاد، كما أشاع جوًا من العدالة والمساواة في أنحائها.

فأقبل العقلاء من المصريين على النظر في المذاهب المختلفة، ثم انتهى أكثرهم إلى قبول الإسلام، والدخول فيه.

لماذا؟.. إن أحدًا لم يكرههم على الإسلام، أو يرهبهم ليقبلوا هذا الإسلام، فلماذا تدفقوا عليه؟.

لأنهم رأوا فيه ما يمضي مع الفطرة السليمة الكريمة.

رأوا فيه شعاع لا إله إلا الله، التي تهفو لها الأفئدة عن طواعية وحنين، لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها.

ورأوا فيه قومًا عدولًا، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه.

ورأوا فيه دعوة عامة لكل الناس، لا تفرق بين لون ولون، ولا بين حر وعبد، ولا بين شريف ووضيع، وإنما الكل سواء.

والعقول السليمة إذا هيأت لها جوًا من الحرية، تهتدي بفطرتها إلى ما في الإسلام من تعاليم.

يقول بتلر: «ليس من العدل أن يقال إن كل من أسلم من القبط إنما يقصد الدنيا وزينتها. وإذا كان منهم من أسلم طمعًا في أن يتساوى بالمسلمين الفاتحين حتى يكون له ما لهم، وينجو من دفع الجزية فإن هذه المطامع ما كانت لتدفع إلا من كانت عقيدتهم غير راسية.

«أما الحقيقة المرة فهي أن كثيرين من أهل الرأي والحصافة قد كرهوا المسيحية لما كان من عصيان لصاحبها، إذ عصيت، ما أمر به المسيح من حب ورجاء في الله، ونسيت ذلك في ثوراتها وحروبها التي كانت تنشب بين شيعها وأحزابها.

«ومنذ بدا ذلك لهؤلاء العقلاء لجئوا إلى الإسلام فاعتصموا بأمنه، واستظلوا بوداعته وطمأنينته وبساطته».

سياسة عمر العليا في مصر؟

أما الجيش وقياداته فكانت حقًا خالصًا للمسلمين الفاتحين.

وأما الشرطة فقد تركت للمصريين، كما كانت أيام الرومان.

وكانت الأوامر إلى الجيش الإسلامي الفاتح، أن يكون مستعدًا للدفاع عن البلاد ضد أي عدوان خارجي، لذلك حرم على أفراده أول الأمر امتلاك أي شبر من أراضي مصر.

وفرضت للجنود مهايا يقتضونها لنفقتهم ونفقة أسرهم، وأقاموا على ذلك كل خلافة عمر.

فكانت المهايا تصرف إلى الجيش من حصيلة الجزية، وإن تبقى شيء أرسل إلى المدينة، العاصمة المركزية للدولة.

أما المناصب المدنية فترك عمرو أكثرها لجماعة من الروم كانوا يتولونها من قبل دولتهم قبل الفتح، ثم آثروا البقاء بمصر بعد الفتح.

ورضي كثير منهم الإسلام ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

أقر عمرو ميناس على حكم مصر السفلى، حيث كان من عهد هرقل.

وأقر غيره من بني جنسه على حكم بعض الأقاليم.

كما أقر الروم الذين كانوا فيما دون ذلك من المناصب ولم يتركوا مصر.

وشغل القبط المناصب التي خلت لأن أصحابها من الروم تركوا البلاد.

وهكذا الإسلام... يتطور، ويتجدد، ويتبلور مع كل ظرف، وكل زمان.

عمر يأمر باستشارة البطريرك!

عجيب هذا الإسلام... إنه يبتلع آراء الناس جميعًا، سواء كانوا له أم عليه، ويهضمها، ويخرجها نظامًا طيبًا إلى الجميع.

لما عرف عمر مكانة بنيامين من المصريين، كتب إلى عمرو أن يلتمس الرأي عند البطريق القبطي في خير الوسائل لحكم البلاد وطمأنينة أهلها.

وفرح بنيامين فرحًا شديدًا.. وأخلص المشورة لعمرو..

وكانت آراؤه أن يحصل الخراج (ضريبة الأطيان) من غلة الأرض عند فراغ الناس من زروعهم، ومن عصر كرومهم.

وأن تحفر خلجان مصر، وتصلح جسورها، وتسد ترعها.

وأن يعطى العمال أرزاقهم بغير انقطاع لئلا يرتشوا.

وألا يباح مطل الناس حقوقهم بغيا بغير حق. وألا يلي أمور الناس عامل ظالم.

إن البطريرك يرى أن إصلاح نظام الحكم في مصر، يجب أن يعتمد على الأسس الآتية:

تحصيل ضريبة الأطيان الزراعية بعد جني المحاصيل.. الاهتمام بمشروعات الري والطرق لزيادة الرقعة المزروعة.. صرف مهايا الموظفين والعمال بانتظام لئلا يرتشوا.. سرعة إنهاء موظفي الدولة لأعمال الجمهور لئلا تتعطل.. عزل كل موظف ظالم مهما كانت أوضاعه عن وظيفته.

أرأيت... إن ما أشار به البطريرك.. وأقره عمرو، يكاد يكون نفس ما يشير إليه المصلحون الآن.. ومصر هي مصر دائمًا.. مشاكلها وحلولها لا تتغير.

وارتاح عمرو إلى ما أشار به البطريرك، فكتب إلى عماله في أرجاء البلاد، وأمرهم أن يتبعوا هذا الرأي لا يحيدون عنه.

خليج أمير المؤمنين!

وانطلق الفاتح العربي يشعل الثورة الإصلاحية في أنحاء البلاد المصرية. والإسلام دائمًا أبدًا ينادي بمبدئه الخالد... ﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾[1] ...

هذا هو عمرو بعد أن أشاع العدل والمساواة في أنحاء مصر، ينطلق إلى تنفيذ المشروعات الكبرى، للنهوض باقتصادها.

وبادر عمرو إلى القيام بهذا العمل العظيم.. وأتمه في وقت قصير لم يبلغ عامًا كاملًا.

وكان هذا الخليج يجري مبتدئًا من شمال بابليون متجهًا شمالًا بشرق إلى بلبيس. فإذا جاوزها اتجه شرقًا إلى بحيرة التمساح، ليخرج من جنوب هذه البحيرة، فيتابع جريانه خلال البحيرات المرة فيبلغ البحر الأحمر عند السويس.

معسكرات العمل!

جند عمرو الألوف من العمال المصريين للقيام بحفر الخليج وكانت أوامره صريحة قاطعة، أن يتم المشروع في أقرب وقت مستطاع.

وما هي إلا شهور حتى خرج الخليج إلى الوجود، عملًا رائعًا يشهد للقيادة العربية بالعبقرية، ويشهد للانتاج المصري بالعظمة.

عمرو يشق قناة السويس؟!

وانطلق العملاق العربي في ثورته الاصلاحية.. وكان أعجب ما فكر فيه عمرو أنه كان يريد حفر خليج بين بحيرة التمساح وبحر الروم، يصل مياه البحرين، الأحمر والأبيض، نحو ما هو حادث اليوم.

---

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

واعتزم عمرو القيام بهذا العمل الضخم، لولا اعتراض أمير المؤمنين أنه يسهل للروم اختراق هذه القناة وتسيير سفنهم إلى البحر الأحمر.

ولم يكن للعرب إلى يومئذ أسطول تجاري أو أسطول حربي يقف في وجه أسطول الروم أو ينافسه.

فكان العدول عن حفر قناة تصل مياه البحرين بعض ما يقضي به الحذر!

ما هذا؟.. إنه العملاق العربي إذا انطلق.. إن عمرو بن العاص كان يريد، وعزم فعلًا على شق قناة السويس، لولا أن منعه من ذلك أمير المؤمنين لأسباب عسكرية، هي حماية العالم الإسلامي من أسطول الروم.

ولقد مضت القرون.. حتى كان القرن التاسع عشر، وشقت هذه القناة بأيدي أبناء مصر، ومات فيها الآلاف منهم وافتتح خليج أمير المؤمنين، وسارت فيه السفن من الفسطاط إلى البحر الأحمر.. وكان طريقًا عالميًا للتجارة الدولية، أعاد إلى مصر أهميتها، كطريق عالمي للمواصلات.

ولو أن أمير المؤمنين وافق عمرًا على رأيه، وتركه يشق قناة السويس، ويصل بحيرة التمساح ببحر الروم لكان من ذلك طريق عالمي آخر، ولنعم العالم بطريقين عظيمين مائيين، يصلان البحر الأبيض بالبحر الأحمر.

الأول خليج أمير المؤمنين، والثاني قناة السويس.

عقلية فعالة متطورة!

كان حكم عمرو لمصر رحمة للمصريين، نعموا فيه بعدالة الإسلام.

أخذ بنصيحة بنيامين في أمر ضريبة الخراج وتحصيلها، وكان يذهب إلى أبعد من ذلك في تخفيف وطأته.

فقد كان هذا الخراج يزيد وينقص تبعًا لحالة الفيضان ومحصول الزراعة، وكان أعيان كل قرية وبلد يجتمعون كل عام في لجنة تحدد مقدار ما يحصل منها حسب هذه الأحوال.

فإذا زاد المال الذي يحصل من بلد على الخراج المفروض عليها، أنفق الزائد في إصلاح أحوالها.

وكان ما يحصل من ضريبة الخراج أقل بكثير مما كان الروم يحصلونه من الضرائب الكثيرة الفادحة التي فرضوها على المصريين فيما سوى العاصمة من أرجاء البلاد.

كما أسقط عمرو الامتيازات التي كان يتمتع بها أهل الاسكندرية، وسوى بينهم، وبين سائر سكان البلاد.

ومن هنا نعلم أن عقلية عمرو عقلية متطورة فعالة، تتبلور مع الأحداث ولا تقف جامدة أمام حوادث الحياة.

وهكذا كان هؤلاء الناس دائمًا... لم يكونوا ككثير من مسلمي اليوم، غافلين عن دنياهم، جاهلين بها، وإنما كانوا حركة دائبة، وتَوثُّبًا دائمًا نحو الأرقى فالأرقى.

وتدفقت تبعًا لسياسة عمرو العملية في مصر الأموال على الخزانة العامة، حتى بلغ ما يجبى من ضريبة الجزية وحدها ستة عشر مليونًا من الدنانير سنويًا، فضلًا عما كان يجبى من ضريبة الخراج.

وبقى نظام الإدارة في دواوين الدولة جاريًا مجراه من قبل.

وطابت الحياة لعمرو بن العاص... وطابت الحياة للمصريين جميعًا.

وبعث يصف مصر إلى أمير المؤمنين...

مصر شجرة خضراء!

«اعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر، وعرضها عشر، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر. يخط وسطها نيل مبارك الغدوات، ميمون الروحات، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، له أوان يدر حلابه ويكثر فيه ذبابه، تمده عيون الأرض وينابيعها.

«حتى إذا ما اصلخم عجاجه، وتعظمت أمواجه، فاض على جانبيه فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب وخفاف القوارب، وزوارق كأنهن في المخايل، ورق الأصائل.

«فإذا ما تكامل في زيادته، نكص على عقبيه كأول ما بدأ في جريته، وطما في درته».

«فعند ذلك يخرج أهلها. يحرثون بطون الأرض، ويبذرون بها الحب، يرجون بذلك النماء من الرب.

«فإذا أحدق الزرع، وأشرق، سقاه الندى، وغذاه من تحته الثرى».

«فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء..»

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب وقرأه قال: «لله درك يا ابن العاص! لقد وصفت لي خبرًا كأنني أشاهده»!!!

اغتيال ...
عُمر ...[1] ؟!

(١) سيأتي فيما بعد ما قام به عبدالله بن عمر عند اغتيال أبيه!!!

اللهم ارزقني الشهادة!

كان عمر يحج كل عام، ويدعو ولاته وعماله، يوافونه أيام الحج بمكة كي يحاسبهم على أعمالهم، ويشاركهم في تدبير شؤون ولايتهم.

فلما كانت السنة الثالثة والعشرون للهجرة، حج معه أزواج رسول الله ﷺ.

فلما قضى مناسكه، وأفاض من منى، أناخ بالأبطح، فكوم كومة من بطحاء، ألقى عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها.

ورفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

«اللهم ارزقني الشهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك»!!!

تهديد!

كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم أن يدخل المدينة.. حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة، وهو على الكوفة، يستأذنه في غلام صايغ يدعى أبا لؤلؤة، واسمه فيروز، يحسن أعمالًا كثيرة فيها منافع للناس، فهو حداد، ونقاش، ونجار.

فأذن له عمر.. فأرسل به المغيرة، وكان يستغله كل يوم أربعة دراهم، وضرب عليه مائة درهم في كل شهر، لأنه كان يصنع الأرحاء (جمع رحى وهي الطاحون).

فجاء الغلام إلى عمر يشتكي إليه ويقول: يا أمير المؤمنين، إن المغيرة قد أثقل عليَّ غلتي، فكلمه لي ليخفف عني.

فقال له عمر: ما تحسن من الأعمال؟

فذكرها له، فقال له عمر: فما خراجك بكثير، فاتق الله، وأحسن إلى مولاك.

وكان في نية عمر أن يقابل المغيرة فيكلمه يخفف عنه،

انصرف العبد مغضبًا، وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري!

وكان خبيثًا، إذا نظر إلى السبي الصغار، يأتي فيمسح رؤوسهم ويبكي، ويقول: أكل عمر كبدي!

فأضمر قتل عمر، فاصطنع خنجرًا له رأسان وسمه.

ثم أتى به الهرمزان فقال: كيف ترى هذا؟

وجعل أبو لؤلؤة يتحين الفرص، فمر يومًا بعمر، فقال له عمر: ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟

فالتفت العبد ساخطًا، عابسًا إلى عمر (ومع عمر جماعة) فقال: لأصنعن لك رحى يتحدث بها الناس.

فلما ولى، قال عمر للذين معه: أوعدني العبد آنفًا.

كيف وقع الحادث؟

خرج عمر من منزله بالمدينة، قبل مطلع الشمس، من يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين للهجرة، يؤم الناس لصلاة الفجر.

وكان يوكل رجالًا في المسجد بالصفوف يسوونها، قبيل كل صلاة، فإذا استوت جاء هو فنظر إلى الصف الأول، فإذا رأى فيه متقدمًا أو متأخرًا علاه بالدرة، حتى إذا انتظم الجميع في أماكنهم كبر للصلاة.

دخل عمر في تلك الساعة من ذلك اليوم، ولما يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. فما هو إلا أن كبر حتى ظهر رجل فجأة قبالته، فطعنه بخنجره ست طعنات، إحداها تحت سرته.

وأحس عمر حر السلاح، فالتفت إلى المصلين، باسطًا يديه يقول: «أدركوا الكلب فقد قتلني!»

وكان الكلب أبا لؤلؤة النصراني فيروز - غلام المغيرة - وكان فارسيًا، أسر في نهاوند، ثم وقع في ملك المغيرة بن شعبة.

ثم اندفع يريد الفرار نجاة بنفسه، وماج الناس مضطربين لما سمعوا، وأقبل كثيرون منهم على الكلب يريدون القبض عليه، والتنكيل به.

ولم يدعهم فيروز يأخذون بتلابيبه، بل جعل يطعنهم يمنة ويسرة، حتى طعن اثني عشر، مات منهم ستة!

فلما رأى ذلك عبد الرحمن بن عوف طرح عليه رداءه وطرحه أرضًا.

وتأكد فيروز أنه مقتول لا محالة مكانه، فانتحر بالخنجر الذي ضرب به أمير المؤمنين... ونحر نفسه!

كانت الطعنة التي أصابت عمر تحت سرته، قد قطعت الصفاق والأمعاء، وكانت لذلك قاتلة.

ولم يستطع عمر الوقوف من حرها، بل سقط طريحًا.

قرار الأطباء

لما احتمل عمر.. انطلق الناس معه إلى البيت، فقال قائل: لا بأس، وقائلٌ: أخاف عليه.

قال ابن عمر: فسمعت عمر يقول: أرسلوا إلى طبيب ينظر إلى جرحي هذا.

فأرسلوا إلى طبيب من العرب، فسقى عمر نبيذًا (منقوع التمر) فشبه النبيذ بالدم، حين خرج من الطعنة[1].

فدعوت طبيبًا من الأنصار، من بني معاوية، فسقاه لبنًا، فخرج اللبن من الطعنة بصديد أبيض.

فقال له الطبيب: يا أمير المؤمنين اعهد[2]:

قال عمر: صدقني أخو بني معاوية، ولو قلت غير ذلك كذبتك.

لقد كان قرار الأطباء أن عمر سوف يموت، فها هو شراب النبيذ يخرج من فتحة الطعنة التي تحت السرة بلون الدم، ثم ها هو اللبن يخرج بصديد أبيض، أي أن أحشاءه تقذف ما يلقى إليها ولا تمسكه!.

ما أخاف إلا إمارتكم هذه؟

لما سقي عمر اللبن، وخرج من جرحه، قالوا لا بأس عليك يا أمير المؤمنين.

قال: إن يكن القتل ثابتًا فقد قتلت.

فجعل الناس يثنون عليه يقولون: جزاك الله خيرًا يا أمير المؤمنين. كنت

---

(١) الطعنة التي تحت السرة.

(٢) يريد أنه ميت لا محالة، فعليه أن يوصي بما شاء.

وكنت، ثم ينصرفون، ويجيء آخرون فيثنون عليه فقال: أما والله على ما تقولون، وددت أني خرجت منها كفافًا، لا عليّ ولا لي وأن صحبة رسـول الله ﷺ سلمت لي.

وروي أنه قال أبالإمـارة تزكونني؟ لقد صحبت رسول الله ﷺ وهو عني راض، وصحبت أبا بكر فسمعت وأطعت، وتوفي أبو بكر وأنا سامع ومطيع، وما أصبحت أخاف على نفسي إلا إمارتكم هذه.

عن ابن عباس قال: لما طعن رضي الله عنه، دخلت عليه، فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين، قد مصر الله بك الأمصار، ودفع بك النفاق.

قال: أفي الإمارة تثني عليّ يا ابن عباس؟!

قال: وفي غيرها.

قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها، لا أجر ولا وزر.

يموت مدينًا وكنوز الأرض تحت يده!!

قال لابنه: يا عبدالله بن عمر! أنظر ما علي من الدين؟

فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف درهم.

قال عمر: إن وفى به مال آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فاسأل فيه بني عدي، فإن لم تف أموالهم فاسأل فيه قريشًا، ولا تعدهم إلى غيرهم.

قال عبد الرحمن بن عوف: ألا تستقرضها منها من بيت المال حتى تؤديها؟

فقال عمر: معاذ الله أن تقول أنت وأصحابك بعدي، أما نحن فقد تركنا نصيبنا لعمر، فتعزّوني بذلك، فتتبعني تبعته، وأقع في أمر لا ينجيني إلا المخرج منه.

ثم قال لعبدالله بن عمر: اضمنها.. فضمنها.

فلم يدفن عمر حتى أشهد بها ابن عمر نفسه على أهل الشورى، وعدّة من الأنصار.

وما مضت جمعة حتى حمل المال إلى عثمان، وأحضر الشهود على البراءة بدفعه!

هل سمعت الدنيا؟... عمر، الذي فتح الامبراطوريتين، وجاءته كنوزها قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، يموت مدينًا!

وليس هذا وحده وجه العجب، وإنما الأعجب أنه يرفض أن يقترض من خزائن الدولة المبلغ اللازم لسداد ديونه!

وأعجب من ذلك وأعجب أنه يأمر ابنه، أمام الجميع أن يسدد ذلك الدين من مال أسرة عمر!

ثم ترتفع عظمته وتعلو حين تسدد أسرته ديونه بعد أسبوع من إصابته، وذلك في خلافة عثمان!!

لو شاء عمر لأخذ ما شاء من الأموال من الخزانة العامة، ولما كان لأحد أن يقول في ذلك شيئًا، فهو أمير المؤمنين، وحاكم المشرقين، ومن حقه على الدولة أن تقوم بنفقات أسرته.

ولكنه تعفف... فمات مدينًا، ورفض أن تتحمل الدولة من دينه شيئًا!

صهيب يصلي بالناس!

وجعلها شورى في ستة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وجعل عبدالله بن عمر معهم مشيرًا، وليس منهم.

وأجلهم ثلاثًا، وأمر صهيبًا أن يصلي بالناس!

أعظم بفعلك يا عمر!... تعين صهيبًا، وكان من الجماهير، ليصلي بالناس

ثلاثة أيام، وهي فترة الانتقال التي حددتها لاختيار الخليفة من بين الستة؟!

معنى هذا أن صهيبًا كان وصيًا على العرش، أثناء فترة الانتقال، وصي على عرش أكبر دولة في العالم، ويصلي بالشعب والصلاة من أظهر مظاهر الولاية العامة.

وفي هذه اللفتة من عمر تكريم للضعفاء، وهم دائمًا الأغلبية الساحقة من الشعوب.

إن كان شقاق فهو فيكم!

ودعا عمر هؤلاء النفر الذين جعل الخلافة شورى بينهم، فقال: «إني قد نظرت لكم في أمر الناس، فلم أجد عند الناس شقاقًا إلا أن يكون فيكم، فإن كان شقاق فهو فيكم.

ثم قال: إن قومكم إنما يؤمرون أحدكم أيها الثلاثة (لعبد الرحمن وعثمان وعلي).

فاتق الله يا علي، إن وليت شيئًا من أمور المسلمين، فلا تحملن بني هاشم على رقاب المسلمين.

ثم نظر إلى عثمان وقال: اتق الله، إن وليت شيئًا من أمور المسلمين، فلا تحملن بني أمية على رقاب المسلمين.

وإن كنت على شيء من أمر الناس يا عبد الرحمن، فلا تحمل ذوي قرابتك على رقاب الناس.

ثم قال: قوموا فتشاوروا فأمروا أحدكم.

وقاموا يتشاورون...

قال عبدالله بن عمر: فدعاني عثمان مرة، أو مرتين، ليدخلني في الأمر، ولم يسمني عمر، ولا والله ما أحب أني كنت فيه، علمًا أنه سيكون في أمرهم ما

قال أبي (أي من الشقاق) والله قلما رأيته يحرك شفتيه بشيء قط إلا كان حقًا.

فلما أكثر عليّ عثمان قلت له: ألا تعقلون؟ أتؤمرون وأمير المؤمنين حي؟!

فوالله لكأنما نبهت عمر من مرقد.

فقال عمر: أمهلوا، فإن حدث بي حدث فليصل لكم صهيب، مولى بني جدعات، ثلاث ليال، ثم أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه.

ليتني لم أُخلق!

واقترب الوعد الحق، وأحس عمر أنه لم يبق له إلا لحظات في هذه الحياة!

فجعل يحاسب نفسه عما قدمت يداه، فهو عما قليل، سيقف بين يدي ربه، يسأله عما قدم وأخر.

واشتد خوف عمر، وكان يزداد خوفًا من الله كلما أقبل على الآخرة.

وكان يشتد خوفه كلما ازداد ثناء الناس عليه!

روي أنه مد يده فأخذ تبنة كانت على الأرض إلى جنب فراشه فرفعها أمام عينيه، وقال «ليتني كنت هذه التبنة! ليتني لم أخلق! ليت أمي لم تلدني! ليتني لم أك شيئًا! ليتني كنت نسيا منسيًا!».

ضع خدِّي بالأرض!

وأوصى عمر ألا يغسلوه بمسك، أو يقربوا منه مسكًا، على ما كان يصنع العرب بذوي المكانة منهم.

وقال لابنه: «اقصدوا في كفني، فإنه إن يكن لي عند الله خير أبدلني

خيرًا منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي.

« واقصدوا في حفرتي، لا تخرجن معي امرأة، ولا تزكوني بما ليس فيَّ، فإن الله هو أعلم بي.

« وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المشي فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرًا تحملونه ».

وكان عبدالله بن عمر يسمع هذه الوصية، وقد جلس إلى فراش أبيه. ووضع رأسه على فخذه.

فلما أحس عمر أنه يموت قال لابنه: ضع خدي بالأرض.

فقال له عبدالله: هل فخذي والأرض إلا سواء؟!

قال عمر: ضع خدي بالأرض لا أم لك!

فلما وضع ابنه خده بالأرض، شبك بين رجليه، وجعل يقول: ويلي وويل أمي لم يغفر الله لي!

وظل يكررها!!!

حتى فاضت نفسه!!!

ادخل بسلام؟

فاضت نفس عمر إلى ربها...

ولما حان دفنه، حمل إلى المسجد، ووضع بين قبر رسول الله ومنبره، ليصلى عليه.

فتقدم صهيب، فصلى عليه، وكبر أربعًا...

ثم حمل القوم جثمانه، فوقفوا به على باب عائشة...

وقال عبدالله بن عمر: يستأذن عمر بن الخطاب، أن يدفن مع صاحبيه؟

وأجابت عائشة: أدخل بسلام.

ودخل القوم إلى حجرة رسول الله، فأنزلوا الجثمان إلى مثواه الأخير.

وكان رأس أبي بكر قد جعل عند كتفي النبي، فوضع رأس عمر عند كتفي أبي بكر.

وتولى عبدالله بن عمر تسوية الجثمان في مكانه.

قالوا: طعن عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد، صباح هلال المحرم، سنة أربع وعشرين.

وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام.

وكان عمره يوم توفي خمسًا وستين سنة وثلاثة أشهر ونصفًا.

الخطوط العريضة...
من حياة...
ابن عُمَر...؟!

جاء في «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير:

عبد الله بن عمر بن الخطّاب

القرشي العَدوي...
أمُّه وأمّ أخته حَفْصة: زينب بنت مَظعُون بن حَبيب الجُمَحِيّة...

أسلم مع أبيه؟!

أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم...
وأجمعوا على أنه لم يشهد بدرا...
استصغره النبي ﷺ... فردَّه...
واختلفوا في شهوده أُحُدا... فقيل شهدها... وقيل: ردَّه رسول الله ﷺ مع غيره ممن لم يبلغوا الحِلْمَ...
عن ابن عمر قال:
«لما أسْلَم عُمَر بن الخطاب قال: أيُّ أهل مكة أنقلُ للحديث؟...
قالوا: جميل بن مَعْمَر الجُمَحِي...

فخرج عمر وخرجتُ وراءه...
وأنا غُلَيِّم أَعْقِل كلَّ ما رأيتُ...
حتى أتاه...
فقال: يا جيل، أشَعَرْت أنّي قد أسلمت؟...
فوالله ما راجعه الكلام حتى قام يَجُرُّ رداءه...
وخرج عمر يتبعه... وأنا معه...
حتى إذا قام على باب المسجد صرخ: يا معشر قريش، إن عمر قد صَبَأَ...
قال: كذبتَ... ولكني أسلمت».

أول مشاهده الخندق؟!

والصحيح أن أول مشاهده الخندق...
وشهد غزوة مُؤتة مع جعفر بن أبي طالب... رضي الله عنهم أجمعين...
وشهد اليَرْمُوك...
وفتح مصر...
وإفريقية...

كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ؟!

كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ...
حتى إنه ينزل منازله... ويصلي في كل مكان صلّى فيه...
وحتى إن نزل النبي ﷺ تحت شجرة...
فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس!!!

رجل صالح؟!

عن ابن عمر قال:

« رأيت في المنام كأنما بيدي قطعة اسْتَبْرَق... ولا أشير بها إلى موضع من الجنة إلا طارت بي اليه...

فقصصتها على حَفْصة...

فقَصَّتها حَفْصة على النبي ﷺ...

فقال: « إن أخاك رجل صالح »...

أو: « إن عبدالله رجل صالح »[1]...

فأين الله؟!

عن نافع قال:

« خَرج ابن عُمر في بعض نواحي المدينة... ومعه أصحاب له...

ووضعوا السُّفْرة له...

فمرَّ بهم راعي غنم... فسلم...

فقال ابن عمر: هَلُم يا راعي فأصبْ من هذه السُّفْرة.

فقال له: إني صائم!!!

فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحارّ... الشديد سَمُومُه... وأنت في هذه الحال ترعى هذه الغنم؟! فقال: والله إني أُبادِرُ أيامي هذه الخالية...

فقال له ابن عمر - وهو يريد أن يختبر وَرَعَه -: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنُعْطِيَك ثمنها ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟...

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال: إنها ليست لي بغنم... إنها غنم سيدي!!!

فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟...

فولّى الراعي عنه... وهو رافعٌ أصبعه إلى السماء... وهو يقول: **فأين الله؟...**

قال: فجعل ابن عمر يُردِّد قول الراعي... يقول: « **قال الراعي فأين الله** »؟!...

قال: فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه... فاشترى منه الغنم والراعي...

فأعتق الراعي!!!

ووهب منه الغنم»!!!

كان من أئمة المسلمين؟!

قال مالك:

« قد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة...

يُفْتي الناس في الموسم... وغير ذلك»...

قال مالك:

« وكان ابن عمر من أئمة المسلمين».

وعن الشعبي قال:

« كان ابن عُمر جيِّد الحديث... ولم يكن جيد الفقه.

شديد الاحتياط والتَّوقِّي لدينه في الفتوى؟!

وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتَّوقي لدينه في الفتوى... وكل ما تأخذ به نفسه...

حتى إنه ترك المنازعة في الخلافة... مع كثرة ميل أهل الشام إليه ومحبتهم له!!!

ولم يقاتل في شيء من الفتن!!!

ولم يشهد مع عليّ شيئا من حروبه... حين أشكلت عليه!!! ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه!!!

حدثنا عبد الله بن حَبيب...

أخبرني أبي... قال:

« قال ابن عمر حين حضره الموت: « ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية » !!!

موقفه من الدنيا ؟!

وكان جابر بن عبد الله يقول:

« ما منا إلا من مالت به الدنيا ومال بها...

« ما خلا عمر... وابنه عبد الله »!!!

يكره ألاعيب السياسة ؟!

وقال له مَرْوان بن الحَكَم... ليبايع له بالخلافة... وقال له:

إن أهل الشام يريدونك ؟...

قال: فكيف أصنع بأهل العراق ؟...

قال: تقاتِلهم...

قال: والله لو أطاعني الناس كلهم إلا أهل فَدَك... فإن قاتلتهم يُقْتل منهم رجل واحد... لم أفعل!!!

فتركه[1]!!!

يسارع الى الخيرات؟!

وكان بعد رسول الله ﷺ يكثر الحج...

وكان كثير الصدقة...

وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفا!!!

قال نافع:

كان ابن عمر إذا اشتدّ عجبه بشيء من مالِه قرّبه لربه...

وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه...

فربما لزم أحدُهم المسجد... فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه!!!

فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك!...

فيقول ابن عمر: **من خدعنا بالله انخدعنا له!!!**

قال نافع:

ولقد رأيتنا ذات عَشيَّة... وراح ابن عمر على نجيب[2] له... قد أخذه بمال...

فلما أعجبه سيره أناخه بمكانه... ثم نزل عنه...

فقال: يا نافع... انزعوا عنه زمامه ورحْلَه وأشعروه[3] وَجلِّلوه وأدخلوه في البُدْن!!!

---

(١) هذا دليل على شدة نفوره من ألاعيب السياسة.

(٢) النجيب من الإبل: القوي منها، الخفيف السريع.

(٣) الإشعار: أن يشق أحد جنبي السنام حتى يسيل الدم... علامة على أنه هَدْي.

بكى حتى يغلبه البكاء ؟!

وقال نافع :

دخل ابن عمر الكعبة... فسمعته وهو ساجد يقول:

«قد تَعلم يا ربي... ما يمنعني من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك!!!»

وقال نافع :

كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلذينَ آمَنُوا أن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[1] .

بكى حتى يغلبه البكاء !!!

وقال ابن عمر :

« البرّ شيء هَيّن : وجه طلق... وكلام لين »!!!

روى... فأكثر ؟!

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ فأكثر...

وروى عن أبي بكر... وعمر... وعثمان... وأبي ذر... ومعاذ بن جبل... ورافع بن خدِيج... وأبي هريرة... وعائشة...

روى عنه ابن عباس... وجابر... والأغَر المُزَني من الصحابة...

وروى عنه من التابعين بنوه: سالم... وعبد الله... وحلزة... وأبو سلمة... وحُمَيْد... ابنا عبد الرحمن... ومُصعب بن سعد... وسعيد بن المسيَّب... وأسلم مولى عُمَر... ونافع مولاه... وخلق كثير...

---

(١) سورة الحديد، آية ١٦ .

نموذج مما روى؟!

عن ابن عمر... رفعه... قال:

« كلُّ مسكر خمر...

« وكل مسكر حرام...

ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو مُدمنُها... لم يشرب منها في الآخرَة».

كن في الدنيا كأنك غريب؟!

عن عبد الله بن عمر قال:

« أخذ رسول الله... ﷺ... يوما ببعض جسدي... وقال:

يا عبد الله...

« كن في الدنيا كأنك غريبٌ...

« أو كأنك عابرُ سبيل...

« وعُدَّ نفسك في أهل القبور...

« ثم قال لي:

« يا عبد الله بن عمر... فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم...

« إنما هي حسنات وسيئات...

« جزاءٌ بجزاء...

« وقصاص بقصاص...

« ولا تَتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة... فيفضحَك على رؤوس الأشهاد...

« ومن جَرَّ ثوبه خُيَلاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

توفي سنة ثلاث وسبعين؟!

توفي عبد الله بن عمر سنة ثلاث وسبعين...

بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر...

وكان سبب قتله أن الحجاج أمر رجلا فسَمَّ زُجَّ[1] رمح وزحمه في الطريق... ووضع الزَّجَّ في ظهر قدمه...

لماذا فعل الحجَّاج ذلك؟!

وإنما فعل الحجَّاج ذلك لأنه خطب يوما وأخر الصلاة...

فقال له ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك!!!

فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك!!!

قال: إن تفعل فإنك سفيه مُسَلَّط!!!

وصلَّى عليه الحجَّاج؟!

وقيل: إن الحجاج حجَّ مع عبد الله بن عمر...

فأمره عبد الملك بن مَرْوان أن يقتدي بابن عمر...

فكان ابن عمر يتقدم الحجَّاج في المواقف بعرفة وغيرها...

فكان ذلك يشق على الحجَّاج...

فأمر رجلا معه حَرْبة مسمومة... فلَصِق بابن عمر عند دفع الناس...

فوضع الحربة على ظهر قدمه...

فمرض منها أياما...

---

(١) الزج: الحديدة في أسفل الرمح.

فأتاه الحجاج يعوده... فقال له: من فعل بك؟...
قال: وما تصنع؟...
قال: قتلني الله إن لم أقتله!!!
قال: ما أراك فاعلا!... أنت أمرت الذي نخسني بالحربة!...
فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن...
وخرج عنه!!!
ولبث أياما... ومات....وصلى عليه الحجّاج!!!

ابن ست وثمانين سنة؟!

ومات وهو ابن ست وثمانين سنة...
وقيل: توفي سنة أربع وسبعين...

اين دُفِن؟!

ودُفن بالمُحَصَّب[١]...
وقيل: بذي طُوًى[٢]...
وقيل: بفج[٣]...
وقيل: بسَرِف[٤]

(١) المُحَصَّب: بين مكة ومنى: وهو الى منى أقرب.
(٢) ذو طُوًى: موضع عند مكة.
(٣) فج: موضع أو جبل.
(٤) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكة.

وُلِدَ وقت المبعث؟!

وعلى قول من ذهب إلى أن النبي ﷺ لم يُجزه يوم أُحُد... وكان له أربع عشرة سنة... وكانت أحُد في السنة الثالثة... فيكون له في الهجرة إحدى عشرة سنة...

وأما على قول من يقول: إن النبي ﷺ أقام بعد المبعث بمكة ثلاث عشرة سنة... وإن عُمْر عبد الله أربع وثمانون سنة... فيكون مولده بعد المبعث بسنتين...

وأما على قول من يجعل عمره ستا وثمانين سنة...

فيكون مولده وقت المبعث... والله أعلم!!!

فيلم تسجيلي...

عن حياة...

عبدالله بن عُمَر...؟!

نقدم في هذا الفصل...
فيلما تسجيليا عن حياة عبد الله بن عُمر...
مختصرًا من كتاب «أخبار عُمَر»... للاستاذ علي الطنطاوي...
قال:

عبد الله بن عُمَر

مولده

كانت ولادة عبد الله في سنة ثلاث من البعثة، وهي العاشرة قبل الهجرة كما جزم به الزبير بن بكار.

صفته

وروي عن البراء قال: رأيت ابن عمر في السعي بين الصفا والمروة فإذا رجل ضخم آدم (اسمر) وروي انه كان ألثغ اللسان، غنّاه أشعب مرة فقال: يا أشعب ويحك هذا يُحيْقُ الفؤاد (أراد يحرق الفؤاد).

وكان قدعًا، والقَدَع انسلاق العين وضعف البصر من كثرة البكاء وكان يُكنى أبا عبد الرحمن.

في الغزوات والفتوح

أسلم عبد الله مع ابيه عمر وهو صغير السن وهاجر معه إلى المدينة، وكان عمره في الهجرة عشر سنين.

وعُرض على النبي ﷺ ببدر فاستصغره ولم يُجزه للذهاب مع المجاهدين والاشتراك في القتال، وكذلك الحال في غزوة أحد، ثم أجازه في وقعة الخندق وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة.

وشهد عبد الله فتح مكة وهو ابن عشرين وبقية المشاهد بعده. كما شهد فتح مصر وشهد فتح نهاوند في طائفة من المهاجرين والانصار مع النعمان بن مقرّن أمير الجيش.

وذهب مع الجيش الذي أرسله معاوية مع ابنه يزيد لينضمّ الى جيش سفيان بن عوف الذي كان قد ذهب لغزو القسطنطينية.

يأبى القضاء

أراده عثمان بن عفان على القضاء وقال له: اذهب فكن قاضيا.

قال: أو يُعفيني أمير المؤمنين.

قال عثمان: فإني أعزم عليك.

قال: لا تعجل عليّ، اما سمعت رسول الله ﷺ يقول: من عاذ بالله فقد عاذ معاذًا؟

قال عثمان: نعم

ثم قال عثمان: فما تكره من ذلك وقد كان أبوك يقضي؟

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول، مَن كان قاضيًا يقضي بجوْر كان من أهل النار ومَن كان قاضيًا يقضي بجهل كان من أهل النار، ومَن كان قاضيًا عالمًا يقضي بالعدل فبالحري أن ينقلب كفافًا. فما أصنع بهذا؟

في الفتنة

لما وقع الخلاف بين علي ومعاوية واشْتد وظهرت الفتنة انحاز بعض المسلمين الى عليّ بن أبي طالب يرون فيه الخليفة الشرعي، وانحاز بعضهم إلى معاوية بن أبي سفيان يرونه أصلح للقيام بأمر الناس ولم الشعث وتنظيم أمور الدولة، وبقيت فئة ثالثة على الحيـاد لم تشترك في الخلاف، وكان منهم عبد الله بن عمر الذي لزم بيته وحاول جهده أن يبتعد عن الناس.

ولما طال الأمر بالمسلمين ولم يجدوا مخرجًا من الأزمة، نظروا فيمن يصلح لتوليّ الخلافة ويرضي جمهرة الناس من الطائفتين، وكان اسم عبد الله بن عمر في جملة هذه الأسماء.

قال الحسن: **لما كان من أمر الناس ما كان (أي من أمر الفتنة) أتوا عبد الله بن عمر فقالوا: أنت سيّد الناس وابن سيّدهم، والناس بك راضون اخرج نبايعك.**

فقال: لا والله لا يُهراق فيّ محجمة دم ولا في سببي ما كان فيّ الروح

(قال) ثم أتي فخُوّف فقيل له: لتخرجنّ أو لتقتلنّ على فراشك فقال مثل قوله الأول.

قال الحسن: فوالله ما استقلّوا منه شيئًا حتى لحق بالله تعالى

وعن نافع قال: لما قدم أبو موسى وعمرو بن العاص أيام حُكّمَا قال ابو موسى: لا أرى لهذا الامر غير عبد الله بن عمر.

فقال عمرو لابن عمر: إنّا نريد ان نبايعك فهل لك أن تُعطى مالّا عظيمًا على ان تدع هذا الامر لمن هو أحرص عليه منك؟

فغضب ابن عمر فقام، فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال: يا أبا عبد الرحمن إنما قال تُعطي مالّا على ان أبايعك.

فقال ابن عمر: ويحك يا عمرو

قال عمرو: إنما قلت أجرّبك

فقال ابن عمر: لا والله لا أعطي عليها شيئًا ولا أعطى، ولا اقبلها إلا عن رضىً من المسلمين.

وحين وقع القتال بين الفريقين، علي ومعاوية، اعتزل ابن عمر في بيته ولم يشترك في القتال، وقد حاول أصحاب علي بن ابي طالب دعوته الى الاشتراك معهم في ذلك فأبى.

عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أنت ابن عمر وانت صاحب رسول الله ﷺ (وذكر مناقبه) فما يمنعك من هذا الامر؟

قال: يمنعني أن الله تعالى حرّم عليّ دم المسلم. قال: فإن الله عز وجل يقول: ﴿وقَاتِلوُهمْ حتّى لا تكونَ فِتنةٌ ويكونَ الدينُ لله﴾[1] قال: قد فعلنا وقاتلناهم حتى كان الدين لله فأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى يكون الدين لغير الله

وعن القاسم بن عبد الرحمن انهم قالوا لابن عمر في الفتنة الاولى: ألا تخرج فنقاتل؟

فقال: قد قاتلت والانصاب بين الركن والباب حتى نضاها الله عز وجل من أرض العرب، فأنا أكره أن أقاتل من يقول ﴿لا إله إلا الله﴾[2]

قالوا: والله ما رأيك ذلك ولكنك أردت أن يُفني أصحاب رسول الله

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

(٢) سورة محمد، الآية ١٩.

بعضهم بعضاً حتى اذا لم يبق غيرك قيل بايعوا لعبدالله بن عمر بـإمسارة المؤمنين قال: والله ما ذلك فيّ ولكن اذا قلتم حيّ على الصلاة أجبتكم، حيّ على الفلاح أجبتكم واذا افترقتم لم أجامعكم واذا اجتمعتم لم أفارقكم.

وقال نافع: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا الّا خوفك.

شخصيته

عرف عبد الله بن عمر بشدة ورعه وكثرة عبادته ودعائه وخوفه من الله، كما اشتهر بزهده وقناعته، وبوفرة صدقاته ومبرّاته. هذا الى جانب علمه وفقهه وحرصـه على اتبـاع السنـة في أقـواله وأفعـالـه وكثرة روايتـه للسنـة وللأحاديث النبوية.

وقد سلك ابن عمر هذه السبيل بعد أن ترك السياسة لأهلها ولم يدخل في شيء من أمور الخلاف بين الصحابة، وخاصة بين علي ومعاوية وفي ايام ابن الزبير وغيرها، ويأبى عليه ورعه ان يخوض في الخلافات وكانت منزلته بين الصحابة وسائر المسلمين منزلة رفيعة، يحترمه الناس ويجلّونه لا لأنه ابن الخليفة العظيم عمر فحسب ولكن لصفاته واخلاقه التي عُرف بها وأحبّه الناس لأجلها حتى انهم لما استعرضوا من يصلح لتولي الخلافة بين المحايدين كان اسمه في الطليعة.

عبادته

كان كثير العبادة والصلاة والتهجد والدعاء، وقد حرص على صلاة الليل ولم يتركها بعد ان سمع عن النبي ﷺ ما سمع: حدّث سالم عن ابن عمر قال:

كنت غلامًا شابًا عزبًا، وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، وكان الرجل في حياة الرسول اذا رأى الرؤيا قصّها عليه. (قال) فتمنيّت ان أرى رؤيا أقصها على رسول الله، فرأيت في النوم كأنّ ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فإذا هي مطويّة كطيّ البئر، واذا للنار شيء كقرن البئر (يعني الخشبتين المنصوبتين في اعلاها) وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، اعوذ بالله من النار، فلقيهما ملك آخر فقال لي: لن تُرَع، فقصصتها على حفصة فقصَّتها حفصة على رسول الله، فقال عليه السلام: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلّي من الليل (قال سالم) فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا.

وعن نافع ان ابن عمر كان اذا فاتته صلاة العشاء في جاعة أحيا بقيّة ليلته، وكان يُحيي الليل بالصلاة ثم يقول: يا نافع أسحَرنا؟

فأقول: لا.

فيعاود الصلاة ثم يقول: أسحرنا؟

فأقول: نعم

فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح.

وعن أبي غالب مولى خالد بن عبد الله قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة فكان يتهجد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم فتصليّ ولو تقرأ بثلث القرآن،

فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟

فقال إن سورة الإخلاص ﴿قل هو الله احد﴾[1] تعدل ثلث القرآن.

وعن نافع ان ابن عمر كان يحي بين الظهر إلى العصر.

---

(١) سورة الإخلاص، الآية ١.

صلاته وصيامه

قال طاووس: ما رأيت مصلّيًا كهيئة ابن عمر أشد استقبالًا للكعبة بوجهه وكفّيه وقدمه.

وقال أبو بردة: صليّت إلى جنب ابن عمر فسمعته حين سجد وهو يقول: اللهم اجعلْك أحبّ شيء إليّ وأخشى شيء عندي، ربّ بما أنعمت عليّ فلن اكون ظهيرًا للمجرمين.

وقال ابن عمر: ما صليّت صلاة منذ أسلمت إلّا وأنا أرجو أن تكون كفارة

وكان إذا فاتته صلاة الجماعة صام يومًا وأحيا ليلة وأعتق رقبة، وكان لا يبالي أن يصلّي في المكان الجَدَد والبطحاء والتراب، وكان يتبع اليوم المعمعاني فيصومه[1].

وقال محمد بن زيد: كان لعبد الله بن عمر مهراس (جرن) فيه ماء فيصلّي ما قدّر له ثم يصير إلى الفراش فيغفى إغفاء الطائر ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع الى فراشه فيغفى إغفاء الطائر ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا.

وقال نافع: كان ابن عمر لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر.

دعاؤه

قيل لعبد الله بن عمر: لو دعوتَ الله لنا فقال: اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا، فقال رجل: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن، فقال نعوذ بالله من الاسهاب.

---

(١) اليوم المعمعاني شديد الحر.

وعن نافع أن أبن عمر كان يدعو على الصفا: اللهم اعصمني بدينك وطاعتك وطاعة رسولك، اللهم جنّبني حدودك، اللهم اجعلني ممن يحبّك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين، اللهم يسّرني لليسرى وجنّبني العُسرى واغفر لي في الآخرة والاولى واجعلني من ائمة المتقين، اللهم إذ هديتني للاسلام فلا تنزعني منه ولا تنزعه مني حتى تقبضني وأنا عليه.

وعن مجاهد قال: كان ابن عمر يقول في السفر إذا أسحر: بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ويقول: اللهم صاحبنا وأفضل علينا، اللهم عائذ بك من النار لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتب زياد الى معاوية: قد ضبطتُ العراق بشمالي ويميني فارغة (يعرّض بذلك أن شماله للعراق وتكون يمينه بإمارة الحجاز) فقال ابن عمر لما بلغه ذلك: اللهم أرحنا من يمين زياد وأرحْ أهل العراق من شماله، فكان أول خبر جاءه موت زياد.

وعن عبد الله بن سبرة قال: كان ابن عمر اذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيبًا في كل خير تقسمه الغداة، ونورًا تهدي به ورحمة تنشرها ورزقًا تبسطه وضرًا تكشفه وبلاء ترفعه وفتنة تصرفها.

اتّباعه السنّة

عن السّدي قال رأيت عبد الله بن عمر وأبا سعيد وأبا هريرة وغيرهم وكانوا يرون أن ليس أحد منهم على الحال الذي فارق عليه محمدًا ﷺ الّا ابن عمر.

وكان في طريق مكة يأخذ برأس راحلته يحوّلها ويقول: لعلّ خُفًا يقع على خُف (يعني خف راحلة النبيّ)

وقال الزبير بن بكار: كان ابن عمر يتحفظ ما سمع من رسول الله وإذا غاب يسأل من حضر عن قوله وفعله وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلّى

فيه وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله عرض ناقته فيه وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله.

وقال حفيده محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر: ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلّا بكى ولا مرّ على ربعهم إلّا غمّض عينيه.

خوفه من الله

لم يكن خشوع ابن عمر وخوفه من الله تكلّفًا كما يفعله بعض أدعياء الزهد والورع يتظاهرون بها أمام الناس لينالوا منزلة عندهم أو نفعًا عاجلًا ويجعلون ذلك صناعة يستدرّون بها الأموال من العامة والجاهلين، ولكن ابن عمر كان في ورعه وزهادته مثلًا يحتذى، فقد كان صادقًا فيهما لوفرة علمه واتباعه سنة النبي الكريم ﷺ وتحريه عنها.

قال القاسم بن أبي بزّة: حدثني من سمع ابن عمر قرأ **﴿ويل للمطففين...﴾** حتى بلغ **﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾**[1] فبكى حتى خرّ وامتنع من قراءة ما بعده.

وقال نافع: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلّا بكى: **﴿وإن تُبْدُوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبْكُم به الله...﴾**[2] الآية ثم يقول: إن هذا لإحصاء شديد.

وقال نافع أيضًا: كان عبد الله بن عمر يقرأ في صلاته فيمرّ بالآية فيها ذكر النار فيقف عندها فيدعو ويستجير بالله منها، وكان إذا قرأ: **﴿أَلَمْ يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهُم لذكر الله﴾**[3] بكى حتى يغلبه البكاء.

وروي أنه أذنب عبد لعبد الله بن عمر فوقفه بين يديه وأمر بضربه. فقال

---

(١) سورة المطففين، الآيات ١ - ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٤.

(٣) سورة الحديد، الآية ١٦.

له العبد: أما بينك وبين الله ذنب فأمهلّك وعفا عنك؟ فقال عبد الله: نعم والله ذنوبي كثيرة. فقال العبد: فكما عفا عنك، أعف عني.

فعفا عنه وتركه، ثم أذنب ثانية وعفا عنه.

زهده وورعه

كان من آثار اعتزال ابن عمر السياسة والفتن، وانقطاعه للعلم والرواية عن الرسول الكريم ﷺ والعبادة واتباع السنن، كان من آثار ذلك انطباع نفسه على الزهد والتقشف والورع، وشهد له بذلك كبار الصحابة والتابعين الذين رأوه عن كثب واكبروا فيه هذا الجلد على العبادة وهذا الصبر على الزهد على تبدل الزمان حتى أن أبا سلمة قال: كان عمر في زمان له فيه نظراء وكان ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير.

وقال سعيد بن المسيب: لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر.

فمن أخبار زهده وورعه ما ذكره سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمر نزل الجُحفة وهو شاكٍ (مريض) فقال إني لأشتهي حيتانًا (أي سمكًا). فالتمسوا له فلم يجدوا إلّا حوتًا واحدًا فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته ثم قربته إليه. فأتاه مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر: خذه.

فقال أهله: سبحان الله قد عنّيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال: إن عبد الله يحبّه والله تعالى يقول: ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تحبون﴾[1].

وقال عمر بن حمزة بن عبد الله: كنت جالسًا مع أبي فمرّ رجل فقال: أخبرني ما قلت لعبد الله بن عمر يوم رأيتك تكلمه بالجرف؟

قال: قلت يا أبا عبد الرحمن رقّت مضغتك وكبر سنّك، وجلساؤك لا يعرفون حقك ولا شرفك، فلو أمرت أهلك يجعلوا لك شيئًا يلطفونك إذا رجعت إليهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

قال: ويحك والله ما شبعت منذ إحدى عشرة سنة ولاثنتي عشرة سنة ولا ثلاث عشرة سنة ولا أربع عشرة سنة ولا مرة واحدة فكيف بي وإنما بقي مني كظمأ الحمار.

وعن عبد الله بن عديّ ـ وكان مولى لعبد الله بن عمر، قدم من العراق فجاءه يسلّم عليه، قال: أهديت إليك هدية.

قال: وما هي؟

قال: جوارش

قال: وما جوارش؟

قال: تهضم الطعام

فقال: ما ملأت بطني طعامًا منذ أربعين سنة فما أصنع به؟

وعن ميمون أن رجلًا من بني عبد الله بن عمر استكساه إزارًا (طلب منه ان يكسوه ثوبًا) وقال: قد تخرق إزاري.

فقال له عبد الله: إقطع إزارك ثم اكتسه.

فكره الفتى ذلك.

فقال له عبد الله بن عمر: ويحك اتقِ الله لا تكوننّ من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم.

وقال ميمون: دخلت منزل ابن عمر فما كان فيه ما يسوي طيلساني هذا.

وقال وقدان: سأل رجل ابن عمر عما يلبس من الثياب؟

(قال) فسمعته يقول له: البس ما يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحلماء.

قال: ما هو؟

قال: ما بين الخمسة الى العشرين درهمًا.

وعن مالك بن أنس قال: حدثت أن ابن عمر نزل الجحفة فقال ابن عامر بن كريز لخبازه: إذهب بطعامك الى ابن عمر.

(قال) فجاء بصحفة فقال ابن عمر: ضَعْها.

ثم جاء بأخرى وأراد أن يرفع الأولى فقال ابن عمر: مـا لك؟

قال: أريد أن ارفعها.

قال: دعها صُبَّ عليها هذه.

فكان كلما جاءه بصحفة صبّها على الأخرى.

فذهب العبد الى ابن عامر فقال: هذا جافٍ أعرابي... فقال له ابن عامر: هذا سيّدك، هذا ابن عمر.

وعن مالك بن أنس عن أبي جعفر القاري: قال لي مولاي، أخرج مع ابن عمر اخدمه.

فكان كلما نزل ماء دعا أهل ذلك الماء يأكلون معه. فكان أكابر ولده يدخلون فيأكلون فكان الرجل يأكل اللقمتين والثلاث.

فنزل الجحفة فجاؤوا وجاء غلام أسود عريان، فدعاه ابن عمر فقال الغلام: إني لا أجد موضعًا، قد تراصّوا، فرأيت ابن عمر تنحّى حتى ألزقه إلى صدره.

وعن قرعة قال: رأيت على ابن عمر ثيابًا خشنة فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إني اتيتك بثوب ليّن مما يصنع بخراسان وتقرَّ عيناي أن أراه عليك فإن عليك ثيابًا خشنة.

فقال: أرنيه حتى أنظر اليه

فلمسه بيده وقال: أحرير هذا؟

قلت: لا، انه من قطن

قال: اني أخاف ان ألبسه، أخاف ان أكون مختالًا فخورًا، والله لا يحب كل مختال فخور.

مبراته وصدقاته

قال نافع: باع ابن عمر أرضًا له بمائتي ناقة فحمل على مئة منها في سبيل الله عز وجل، واشترط على أصحابها ألّا يبيعوا حتى يجاوزوا بها وادي القرى[1].

وعنه أن معاوية بعث الى ابن عمر مئة الف فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أيوب بن وائل الراسبي قال: قدمت المدينة فأخبرني رجل جاء لابن عمر أنه أتى ابن عمر اربعة آلاف من قبل معاوية، واربعة آلاف من قبل انسان آخر، والفان من قبل آخر، وقطيفة، فجاء الى السوق يريد علفًا لراحلته بدرهم نسيئة، وكنت قد عرفت الذي جاءه فأتيت سرّيته فقلت: اني أريد أن أسألك عن شيء واحب ان تصدقيني وقلت لها: أليس قد أتت أبا عبد الرحمن من قبل معاوية أربعة آلاف واربعة من قبل آخر والفان من قبل آخر وقطيفة؟

قالت: بلى.

قلت: فإني رأيته يطلب علفًا بدرهم نسيئة.

قالت: ما بات حتى فرقها، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها (وهبها) ثم جاء.

فقلت: يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم، فأصبح اليوم يطلب علفًا بدرهم نسيئة؟

وعن نافع أن ابن عمر اشتهى عنبًا وهو مريض، فاشتريت له عنقودًا بدرهم فجئت به فوضعته بيده، فجاءه سائل فقام على الباب فسأل فقال ابن عمر: ادفعه اليه في يده.

فقلت: كُلْ منه، ذقه

---

(١) وادي القرى: ما يسمى اليوم إمارة العلا، وفيه مدائن صالح.

قال: لا ، ادفعه

فدفعته اليه ، واشتريته منه بدرهم فجئت به اليه فوضعته في يده.

فعاد السائل.

فقال ابن عمر: ادفعه اليه

قلت: ذقه ، كُلْ منه.

قال: لا ، ادفعه اليه.

فدفعته فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه اليه حتى قلت للسائل في الثالثة أو الرابعة: ويحك ما تستحي؟

فاشتريته منه بدرهم فجئت به اليه فأكله

وعن ميمون بن مهران قال: ان امرأة ابن عَمر عوتبت فيه فقيل لها: أما تلطفين بهذا الشيخ؟

قالت: فما أصنع به؟ لا نصنع له طعامًا الّا دعا اليه من يأكله ، فأرسلتْ الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا خرج من المسجد فأطعمتْهم وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقه. ثم جاء الى بيته فقال: أرسلوا الى فلان والى فلان. وكانت امرأته أرسلت اليهم بطعام وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه.

فقال ابن عمر: أردتم ان لا اتعشى الليلة

فلم يتعشّ تلك الليلة.

وكان لا يأكل إلّا مع المساكين حتى أضرّ ذلك بجسمه ، فصنعت له امرأته سويقًا ، فكان اذا أكل سقته.

وكان لا يأكل طعامًا إلّا على خوانه يتيم. وكان إذا تغدّى أو تعشّى دعا من حوله من اليتامى ، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده ، وكانت له سويقة محلّاة يشربها بعد غدائه فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء وبيده السويقة ليشربها فناولها إياه وقال: خذها فما أراك غُبنت.

ومرَّ اصحاب نجدة الحروري على إبل لعبد الله بن عمر فاستاقوها فجاء

راعيها فقال: يا ابا عبد الرحمن احتسب الابل.

قال: وما لها؟

قال: مرّ بها اصحاب نجدة فذهبوا بها.

قال: كيف ذهبوا بالابل وتركوك؟

قال: قد كانوا ذهبوا بي معها ولكني انفلتُّ منهم

قال: ما حملك على ان تركتهم وجئتني؟

قال: انت أحبُّ إلي منهم

قال: آلله الذي لا إله إلا هو لأنا أحب اليك منهم؟

فحلف له

قال: فإني احتسبك معها

فأعتقه فمكث ما مكث ثم أتاه آتٍ فقال:

هل لك في ناقتك الفلانية (سماها باسمها) ها هي ذي تباع في السوق

قال: أرني ردائي

فلما وضعه على منكبيه وقام، جلس فوضع رداءه ثم قال: لقد كنْتُ احتسبتها فلم أطلبها؟

وكاتب غلامًا له ونجَّمها له نجومًا (أي قسط ثمنه عليه اقساطًا) فلما حل اول نجم أتاه المكاتب به فسأله: من اين أصبت هذا؟

قال: كنت اعمل وأسأل

قال ابن عمر: أفجئتني بأوساخ الناس تريد ان تطعمينها؟

انت حرّ لوجه الله ولك ما جئت بـه.

وقال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه اصحاب له، فوضعوا سفرة لهم فمرَّ بهم راعي غنم وهو عبد اسود صغير السنّ فقال عبد الله: هلّم يا راعي فأصب من هذه السفرة.

فقال: أنا صائم.

فقال عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حرّه وأنت بين هذه الشعاب والجبال في آثار هذه الغنم ترعى وانت صائم!

فقال الراعي: نعم، أغتنم الأيام الفائتة للأيام الباقية.

فتعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نذبحها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟

قال: انها ليست لي انها لمولاي

فقال له: اذا سألك مولاك عنها قل له: أكلها الذئب (يختبر أمانته).

فمضى الراعي وهو يقول رافعًا أصبعه الى السماء: فأين الله؟

فلم يزل ابن عمر يقول: فأين الله؟

ورجع ابن عمر الى المدينة فبعث الى سيّده فاشترى الراعي والغنم وأعتق الراعي ووهب له الغنم.

وقال: خطرت اي هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالوا البِرَّ حتى تُنْفِقوا مِمّا تُحِبّون﴾[1] فذكرت ما أعطاني الله عز وجل فما وجدت شيئًا أحب إليّ من جاريتي رمينة فقلت:

هي حرة لوجه الله. ولولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لنكحتها.

فأنكحها نافعًا فهي أم ولده فأتت منه بولد

فكان ابن عمر يأخذ الصبيّ فيقبّله ثم يقول: واهًا لريح رمينة

وقال نافع: كان ابن عمر اذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه لربه عز وجل، وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه فربما شمّر أحدهم فيلزم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن والله ما بهم الا أن يخدعوك.

فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله عز وجل انخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

بمال عظيم، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه فقال: يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجلّلوه وأشعروه وأدخلوه في البُدْن (أي الـهَدْي).

قال نافع: وكان ربما تصدّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفًا، وأعطاني مرتين ثلاثين ألفًا فقال:

يا نافع اني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر.

وما مات ابن عمر حتى أعتق الف انسان.

أقواله وكلماته

اجتماعيات

إتّقوا مَن تبغضه قلوبكـم.

ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، وانما الشح أن يطمع فيما ليس له.

سئل ما حق الصّديق على صديقه؟ قال: لا تشبع ويجوع، وتلبس ويعرى، وأن تواسيه بالبيضاء والصفراء.

أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الايدي

خلف الوعد ثلث النفاق

أحق ما طهّر العبد لسانه

السلطان

وفد الله الحاجّ، ووفد الشيطان قوم يرسلهم السلطان الى الناس ويسألهم عن حالهم فيخبرونه أن الناس راضون وليسوا براضين.

اذا كان الامام عادلًا فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائرًا فعليه الوزر وعليك الصبر.

في الفتنة

عن نافع، قيل لابن عمر زمن ابن الزبير والخوارج والخشبيّة: أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضًا؟ قال: من قال حيّ على الصلاة، أجبته ومن قال حيّ على الفلاح أجبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا.

وقال: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة فأخذ بعضهم يمينًا وشمالًا فأخطأ الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى جلّى الله ذلك عنا فأبصرنا طريقنا الاول فعرفناه وأخذنا فيه، إنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن لا يكون لي ما يقتل بعضهم بعضًا بنعليّ هاتين الجرداوين.

وقيل له: ألا تبايع أمير المؤمنين (يعنون ابن الزبير)؟

فقال: والله ما شبهت بيعتهم إلا بـ (ققّه) أتعرف ما (قفه)؟

الصبي يُحدث فيضع يده في حدثه فتقول أمه: (ققّه)

حديثه عن نفسه

كان يقول: لو وضعت أصبعي في خمر ما أحببت أن تتبعني.

وقال: لأن أشرب قمقمًا قد أغلي، أحرق ما أحرق وأُبقي ما أُبقي، أحب إلي من أن أشربه.

وقال له رجل: يا خير الناس، أو يا ابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس ولكني عبد من عباد الله تعالى وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه.

وكتب إليه عبد العزيز بن مروان: ارفع إليّ حاجتك، فكتب إليه ابن عمر: ان رسول الله ﷺ قال: اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، ولست أسألك شيئًا ولا أردّ رزقًا رزقنيه الله عز وجل.

وقال: لا أغزو على أجر ولا ابيع أجري من الجهاد.

وقال: لو لقيت قاتل أبي في الحرم ما هدته (ما دفعته) وروي ما ندهته.

وقال: ما يسرّني أن الارض لي كلها بجزية خمسة دراهم أقر فيها بالصَّغار على نفسي.

وكان يقول: إنا معشر قريش كنا نعدّ الجود والحلم السؤدد ونعدّ العفاف واصلاح المال المروءة.

الرعيل الاول

مَن كان مستنًّا فليستنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة وأبرّها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه. فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدي المستقيم والله رب الكعبة.

وسمع رجلًا يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فقال: عن هؤلاء تسأل؟

وسئل: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال نعم، والايمان في قلوبهم أعظم من الجبال.

ودخل على أسماء بنت أبي بكر يعزّيها في ابنها عبد الله بن الزبير فقال لها: ان هذه الجثة ليست بشيء وان الامر في الأرواح، واني لأرجو أن يكون روح عبد الله قد أفضي بها إلى خير مما كان فيه فاصبري ولا تجزعي.

فقالت أسماء: ولم لا أصبر وقد حمل رأس يحيى بن زكريا إلى أبيه فصبر.

في الايمان والزهد

يا ابن آدم، صاحب الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمّك فإنك موقوف على عملك فخذ مما في يديك لما بين يديك عند الموت يأتك الخير.

لا يصيب عبد شيئًا من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان عليه كريمًا.

وقيل له: توفي زيد بن حارثة الانصاري

فقال: رحمه الله.

قيل له: يا أبا عبد الرحمن ترك مئة ألف

قال: لكن هي لم تتركه

وقال مجاهد: قال لي ابن عمر: يا أبا الغازي كم لبث نوح عليه السلام في قومه؟

قلت ألف سنة إلا خمسين عامًا.

قال: فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسامهم واحلامهم إلا نقصًا.

وقال مجاهد: كنت أمشي مع ابن عمر فمر على خربة فقال:

قل، يا خربة ما فعل أهلك؟

فقلت: يا خربة ما فعل أهلك؟

فقال ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالهم.

من ذكر خطيئة ألمّ بها فوجل منها قلبه فاستغفر الله محيت عنه في أم الكتاب.

بعد الموت

ومن قوله: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح العبد قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصّاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم

الداعية بويلها، فيقول ملك الموت: فيم هذا الجزع؟ فوالله ما انتقصت لأحدكم عمرًا ولا أذهبت لأحد منكم رزقًا ولا ظلمت لأحد منكم شيئًا، فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليّ فإني والله مأمور وان كان ذلك من ميتكم فإنه في ذلك مقصود، وان كان ذلك على ربكم فأنتم به كفرة، وان لي فيكم عودة ثم عودة.

(قال) فلو أنهم يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم وبكوا على أنفسهم.

إن القبر ليكلّم العبد اذا وضع فيقول: يا ابن آدم ماغرّك بي؟ أما علمت أني بيت الظلمة؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة؟ ألم تعلم أني بيت الوحشة؟ ألم تعلم أني بيت الدود؟ ألم تعلم أني بيت الحق. فإن كان مفلحًا أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: فإني أعود عليه خضراء ويعود جسده نورًا وتصعد روحه الى رب العالمين.

العبادة والعلم والعمل

لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه ولا يحقر من دونه ولا يبتغي بالعلم ثمنًا.

إن أناسًا يدعون يوم القيامة المنقوصين. قال آدم بن علي: وما المنقوصون؟ قال: ينقص أحدهم صلاته ووضوءه.

وسُئل عن ﴿لا إله إلّا الله﴾[1] هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل؟ قال ابن عمر: عَشّ ولا تغترّ[2].

---

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

(٢) وهذا مثل من أمثال العرب، يريد «إعمل الصالحات ولا تهملها وتتكل على الإيمان، فان الايمان عقيدة وعمل».

وسئل عن رجل لم يدع من الخير شيئًا إلا عمل به، إلا أنه كان شاكًا في الله عز وجل، فقال: هلك البتة.

وشهد جنازة فقال قائل: ارفعوا على اسم الله

فقال ابن عمر: ان اسم الله علا كل شيء ولكن ارفعوا بسم الله.

من قال عندما لا يدري، (لا أدري) فقد أحرز نصف العلم.

وقال: لعمري إني لأرى حق رجع جواب الكتاب كردّ السلام.

ومرّ برجل ساقط من أهل العراق.

فقال: ما شأنه؟

قالوا: إنه إذا قرئ عليـه القرآن يصيبه هذا

قال: إنا لنخشى الله وما نسقط

صلاة الأوّابين ما بين أن ينكفت أهل المغرب الى ان يؤوب أهل العشاء.

وأتته امرأة فقالت: ان ابنتي عروس وقد تمعّط شعرها وأمروني ان أرجلها بالخمر.

فقال: إن فعلتِ ذاك فألقيْ الله تعالى في رأسها

وقال: إن الله تعالى أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والزفن (الرقص) والزمّارات والمزاهر والكنارات (الاعواد والدفوف والطبول)

ودخل المسجد فرأى قاصًّا صيّاحًا

فقال: اخفض من صوتك، ألم تعلم أن الله يبغض كل شحّاح؟

ان الرجل يستخير الله فيختار له فيسخط، فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فإذا هو خير له.

متفرق أخباره

قال عطيّة العوفي: قرأت على عبد الله بن عمر قوله تعالى: ﴿الله الذي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ﴾[1] - بنصب الضاد والعين - فقال لي ابن عمر: (ضَعْف)

(١) سورة الروم، الآية ٥٤.

وقال: قرأتُ ذلك على رسول الله ﷺ روى ذلك حفص عنه ورجع إليه بعد قراءته على عاصم بالفتح أي (ضَعَف). وروي أنه كان يقرأ قوله تعالى ﴿في عَيْنٍ حَمِئة﴾[1] كان يقرؤها «حامية» بالالف ويفسّرها بأنها حارة.

وروى مالك أنه بلغه أن عبدالله بن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلّمها.

لبس ابن عمر السلاح لقتال نجدة بن عامر الحنفي رأس الإباضية من الخوارج بعد رجوعه من الحج، فلما أخبر نجدة بلبس ابن عمر السلاح رجع الى الطائف.

ولما ودّعه الحسين قال له ابن عمر: استودعك الله من قتيل (وكانت معه كُتب أهل العراق) فكانت فراسة ابن عمر أصدق من كتبهم.

عن الطفيل بن أبي كعب: أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه الى السوق قال: فاذا غدونا الى السوق لم يمر ابن عمر على سقّاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلّا وسلّم عليه فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجلس. فقال لي عبد الله:

يا أبا بطن (وكان الطفيل ذا بطن) إنما نغدو من أجل السلام، فسلّم على من لقيت.

ونزل على رجل، فلما مضت ثلاث ليال قال: يا نافع أنفق علينا من مالنا.

وعن أشعب قال:

بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدّق بثمرته، فركبت ناصحًا ووافيته في ماله، فقلت: يا ابن أمير المؤمنين ويا ابن الفاروق، أوقر لي بعيري هذا تمرًا.

فقال لي: أمن المهاجرين انت؟

قلت: اللهم لا

---

(١) سورة الكهف، الآية ٨٦.

قال: فمن الأنصار انت؟

فقلت: اللهم لا

قال: أفمن التابعين بإحسان؟

قلت: أرجو أن يحق رجاؤك

قال: أفمن ابناء السبيل أنت؟

قلت: لا

قال: فعلام أوقر لك بعيرك تمرًا ؟

قلت: لأني سائل، وقد قال رسول الله ﷺ إن أتاك سائل على فرس فلا تردّه.

فقال: لو شئنا أن نقول لك أنه قال لو أتاك على فرس ولم يقل اتاك على ناضح بعير، لقلنا، ولكني أمسك عن ذلك لاستغنائي عنه لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس أعطيته؟

فقال: إني سألت رسول الله ﷺ عما سألتني عنه فقال لي: نعم إذا لم تصب راجلًا، ونحن أيها الرجل نصيب رجّالة فعلام أعطيك وانت على بعير؟

فقلت له: بحقّ أبيك الفاروق بحق الله عز وجل وبحق رسول الله ﷺ لما أوقرته لي تمرًا.

فقال لي عبد الله: أنا موقره لك تمرًا وحق الله وحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا بررت لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق ابي عليّ في تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك لأني سمعت أبي يقول:

إن رسول الله ﷺ قال: لا تشدُّ الرحال الى مسجد لرجاء الثواب الّا الى المسجد الحرام ومسجدي بيثرب، ولا يبرّ امرؤ قسَم مستحلفه الا أن يستحلفه بحق الله وحق رسوله.

ثم قال للسودان في ذلك المال: أوقروا له بعيره تمرًا.

قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلت: إن السودان أهل طرب،

وان أطربتهم أجادوا وحشوا غرائري فقلت: يا ابن الفاروق أتأذن لي في الغناء فأغنيك؟ فقال لي: انت وذلك.

فاندفعت في النصب (الحداء):

يا عين جودي بالدموع السّفاحْ   وابكي على قتلى قريش البطاحْ

فقال: يا أشعب ويحك هذا يحيْق الفؤاد (أراد يحرق الفؤاد) لأنه كان ألثغ لا يبين بالراء ولا باللّام.

وقال نافع: كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما يضربهم على تعليم القرآن.

وكانت لابن عمر بندقة من مسك وكان يبلّها ثم يبوكها (يدوّرها) بين راحتيه فتفوح رائحتها.

ولما أرجف اهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم: إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله، وانه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يدًا عن طاعته الّا كانت الفيصل بيني وبينه.

ثم لزم بيته.

ومرّ بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنّى قال: ألا لا سمع الله لكم.

ومرّ بجارية صغيرة تغنّي فقال: لو ترك الشيطان أحدًا لترك هذه.

مقتله ووفاته

يزعمون أن الحجاج دسّ له رجلًا سَمَّ زُجَّ رمحه، فزحمه في الطريق وطعنه في ظهر قدمه وذلك أن الحجاج خطب يومًا وأخّر الصلاة فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك.

فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك.

قال: إن تفعل فانك سفيه!

وقيل إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يُسمعه، وانما كان يتقدمه في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف عليها، وكان ذلك يعزّ على الحجاج، فأمر الحجاج رجلًا معه حربة يقال انها كانت مسمومة، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمرّ الحربة على قدمه وهي في غرز راحلته فمرض منها أيامًا، فدخل عليه الحجاج يعوده فقال: مَن سمّك يا ابا عبد الرحمن؟

فقال: وما تصنع به؟

قال: قتلني الله ان لم أقتله!

قال: ما أراك فاعلا، أنت أمرت من نخسني بالحربة.

قال: لم تقول هذا رحمك الله؟

قال: حملت السلاح في بلد لم يكن يحمل فيه السلاح.

فلبث ايامًا ثم مات.

ولما حضرته الوفاة أمرهم أن يدفنوه ليلًا ولا يُعلم الحجاج لئلا يصلّي عليه، ولكن الحجاج علم بموته وصلى عليه عند الردم ودفن في حائط (بستان) حرمان.

وقال بعضهم إنه مات بمكة ودفن بفخ وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ونزل في قبر سعيد بن زيد. وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين.

وقيل إن قبره في أذاخر وهي فوق القرية التي يقال لها المعايدة قرب مكة.

وبعض الناس يزعم أنه في الجبل الذي فوق البستان قريبًا من السور على يمين الخارج من مكة متوجهًا الى المحصّب وهو خلاف قول الازرقي المذكور وهو آخر من مات بمكة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

وقيل إنه حج أيام الحجاج، فكتب الى الحجاج أن اتق الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فإنك في شهر حرام وبلد حرام وقد قدمت وفود الله من اقطار الارض يضربون آباط الابل ويمشون على أقدامهم ليؤدوا فريضة أو يزدادوا مزداد خير، فان المنجنيق تمنعهم من الطواف فكُفّ عن الرمي.

أسرته

كان لعبد الله بن عمر من الولد عشرة: عبد الله وسالم وعبيد الله وزيد وعاصم وحمزة وبلال وواقد وعبد العزيز والبنت سودة.

١ - عبد الله

اكبر ولد ابن عمر: أمه صفية بنت أبي عبيد أخت المختار الثقفي، اصدقها ابن عمر، لما تزوجها، عشرة آلاف درهم، وأوصى اليه قبل موته.

ذكر الزبير بن بكار أنه من وجوه قريش وأشرافها، لم يصحب النبي ﷺ ولم يره لأن أمه صفيّة، كانت في حياة النبي ﷺ صغيرة فلم يولد الّا بعد موت النبي ﷺ.

روى عن أبيه وعن أبي هريرة وروى عنه ابنه عبد العزيز ونافع مولاهم والزهري ومحمد بن عباد والقاسم بن محمد وعبد الله بن أبي سلمة وهو ثقة، توفي سنة خمس ومئة.

وخرّج ثابت من حديثه أن الحجاج قال: ما ذكرت قول ابن عمر وأنا على المنبر (كذبت) الّا ندمت أن لا اكون ضربت عنقه، فقال له ابن عمر: لو فعلت لصعّر الله رأسك في جهنم.

سالم

أمه أم ولد، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، وكان مع ذلك زاهدًا عابدًا قدوة، وكان شديد الادْمَة (اي السمرة) خشن العيش يلبس الصوف ويخدم نفسه.

قال أحمد واسحاق: أصح الاسانيد « الزهري عن سالم عن أبيه »

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة فرأى سالمًا واقفًا فقال لـه: سلني حوائجك.

فقال: لا والله، لا سألت في بيت الله غير الله

وكان أبوه يقبّله ويقول: ألا تعجبون من شيخ يقبل شيخًا! وكان يقول فيه:

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والانف سالم

كان يكنى أبا عمر، وقيل أبا المنذر، وهلك بالمدينة سنة ست ومئة وصلى عليه هشام بن عبد الملك.

روى عن أبيه وعن أبي هريرة وعن رافع بن خديج، وروى عنه أبو بكر وعبيد الله بن عمر

وقال ابن المسيب: كان عبد الله أشبه ولد عمر به، وكان سالم أشبه ولد عبد الله به.

وقال مالك: لم يكن أحد في زمان سالم أشبه من مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه.

وقال الاصمعي عن ابن أبي الزناد: كان اهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الأولاد حتى نشأ فيهم القراء السادة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والقاسم بن محمد،،،وسالم بن عبد الله ففاقوا اهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعًا،، فرغب الناس حينئذ في السراري.

وقال مالك: كان سالم يشتري في الاسواق وكان من أفضل اهل زمانه.

وقال ابن حيان: كان يشبه أباه في السّمت والهدى.

وقيل لما قدم سبي فارس على عمر كان فيه بنات يزدجرد فقُوّمن فأخذهنّ عليّ فأعطى واحدة لابن عمر فولدت له سالمًا.

عبيد الله

كنيته أبو بكر، روى عن أبيه وابي هريرة، وروى عنه ابنه القاسم ونافع والزهري. مات سنة ست ومئة.

وكان ثقة قليل الحديث

وقال ابن حيان: مات قبل سالم، وقال غيره: مات في ولاية عبد الواحد البصري، وقال العجلي: تابعيّ ثقة

زيد

ولد في الغالب على عهد عمر لأن ابن ابي شيبة روى أنه لما ولد ألحقه عمر في مئة من العطاء.

ذكره مسلم في الطبقة الاولى من تابعي أهل المدينة. موثّق عن أبيه وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر. روى عنه جماعة منهم حفيده عمر بن محمد بن زيد ونافع مولى عمر.

حمزة

أبو عمارة المدني الفقيه. روى عن أبيه وعمته حفصة وعائشة، روى عنه أخوه عبد الله وابن ابن أخيه خالد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر والزهري وغيرهم. كان ثقة قليل الحديث. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة.

بلال

كان أشجّ، وكان أبوه يقول: يا بلال أترجو أن تكون أشج بني عمر؟ فهلك وهو صغير لا عقب له. روى عن أبيه، وروى عنه كعب بن علقمة حديثًا واحدًا.

وقال حمزة: لا أعلم له غير حديث واحد ذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين وعدّه يحي القطان في فقهاء أهل المدينة وقال أبو زرعة مدني ثقـة.

واقد

وقع من بعير وهو محرم فهلك، فولد عبد الله بن واقد وكان من أجمل رجال قريش وفيه يقول الشاعر:

أحـبّ مـن النسـوان كـل خليلـة   لها حُسن عبّـاد وجسم ابـن واقـد

عبد العزيز

أبو محمد. كان أبيض طويلًا، روى عن سالم وروى عنه ابن أبي ذئب

سودة

قال عروة بن الزبير: خطبت الى عبد الله بـن عمر ابنته سودة وهو على الطواف فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت: لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبدًا.

فقدّر له ان صدر الى المدينة قبلي.

ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول ﷺ فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله فرحب بي وقال: متى قدمت؟

فقلت: هذا حين قدومي

فقال: أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنت قادرًا ان تلقاني في غير ذلك الموطن؟

فقلت: كان أمرًا قدّر.

قال: فما رأيك اليوم؟

قلت: أحرص ما كنت عليه قط فدعا ابنيه سالمًا وعبد الله فزوّجني.

وتزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر وبعد موته تزوجها عمر بن عبد العزيز.

رُوِيَ له . . .

« ٢٦٣٠ » . . .

حديثا . . . ؟!

قال البخاري في صحيحه:

« وقالَ ابنُ عُمَرَ:

« لا يَبْلُغُ العَبْدُ حقيقةَ التَّقْوَى حتَّى يَدَعَ ما حَاكَ في الصَّدْرِ » .

وقال العيني في شرحه:

« عبد الله بن عمر بن الخطاب... رضي الله عنهما...

« القرشي... العدوي... المكي...

« وأمّه وأمّ أخته حَفْصة...

زينب بنت مظعون... أخت عثمان بن مظعون...

« أسلم بمكة قديما مع أبيه وهو صغير... وهاجر معه...

« وهو أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية...

« وأحد العبادلة الأربعة...

« وثانيهم ابن عباس...

« وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص...

« ورابعهم عبد الله بن الزبير...

٢٦٣٠ حديثا

« روي له . . . الفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا . . .

« اتفقا منهـا على مائة وسبعين حديثا . . .

« وانفرد البخاري بأحد وثمانين . . .

« ومسلم بأحد وثلاثين . . .

« وهو اكثر الصحابة رواية بعد أبي هريرة . . .

« مات عن اربع وقيل ست وثمانين سنة . . . » .

« وقد روى مسلم معنى قول ابن عمر رضي الله عنهما . . . من حديث النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم . . . فقال: البر حسن الخُلُق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » . .

ما هي التقوى؟!

« التقوى » هي الخشية . . . قال الله تعالى ﴿يـا أيها النـاس اتَّقُـوا رَبَّكُـم واخْشَوْا﴾[1] . . ومثله في أول الحج والشعراء ﴿إذ قالَ لهم أخوهم نوحٌ ألا تَتَّقُون﴾[2] يعني ألا تخشون الله؟ . . .

وحقيقة التقوى ان يقي نفسه تعاطي ما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك . . .

وتأتي في القرآن على معان: الإيمان . . .

نحو قوله تعالى ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾[3] أي التوحيد والتوبة . . .

ونحو قوله تعالى ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾[4] اي تابوا . . .

---

(١) سورة لقمان، الآية ٣٣ .

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٠٦ .

(٣) سورة الفتح، الآية ٢٦ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ٩٦ .

والطاعة نحو ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾[1]...

وترك المعصية نحو قوله تعالى ﴿وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله﴾[2] أي لا تعصوه...

والاخلاص نحو قوله تعالى ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾[3] اي من اخلاص القلوب...

فإن قلت: ما أصله؟...

قلت: اصله من الوقاية وهو فرط الصيانة...

ما هو المعنى؟!

« ما حاك في الصدر » قال النووي: ما حاك بالتخفيف:

هو ما يقع في القلب... ولا ينشرح له صدره... وخاف الإثم فيه...

وقال التيمي: حاك في الصدر: اي ثبت... فالذي يبلغ حقيقة التقوى تكون نفسه متيقنة للايمان سالمة من الشكوك...

وقال الكرماني: حقيقة التقوى اي الإيمان... لأن المراد من التقوى وقاية النفس عن الشرك...

وفيه اشارة الى ان بعض المؤمنين بلغوا الى كنه الإيمان... وبعضهم لا... فتجوز الزيادة والنقصان... وفي بعض الروايات قال: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان بدل التقوى ».

★ ★ ★

(١) سورة النحل، الآية ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٩.

(٣) سورة الحج، الآية ٣٢.

اقول: اذا رُويَ لعبد الله بن عُمَر ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا... كان هذا دليلا واضحا على أن شخصية عبد الله بن عمر تكونت من أنوار هذه الأحاديث الشريفة...

فهو قد رأى النبي ﷺ...

وهو قد رَوَى عنه ﷺ... فأكثر...

وهو اكثر الصحابة رواية بعد أبي هريرة...

فما معنى هذا كله؟!

معناه أنَّ رجلا شهد النبي ﷺ...

ورَوى عن النبي ﷺ... فأكثر...

وكان شديد الحرص على اتباع سُنَّة النبي ﷺ... في أمره كله...

رجلا كان هذا شأنه من الحتم أن يكون انسانا راقيا غاية الرقي... زاهدا غاية الزهد... محبا لله ورسوله غاية الحبّ!!!

وقد كان ابن عُمَر... هذا كله وزيادة!!!

وَوَقَعَ . . .
في نَفْسي . . .
أنَّها النَّخْلَةُ . . . ؟!

عنِ ابنِ عُمَرَ... قالَ:
« قالَ رسولُ اللهِ... ﷺ :
« إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا...
« وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ...
« فحَدِّثُوني مَا هِيَ؟...
« فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَوَادِي...
« قال عبْدُ اللهِ: ووقَعَ في نَفْسي أنَّهَا النَّخلَةُ...
« فَاسْتَحْيَيْتُ...
« ثُمَّ قالَوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يا رسولَ اللهِ؟...
« قالَ: هِيَ النَّخْلَةُ ».

أخرجه البخاري

« من الشجر » الشجر والشجرة ماكان على ساق من نبات الأرض.

« البوادي » جمع بادية وهي خلاف الحاضرة...

« فوقع الناس في شجر البوادي » اي ذهبت أفكارهم الى شجر البوادي... وذهلوا عن النخلة... فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع...

« قال عبد الله » اي عبد الله بن عمر... رضي الله عنهما...

« فاستحييت » زاد في رواية مجاهد « فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا

أصغر القوم »... وله في الأطعمة « فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم »... وفي رواية « فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن كنت قلتها أحب إليّ من أن يكون لي كذا وكذا »...

« مثل المسلم » وأما وجه الشبه... فقد اختلفوا فيه...

فقال بعضهم: هو كثرة خيرها... ودوام ظلها... وطيب ثمرها... ووجودها على الدوام... فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس... وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة... من خشبها وورقها وأغصانها... فيستعمل جذوعا وحطبا وعصيًّا ومحاضر وحُصرا وحبالا وأواني وغير ذلك مما ينتفع به من أجزائها... ثم آخرها نواها ينتفع به علفا للإبل وغيره... ثم جمال نباتها... وحسن ثمرتها... وهي كلها منافع وخير وجمال... وكذلك المؤمن خير كله... من كثرة طاعاته... ومكارم أخلاقه... ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره والصدقة وسائر الطاعات... هذا هو الصحيح في وجه الشبه...

استنباط الأحكام؟!

فيه استحباب القاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفِكْر...

وفيه توقير الكبار وترك التكلم عندهم...

فيه استحباب الحياء ما لم يؤد الى تفويت مصلحة... ولهذا تمنى عمر... رضي الله عنه... أن يكون ابنه لم يسكت...

فيه جواز ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الأفهام... وتصوير المعاني في الذهن... وتحديد الفكر... والنظر في حكم الحادثة...

فيه ان العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه... لأن العلم منح إلهية ومواهب رحمانية وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء...

فيه دلالة على فضيلة النخل... قال المفسرون: ضرب الله مثلا كلمة طيبة... لا إله إلا الله... كشجرة طيبة... هي النخلة... أصلها ثابت... في الأرض... وفرعها في السماء... أي رأسها... تؤتي أكلها... كل وقت.

وقد شبه الله الايمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن...

كثبات النخلة في منبتها... وشبه ارتفاع عمله الى السماء بارتفاع فروع النخلة... وما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان بما ينال من ثمر النخلة... في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر...

وقد ورد ذلك صريحا... فيما رواه البزار... عن ابن عمر قال:

« قرأ رسول الله ﷺ...

« فذكر هذه الآية...

« فقال: أتدرون ما هي؟...

« قال ابن عمر: لم يخف على أنها النخلة... فمنعني أن أتكلم لمكان سنّي...

« فقال رسول الله عليه السلام: هي النخلة »...

وروى ابن حبَّان...

عن عبد الله بن عمر... رضي الله عنهما... أن النبي ﷺ قال:

« من يخبرني عن شجرة مثلها مثل المؤمن أصلها ثابت وفرعها في السما » ؟...

وروى البزار أيضًا...

عن ابن عمر... قال: قال رسول الله ﷺ:

« مثل المؤمن مثل النخلة...

« فما أتاك منها نفعك »...

★ ★ ★

اقول... ماذا يؤخذ من هذا الحديث المبارك؟!

يؤخذ منه أنَّ ابن عمر... كان ذكيًّا... حيث فطن لما لم يفطن له بعض أكابر الصحابة وكان فيهم أبو بكر وعمر... كما ورد في احدى الروايات...

وأنه كان على الغاية من حسن الأخلاق... حيث استحيا أن يتكلم بحضرة مَن هم أكبر منه سنًّا... رغم معرفته بالجواب الصحيح!!!

وأنه كان حريصًا أن يحضر مجالس الرسول عليه السلام... ليزداد علمًا ورُقِيًّا وأُنْسًا!!!

ابن عُمَر . . .
يقول للحجَّاج . . .
تقتلني . . .
ثم تعودني . . . ؟!

السفّاح المسمّى الحجّاج ... قاتل الآلاف ...
كان له موقف يدل على الخسَّة والدهاء معا ...
فما هو هذا الموقف الدنيء ؟!

★ ★ ★

« عن سعيد بن جُبَيْر ... قالَ:
« كنتُ مَعَ ابـنِ عُمَـرَ حينَ أصَـابَـهُ سِنَـانُ الرُّمْـح ... في أَخْمَصِ قَدَمِهِ ... فَلَزِقَت قَدَمُهُ بالرِّكابِ ...
« فَنَزَلْتُ فَنَزَعْتُها ...
« وذلِكَ بِمنًى ...
« فَبَلَغَ الحجّاجَ ... فجَعَل يَعُودُهُ!!!
« فقالَ الحجّاجُ: لَوْ نَعْلَمُ مَنْ أصابَكَ؟! ...
« فقالَ ابنُ عُمَرَ: أنْتَ أَصَبْتَنِي!!!
« قال: وكَيْفَ؟ ..
« قال: حَمَلْتَ السِّلاحَ في يوْمٍ لم يَكُن يُحْمَلُ فيه ...

« وأدْخلْتَ السلاَح الحَرَمَ . . .
ولم يَكُن السلاَحُ يُدْخَلُ الحَرَمَ!!!

أخرجه البخاري

« أخمص قدمه » باطن القدم وما رَقَّ من أسفلها . . .

« فنزعتها » اي فنزعت السنان

« وذلك بمنى » اي ما ذكر وقع في مِنى . . . سمي بها لأن الدماء تمنى فيها أي تراق . . .

« فبلغ الحجَّاج » أي ابن يوسف الثقفي . . . وكان اذ ذاك أميرا على الحجاز . . . وذلك بعد قتل عبد الله بن الزبير بسنة . . . وكان عاملا على العراق عشرين سنة . . . وفعل فيها ما فعل من سفك الدماء والالحاد في حرم الله وغير ذلك من المفاسد . . . مات سنة خمس وتسعين . . .

« فجاء » اي الحجاج يعوده أي يعود عبد الله بن عُمر . . .

« لو تعلم ما أصابك » في رواية . . . وفي رواية « لو نعلم من أصابك عاقبناه » . . . وفي رواية « لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه »!!!

« أنت أصبتني » خطاب ابن عمر للحجاج . . . وفيه نسبة الفعل الى الآمر بشيء يتسبب منه ذلك الفعل . . .

حكى الزبير في الأنساب أن عبد الملك لما كتب الى الحجاج ان لا يخالف ابن عمر . . . رضي الله تعالى عنهما . . . شقَّ عليه . . . فأمر رجلا معه حربة . . . يقال انها كانت مسمومة . . . فلصق ذلك الرجل به . . . فأمرَّ الحربة على قدمه . . . فمرض منها أياما . . . ثم مات!!!

وذلك في سنة أربع وسبعين!!!

« قال : وكيف ؟ » اي قال الحجاج : وكيف أصبتك ؟! . . .

« قال » ابن عمر . . .

« حملت السلاح في يوم » أي في يوم العيد . . . لم يكن يحمل فيه سلاح . . .

«وأدخلت السلاح» في حرم مكة... وخالفت السنة من وجهين... لأنه حمل السلاح في غير مكانه وزمانه!!!

ما يستفاد منه؟!

فيه أن منّى من الحَرَم...

وفيه المنع من حمل السلاح في الحَرَم... للأمن الذي جعله الله لحماية المسلمين فيه لقوله تعالى ﴿ومن دخله كان آمنا﴾[1] ...

قالوا: «لما أنكر عبد الله على الحجَّاج نصب المنجنيق... يعني على الكعبة... وقتل عبد الله بن الزبير... أمر الحجَّاج بقتله... فضربه رجل من أهل الشام ضربة...

فلما أتاه الحجاج يعوده قال له عبد الله:

«تقتلني... ثم تعودني!!!

«كفى الله حكَمًا بيني وبينك» !!!

هذا صريح بأنه أمر بقتله وهو قاتله...

ولهذا قال عبد الله: تقتلني ثم تعودني؟!!

وفيما حكاه الزبير في الأنساب الأمر بالقتل غير صريح...

وروى ابن سعد من وجه آخر: أن الحجَّاج دخل على ابن عمر يعوده لما أصيبت رجله فقال له: يا أبا عبد الرحمن... هل تدري من أصاب رجلك؟.. قال: لا... قال: أما والله لو علمت من أصابك لقتلته!!!

فأطرق ابن عمر... فجعل لا يكلمه ولا يلتفت إليه... فوثب كالمغضب!!!

* * *

(١) سورة آل عمران، الآية ٩٧.

وفي رواية أخرى للبخاري:

« حَدثني إسحاقُ بنُ سعيد... بن عَمْرو بنِ سعيدِ... بنِ العاصِي... عنْ أبيهِ... قالَ: « دَخَلَ الحجّاجُ عَلَى ابْنِ عُمَرَ وَأَنا عِنْدَهُ...

« فقالَ: كيْفَ هُوَ؟...

« فقالَ: صالحٌ...

« فقالَ: مَن أصابَكَ؟

« قال: أصابَني مَنْ أَمَرَ بحَمْل السِّلاحِ في يَوْمٍ لا يَحِلُّ فيهِ حَمْلُهُ « يَعْني الحجّاجَ ».

★ ★ ★

اقول: وذَهَبَ عملاق من عمالقة الإسلام... ضحية مؤامرة دنيئة من مؤامرات السفّاح الحجّاج!!!

وهذا الحجّاج مثال صارخ من الجبّارين الذين يعجُّ بهم التاريخ الإسلامي... الذين أثقلوا هذا الدين بقاذورات جرائمهم... وأدناس مؤامراتهم!!!

إن الإسلام هو أروع نظام سياسي... ظهر أو سوف يظهَر إلى يوم القيامة...

دينٌ ليس كمثله دين!!!

صفاء... نقاء... جمال... حبّ... مساواة... عدل... رحمة... مهما عدّدْت محاسنه فإنك لا تُحصيها!!!

إلا أن هؤلاءالمجرمين الأفّاكين.. محترفة السياسة... يسيئون إليه دائما وأبدًا...

يفعلون أفاعيلهم القذرة... التي تنسب الى التاريخ الاسلامي... ويلتقطها أعداء الإسلام... ويضيفون اليها من تهاويلهم وأضغانهم... ويصطرخون: انظروا... هذا هو الاسلام... سفك للدماء... وإهدار للآدمية!!!

والإسلام بريء... ولكن يُحسب عليه ما يرتكبه مجرمو المسلمين وطغاتهم!!!

هذا الحجَّاج... هذا القبيح... لم يشبع نهمه أنه استباح الكعبة... وأمر بضربها بالمنجنيق...

ثم قَتَلَ عبد الله بن الزبير...

كلّ هذه الجرائم... ومع هذا كيف يجرؤ عبد الله بن عمر أن يُنكر عليه نصب المنجنيق على الكعبة؟!

والجبابرة وحوش كاسرة... إن لم تواجهها الشعوب وتقتلع أنيابها... صالوا وجالوا...

وعربدوا قتْلا ونهْبا وإجراما!!!

هذا الأفَّاك المسمى الحجَّاج... كَبُرَ في صدره... أن يُنكر عليه ابن عمر إجرامه!!!

ولو بَالَ ابن عمر لكانَ بَوْلُه خيرا من الحجَّاج!!!

وَلكن هي مصيبة ارتفاع الأوباش الى المناصب العليا!!!

إنهم حينئذ يسمون كرامَ الناس... الذِّل والهَوان!!!

وانظر الى أي مدى بلغت خسَّة هذا المجرم...

قَتَلَ عبد الله بن عمر... ودَّبَر لقتله...

ثم ذهب يتشفى... يعوده... ويقول في خُبْث خسيس:

« لو أعلم الذي أصابك لضربتُ عنقه!!!

إنه يتلذذ بالتهكم بابن عمر!!! ألا عَلَى الحجَّاج... ما يستحقه!!!

ابنِ عُمَر يقول:
أليسَ لَكَ في...
رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم...
أسْوَةٌ حَسَنَةٌ...؟!

نحن الآن أمام... إمامٍ مُحِبٍّ... شديد الحبّ لرسول الله... ﷺ...

يدفعه حبّه للرسول ﷺ...

أن يتبعه في كل شأن من شئون حياته...

وسوف نشهد في هذا الفصل ألوانا رائعة... من بدائع اتباعه لرسول الله ﷺ...

أَلَيْسَ لَكَ في رسُول الله ﷺ أُسوة حَسَنَةٌ؟!

« عن سعيدِ بن يَسَارٍ أنَّهُ قالَ:

« كُنتُ أسيرُ معَ عبدِاللهِ بنِ عُمَرَ بطريق مَكَّةَ...

« فقال سعيدٌ: فلمّا خَشِيتُ الصُّبْحَ نَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ ثمّ لَحِقْتُهُ...

« فقالَ عبدُاللهِ بنُ عُمَرَ:

« أينَ كُنْتَ؟...

« فقُلْتُ: خَشِيتُ الصَّبْحَ فَنَزَلْتُ فأوتَرْتُ...

« فقال عبدُاللهِ: أَلَيْسَ لَكَ في رسول الله صلّى الله عليه وسلم أسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟...

« فقلتُ: بَلَى والله...

« قال: فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ.»

[أخرجه البخاري]

إن سعيدًا هنا رأى أن يصلي الوتر على ظهر الأرض... ولا شيء في هذا... ولكن ابن عمر يرى أن اتباع رسول الله ﷺ أفضل... وفيه أجران... أجر الصلاة وأجر الاتباع!!!

إنه الحبّ!!!

ويُخْبِرُ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَفْعَلُهُ؟!

« عن نافعٍ قالَ:

« وكانَ ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... يُصَلِّي عَلَى رَاحِلتِهِ...

« ويُوتِرُ عَلَيْهَا...

« ويُخْبِرُ أنَّ النبيَّ ﷺ... كان يَفْعَلُهُ.»

[أخرجه البخاري]

« يصلي على راحلته » يعني في السفر...

« ويوتر على راحلته » وقد احتج عطاء بن أبي رباح... والحسن البصري... وسالم بن عبدالله... ونافع مولى ابن عمر... بهذا الحديث وأمثاله على أن المسافر يجوز له أن يصلي الوتر على راحلته...

وبه قال مالك والشافعي وأحمد واسحاق...

ويروى ذلك عن عليّ... وابن عباس رضي الله تعالى عنهم!!!

صَحِبْتُ النبيَّ ﷺ؟!

« أنَّ حَفْصَ بنَ عاصِمٍ حدَّثَهُ قالَ:
« سافَرَ ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... فقالَ:
« صَحِبْتُ النبيَّ ﷺ...
« فلَمْ أرَهُ يُسَبِّحُ في السَّفَرِ...
« وقال اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿لقَدْ كانَ لكمْ في رسولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(١)

[أخرجه البخاري]

« فلم أره يسبح » أي لم أر النبي ﷺ حال كونه يسبح... أي يتنقل بالنوافل الرواتب التي قبل الفرائض وبعدها...

وقال الترمذي: اختلف أهل العلم بعد النبي ﷺ... فرأى بعض أصحاب النبي ﷺ أن يتطوع الرجل في السفر... وبه يقول أحمد وإسحاق...

ولم تر طائفة من أهل العلم أن يصلي قبلها ولا بعدها...

أقول: ها هنا ابن عمر يأخذ رأسا من مشاهده التي رأى رسول الله ﷺ يفعل!!!

* * *

يتتبَّع السُّنَن في كلّ أمره؟!

« عن عبدِاللهِ بنِ عُمَر... رضي الله عنهما... قالَ:
« رأيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ...
« إذا أعْجَلَهُ السَّيْرُ في السَّفَرِ يُؤَخِّرُ صلاة المغْرِبِ... حتَّى يَجْمَعَ بَيْنَها وبينَ العِشاء...

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

«قال سالِمٌ: وكانَ عبْدُاللهِ يَفْعَلُهُ إذا أعْجَلَهُ السَّيْرُ... ويُقيمُ المغربَ فيُصَلِّيها ثلاثًا... ثُمَّ يُسَلِّمُ... ثمَّ قَلَّمَا يَلْبَثُ حتَّى يُقيمَ العِشاءَ...
فيُصَلِّيهَا رَكْعَتَيْن... ثُمَّ يُسَلِّمُ...
«ولا يُسَبِّحُ بَيْنَهُما بركعَةٍ...
«ولا بَعْدَ العِشاءِ بِسَجْدَةٍ ...
«حتَّى يَقُومَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ.»

[أخرجه البخاري]

والحاصل ان ابن عمر ما كان يتطوع في السفر لا قبل الصلاة ولا بعدها...

وكان يصلي في جوف الليل!!!

* * *

اقول: من أين لذلك الإمام العظيم هذا؟!
من تتبعه لسُنَن رسول الله ﷺ...
رآه هكذا يفعل...
ففعل كما كان ﷺ يفعل!!!

* * *

نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ...
لوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ؟!

«عنِ ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:
«رأيْتُ عَلَى عَهْدِ النبيِّ... ﷺ...

«كأنَّ بيَدي قِطْعَةَ إسْتَبْرَقٍ فكَأنّي لا أُرِيدُ مَكانًا مِنَ الجَنَّةِ إلا طَارَتْ إليْهِ...

«ورأيْتُ كأنَّ اثنيْن أتياني أرادَا أن يَذْهَبَا بي إلى النّارِ فتلقّاهُما مَلَكٌ فقال: لَمْ تُرَعْ خلِّيَا عَنْهُ...

«فقَصّتْ حَفْصَةُ على النبيِّ ﷺ إحْدى رُؤْيَايَ...

«فقالَ النبيُّ ﷺ:

«نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُالله...

«لو كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ...

«فكانَ عَبْدُاللهِ رضي الله عنه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ...»

[أخرجه البخاري]

«إستبرق» وهو الديباج الغليظ...

«طارت إليه» وفي التعبير بلفظ «إلا طارت به اليه»

«لم تُرَع» أي لا يكون بك خوف...

«فكان عبدالله يصلي من الليل» كلام نافع... (الراوي)...

★ ★ ★

اقول: قال الراوي: فكان عبدالله رضي الله عنه يصلي من الليل...

وأقول: وكيف لا يصلي... ويداوم على صلاة الليل وقد سمع النبي ﷺ يقول: نعم الرجل عبدالله... لو كان يصلي من الليل؟!

سمعها... فاستقرت في شغاف قلبه...

فانتظم عليها طيلة حياته...

لأنها توجيه الحبيب ﷺ!!!

من هنا... من مثل هذه التوجيهات الشريفة... قام بنيان عبدالله بن عمر...

فعظمة شخصيته لم تأت من فراغ...

كلا وإنما من أصول كريمة... وتوجيهات كريمة... فضلا عن ميراث كريم... عن والد كريم...

وما أدراك ما عُمَر؟!!

وكان يأتي مسجد قُبَاءٍ؟!

« عن ابن عُمَرَ... رضي الله عنهما... قال:

« كانَ النبيُّ... ﷺ... يأتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ... كُلَّ سَبْتٍ... ماشيًا وَرَاكِبًا...

« وكانَ عَبْدُاللهِ رضي الله عنه يَفْعَلُهُ.»

[أخرجه البخاري]

« ماشيا وراكبا » الواو فيه بمعنى أو... ومعناه بحسب ما تيسَّرَ له...

« يفعله » أي يفعل اتيان مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا!!!

عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:

« كان النبيُّ ﷺ... يأتي قُبَاءً راكبًا وماشيًا.

« زادَ ابنُ نُمَيْرٍ قال: حدّثنا عُبَيْدُاللهِ عن نافعٍ فَيُصَلِّي فيهِ رَكْعَتَيْنِ ».

[أخرجه البخاري]

* * *

أقول: كانت هذه أمثلة قليلة من بحر زاخر يطول بنا الأمر إذا حاولنا استقصاءه...

ولكن هي إشارات ترشدنا الى أن عبدالله بن عُمر... كان شديد الحب لرسول الله ﷺ...

شديد الاتباع لأقوال وأفعال النبي ﷺ...

فهو بهذا يعتبر من أئمة الاتباع العظماء الفقهاء العلماء...

بل هو مثال فريد ينفرد بخاصية الإصرار التام على اتباع رسول الله ﷺ... في كل صغير وكبير من أمر هذا الدين...

فمن أراد وجه السُّنَّة المنير... فلينظر ماذا كان يفعل ابن عمر!!!

كان فقيهًا...

ولكن...

رائع الفقه..؟!

أن تكون فقيها... هذا شيء جميل...

ولكن إذا وقفت عند النصوص الفقهية وحدها... ولم تنفذ إلى أعماق الأمور... كنتَ جَلْفًا جافيًا...

ولم يك ابن عمر من هؤلاء... ولكن كان فقيها عارفًا بالله...

فجاء فهْمه فهْمًا عاليًا... صاعدًا إلى الآفاق العليا...

★ ★ ★

أخرج البخاريّ في صحيحه...

« وَرَأى ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... فُسْطَاطًا على قَبْرِ عبدِ الرحمن...

« فقالَ: انْزِعْهُ يا غُلَامُ...

« فإنَّما يُظِلّهُ عَمَلُهُ.»

عبد الرحمن هو ابن أبي بكر الصديق... رضي الله تعالى عنهما...

بَيَّنَه ابن سعد في روايته له... قال: مَرَّ عبدالله بن عمر على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر... أخي عائشة... رضي الله تعالى عنهم... وعليه فسطاط مضروب... فقال: يا غلام انزعه فإنما يُظلّه عمله...

« قـال الغلام: تضربني مولاتي...

« قال: كلا... فنزعه...

« قوله « انزعه » أي اقلعه... وكان الغلام الذي خاطبه عبدالله غلام عائشة أخت عبد الرحمن...

« فإنما يظله » أي لا يظله الفسطاط... بل يظله العمل الصالح...

فدل هذا على أن نصب الخيام على القبر مكروه... ولا ينفع الميت ذلك... ولا ينفعه الا عمله الصالح الذي قدمه...

★ ★ ★

أقول: ها هنا نرى ابن عمر... عاليا... في درجة لا يبلغها إلا من آتاه الله فَهْمًا ربانيا رفيعا!!!

فإنما يُظِلُّه عمله؟!!

أطلقها ابن عمر تتشعشع في الحياة طولا وعرضا...

لا شيء من هذه الحماقات التي يصنع الأغبياء حول القبور من الزخارف والنقوش والقباب ينفع الميت... لأنه لا علاقة له بها...

وإنما يُظِلُّه عمله!!!

عُمَرُ يقولُ:

«يا عَبْدَالله بنَ عُمَرَ...

اذْهَبْ إلى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ...

ثُمَّ سَلْهَا...

أَنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ»...؟!

نحن الآن أمام مشهد رهيب عجيب!!!

عمــر بــن الخطــاب... أمير المؤمنين... وحــاكم مشــارق الأرض ومغاربها...

ينزف دمًا... ويحتضر!!!

وها هو ينادي ابنه... عبدالله بن عمر...

الوالد العظيم... ينادي الابن العظيم!!!

فماذا قال الوالدُ لوَلَده... وماذا جاء الوَلَدُ والدَه؟!

★ ★ ★

« عنْ عَمْرو بن مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ... قالَ:

« رأيْتُ عُمَرَ بنَ الخطابِ... رضي الله عنه... قالَ:

يا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ...

اذْهَبْ إلى أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها... فَقُلْ:

يَقْرَأُ عُمَرُ بنُ الخطابِ عليْكِ السَّلَامَ...

« ثُمَّ سَلْها أنْ أُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيَّ...

« قالت: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي... فَلَأُوثِرَنَّهُ اليَوْمَ على نَفْسِي...

« فلمَّا أَقْبَلَ... قالَ لَهُ:
« ما لَدَيْكَ؟...
« قال: أذِنَتْ لكَ يا أميرَ المؤمنينَ...
« قال: ما كانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إليَّ مِنْ ذَلِكَ المضْجَعِ...
« فإذا قُبِضْتُ فاحْمِلُونِي...
« ثمَّ سَلِّمُوا...
« ثُمَّ قُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بنُ الخطابِ...
« فإنْ أذِنَتْ لي فَادْفِنُونِي... وإلا فَرُدُّونِي إلى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ...
« إنِّي لا أعْلَمُ أحَدًا أحَقَّ بهذا الأمِرِ مِنْ هؤلاءِ النَّفَرِ الذين تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو عَنْهُمْ راضٍ...
« فمَن استخلَفوا بعْدِي فهُوَ الخليفةُ... فاسْمَعُوا لَهُ وأطِيعُوا...
« فسَمَّى عثمانَ وعليًّا وطلحَةَ والزُّبَيْرَ وعبدَ الرحمنِ بَن عَوْفٍ وسَعْد بَن عَوْفٍ وسَعْد بَن أبي وقَّاصٍ...
« ووَلَجَ عليْهِ شابٌ مَن الأنصارِ فقالَ: أبْشِرْ يا أميرَ المُؤْمِنِينَ ببُشْرَى اللهِ... كانَ لكَ مِنَ القَدَمِ في الاسلامِ ما قد عَلِمْتُ... ثم استُخلِفْتَ فعَدَلْتَ... ثمَّ الشَّهادةُ بعد هذا كُلِّهِ...
« فقالَ: ليْتَني يا ابنَ أخِي وَذلِكَ كَفافٌ لا عَلَيَّ ولا لِي...
« أُوصي الخليفة مِن بعدي بالمهاجرينَ الأوَّلين خيْرًا... أنْ يعرفَ لهم حَقَّهُم... وأن يَحْفَظَ لهم حُرْمَتَهُم...
« وأُوصيهِ بالأنصارِ خيْرًا... الذين تَبَوَّؤُا الدارَ والإيمانَ... أن يُقْبَلَ مِن مُحْسِنِيهم... ويُعْفَى عن مُسِيئِهِمْ...
« وأوصيه بذِمَّةِ اللهَ وذِمَّة رسولِهِ ﷺ... أن يُوفَى لَهُم بِعَهْدِهِم... وأَن يُقاتَل مِنْ وَرَائِهِمْ... وأنْ لا يُكَلَّفُوا فوْقَ طاقتِهِمْ».

[أخرجه البخاري]

« مع صاحِبَيَّ » أراد بصاحبيه النبي ﷺ ... وأبا بكر رضي الله تعالى عنه...

« كنت أريده » أي كنت أريد الدفن مع صاحبيه...

« فلأوثرنه » من الايثار... يقال آثرت فلانا على نفسي إذا اختاره على نفسه وفضَّله عليه...

« ما لديك؟ » أي ما عندك من الخبر...

« « أذنَتْ لكَ » أي عائشة رضي الله تعالى عنها أذنت له بالدفن مع صاحبيه...

« من ذلك المضجع » أراد به مضجع النبي ﷺ ... ومضجع ابي بكر رضي الله تعالى عنه...

« ثم الشهادة » ثم جاءتك الشهادة... قتله أبو لؤلؤة وكان غلاما للمغيرة بن شعبة... وكان يدَّعي الاسلام... فلما خرج عمر إلى الناس لصلاة الصبح جاء عدو الله فطعنه بسكين مسمومة ذات طرفين فقتله!!!

* * *

أقول: هذا هو المشهد الرهيب العجيب...
أعظم شخصية عالمية في حالة احتضار...
ينادي ابنه:
« يا عبدالله بن عمر...
« اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها...
فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليكِ السلامَ...
« ثم سلها أن أدفن مع صاحبيَّ!!!
ما هذا؟!!

هذه لوحات فنية عالمية... ستبقى إلى يوم القيامة تتطلع إليها أعناق الآدميين... إكبارًا وتوقيرًا!!!

عُمَر؟!!!

لا يعنيه في مقامه ذاك...

إلا أن يُدفن مع صاحبيه!!!

أيّ صنف من الناس كان هؤلاء؟!!

ملائكة؟... كلا...

عظماء؟... كلا... إنهم أكبر من عظماء!!!

إنهم أصحاب النبي ﷺ...

وهذا أحَدُهم... اسمه عمر بن الخطّاب!!!

وذهب ابن عمر... وبَلَّغ عائشة رسالة أبيه...

فماذا كان من أم المؤمنين؟!!

أعجب وأعجب!!!

«كنتُ أريدُهُ لنفْسي...

«فلأوثرَنَّهُ اليومَ على نفسي»!!!

مشهد أعجب من مشهد مضى!!!

أُمّ المؤمنين تتنازل عن أمنيتها الغالية... للفاروق!!!

ثم ماذا؟!!

«فلمّا أقبل قال له:

«ما لديك؟...

«قال: أذنَتْ لكَ يا أمير المؤمنين»!!!

فماذا كان من الفاروق؟!

«ما كان شيء أهمَّ إليَّ من ذلك المضجع»!!!

ماذا أريد أن أقول؟!

أريد أن أقول أن ابن عمر... كان كوكب هذه الأحداث... يغدو من أبيه إلى أم المؤمنين... ومنها إلى أبيه...

إنه موضع ثقة أبيه... وحُبِّه... ولا يُحب عمر إلا مَن كان أهلا لحُبِّ الله!!!

ابن عُمَرَ يقول:

«رأيتُ رسول الله...

صلى الله عليه وسلم» ....؟!

كان ابن عمر حريصًا أشد الحرص... أن يقتدي برسول الله... ﷺ... في كل أمر...

وتراه يفعل الفعل ثم يقول: رأيتُ رسولَ الله... ﷺ... يفعل كذا وكذا!!!

رأيت رسولَ الله ﷺ

«عنِ ابنِ شهابٍ أنَّ سالمَ بن عبدِاللهِ قال أخبره أنَّ ابنَ عُمَرَ رَضي الله عنهما... قال:

«رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ... يَرْكَبُ راحِلَتَهُ بذِي الْحُلَيْفَةِ...

«ثُمَّ يُهِلَّ حتّى تَسْتَوِيَ بهِ قائمَةً.»

[أخرجه البخاري]

«يركب راحلته» الراحلة من الإبل القويّ على الأسفار والأحمال والذكر والأنثى فيه سواء...

«بذي الحُلَيْفة» وهي شجرة منها يحرم أهل المدينة... وهي من المدينة على أربعة أميال... وقيل بينها وبين المدينة ميل أو ميلان... والميل ثلث فرسخ...

وهو أربعة آلاف ذراع... وبذي الحليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله ﷺ... المسجد الكبير الذي يحرم منه الناس... والمسجد الآخر مسجد المعرس... وقال ابن التين: هي أبعد المواقيت من مكة تعظيما لاحرام النبي ﷺ...

«ثم يهل» من الإهلال وهو رفع الصوت بالتلبية...

«حتى تستوي» أي الراحلة...

أقول: ما أثر هذا الحديث في بنيان عبدالله بن عمر؟

إنه كان كذلك يفعل... إذا أراد الحجّ وخرج من المدينة... رفع صوته بالتلبية وهو يركب ناقته بذي الحليفة ثم يهلّ حتى تستوي به قائمة...

لأن ابن عمر إذا قال: رأيت رسول الله ﷺ يفعل كذا... فمن الحتم أنه أيضًا كان يفعل هكذا!!!

وكان عبدالله بن عُمر... رضي الله عنهما... يفعل ذلك؟!

«عن عبدِاللهِ بنِ عمرَ... رضي الله عنهما...

«أنَّ رسولَ اللهِ... ﷺ... أناخَ بالبطْحاءِ بذِي الحُلَيْفَةِ... فصَلَّى بهَا...

«وكان عبدُاللهِبنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... يَفْعَلُ ذٰلِكَ.»

[أخرجه البخاري]

«أناخ» أي أبرك بعيره... والمعنى أنه نزل بالبطحاء بذي الحليفة... وهذه البطحاء المذكورة هنا يعرفها أهل المدينة بالمعرس... وأناخ بها ﷺ في رجوعه من مكة إلى المدينة...

وهذه الصلاة مستحبة...

وقال ابن عبد البر: هذا عند مالك وغيره من أهل العلم مستحب مستحسن مرغب فيه... وليس بسُنَّة من سنن الحج ولا المناسك التي تجب بها على تاركها فدية أو دم...

ولكنه حسن عند جميعهم الا ابن عمر... فإنه جعله سُنَّة!!!

★ ★ ★

أقول: لأن ابن عمر يبحث عن شيء وراء تقاسيم الفقه... يبحث عن أي شيء فعله الحبيب ﷺ... ليفعل كما فعل!!!

حُبًّا... وأُنْسًا... والتماسًا للأنوار!!!

ابن عُمَر يُلَبِّي... كما كان صلى الله عليه وسلم يُلَبِّي؟!

«عن نافعٍ... قالَ:

«كانَ ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... إذا صلَّى بالغَدَاةِ بذي الحُلَيْفَةِ...

«أمَرَ بَراحِلَتِهِ فرُحِلَتْ...

«ثمَّ رَكِبَ...

«فإذا استَوَتْ بهِ استقْبَلَ القِبْلَةَ قائِمًا...

«ثُمَّ يُلَبِّي... حتَّى يَبْلُغَ الحَرَمَ...

«ثُمَّ يُمْسِكُ حتَّى إذا جاءَ ذا طُوًى باتَ بهِ حتَّى يُصْبِحَ...

«فإذا صلَّى الغَدَاةَ اغْتَسَلَ...

«وزَعَمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ... فَعَلَ ذلِكَ.»

[أخرجه البخاري]

« إذا صلى بالغداة » أي صلاة الغداة وهي الصبح...

« قائمًا » أي منتصبًا غير مائل على ناقته...

« ثم يمسك » أي عن التلبية... وليس المراد بالامساك عن التلبية تركها أصلًا وإنما المراد التشاغل بغيرها من الطواف وغيره...

وقد روي ان ابن عمر... كان لا يلبي في طوافه...

كما رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق عطاء قال:

كان ابن عمر رضي الله تعالى عنه يدع التلبية إذا دخل الحرم... ويراجعها بعدما يقضي طوافه بين الصفا والمروة...

ومذهب ابن عمر انه كان يتركها إذا دخل الحرَم...

« حتى إذا جاء ذا طُوًى » واد معروف بقرب مكة... وقال النووي: هو موضع عند باب مكة بأسفلها في صوب طريق العُمرة المعتادة...

« بات به » أي بذي طُوًى...

« حتى يصبح » أي إلى أن يدخل في الصباح...

« فإذا صلَّى الغداة » أي صلاة الغداة وهي الصبح... « اغتسل »...

« وزعم » أي قال... ويطلق الزعم على القول الصحيح... وفي رواية « ويحدث أن نبي الله ﷺ كان يفعل ذلك...

وقالوا:

لا خلاف ان المبيت بذي طُوًى ودخول مكة نهارًا ليس من المناسك... ولكن إن فعله اقتداء بالنبي ﷺ... وتبعا لآثاره كان ثوابه في ذلك جزيلا...

وكان ابن عمر يقطع التلبية إذا رأى بيوت مكة...

★ ★ ★

أقول: وهكذا كان ابن عمر... يتتبع أفعال رسول الله ﷺ...

ويقول: ان رسول الله ﷺ ... فعل ذلك!!!

ليست القضية في مفاهيمه قضية أحكام فقهية... أو بحث عن أجور في الآخرة...

وإنما هو أفُقٌ أعلى...

إنه يحب رسول الله ﷺ: ولا يُطيق ألاّ يفعل كما رآه يفعل!!!

« حدثني نافعٌ... عنِ ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قال:

« باتَ النبيُّ ﷺ... بذي طُوًى... حتى أصْبَحَ... ثمَّ دَخَلَ مكَّةَ...

« وكان ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... يَفْعَلُهُ.»

[أخرجه البخاري]

أقول: تأمل قوله « وكان ابن عُمَرَ يفعَلُهُ؟!!

إنه منهاج دائم لابن عمر...

أيّ شيء فعله ﷺ... كان ابن عمر يفعله!!!

مُنْذُ رَأَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَلِمُهُمَا ؟!

« عنِ ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:

« ما تَرَكْتُ استلامَ هذيْنِ الرُّكنَيْنِ في شدَّةٍ ولا رَخاءٍ...

« مُنْذُ رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ يَسْتَلِمُهُمَا...

« قلتُ لنافعٍ: أكانَ ابنُ عُمَرَ يَمْشِي بيْنَ الرُّكْنَيْنِ؟...

« قال: إنَّما كان يمشِي ليكونَ أيْسَرَ لاستلامِهِ» .

[أخرجه البخاري

« هذين الركنين » أي اليانيين دون غيرهما فكان يرمل في غيرهما...

« قلت لنافع » القائل هو عبيدالله الراوي...

« إنما كان يمشي » أي لا يرمل...

« ليكون أيسر » أي أرفق ليقوى على الاستلام عند الازدحام...

★ ★ ★

أقول: هذا تقرير من ابن عمر... إنه يعترف على نفسه.

« ما تَركتُ استلامَ هذين الركنين...

« « في شدة ولا رخاءٍ...

« منذُ رأيتُ النبيَّ ﷺ... يَسْتَلِمُهُمَا » !!!

هكذا هو في أمره كله... إذا رأى رسول الله ﷺ يفعل شيئًا من أمر هذا الدين... لَم يتركه قطّ... وإنما يلزمه إلى آخر لحظة من الحياة!!!

ما تركتُ... منذُ رأيتُ؟!!

إنه إمام عظيم... يُقتدى به تمام الاقتداء... لأنه يقتدي برسول الله... ﷺ... تمام الاقتداء!!!

إذًا أصْنَعُ كما صَنَعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟!

« عن نافعٍ أنَّ ابنَ عُمَرَ... رضي الله عنهما... أرادَ الحَجَّ... عام نَزَلَ الحجَّاجُ بابنِ الزبَيْر...

« فقيل لهُ: إنَّ الناسَ كائِنٌ بَينُهمْ قتالٌ... وإنَّا نَخَافُ أنْ يَصُدُّوك...

« فقالَ: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رسولِ اللهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]... إذًا أَصْنع كما صَنَعَ رسولُ اللهِ ﷺ...

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

« إنِّي أُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ أوْجَبْتُ عُمْرَةً...

«ثُمَّ خَرَجَ حتَّى إذا كان بظاهِرِ البَيْداءِ... قال: ما شَأْنُ الحَجِّ والعُمْرَةِ إلا واحدٌ... أُشْهِدُكم أنِّي قَدْ أوْجَبْتُ حَجًّا مع عُمرَتي...

« وأهْدَى هَدْيًا اشتراه بقُدَيْدٍ... ولَمْ يَزِدْ على ذلكَ... فلَمْ يَنْحَرْ ولم يَحِلَّ منْ شيءٍ حَرُمَ مِنْهُ... ولم يَحْلِقْ ولم يُقَصِّرْ...

« حتَّى كانَ يومُ النَّحْرِ فَنَحَرَ وحَلَقَ ورَأى أن قَدْ قَضَى طوافَ الحجِّ والعُمْرَةِ بطَوَافِهِ الأَوَّلِ ...

« وقَال ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما:

« كذلِكَ فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ.»

[أخرجه البخاري]

« عام نزل الحجّاج » هو ابن يوسف الثقفي... كان متولى العراقين من جهة عبد الملك بن مروان... وأمره عبد الملك أن يتوجه إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير... رضي الله تعالى عنها... لأنه دعي له بالخلافة فلم يطع عبد الملك... فقدم الحجاج إلى مكة في سنة اثنتين وسبعين وأقام الحصار عليه...

« إني أشهدكم » إنما قال هذا ولم يكتف بالنية ليعلمه من أراد الاقتداء به...

« إلا واحد » يعني حكمهما واحد في جواز التحلل بالاحصار...

« كذلك فعل رسول الله عليه وسلم » أي طاف طوافًا واحدًا...

★ ★ ★

أقول... ها هنا عنصران خطِران من عناصر شخصية ابن عمر...

الأول: ﴿لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أسوةٌ حَسَنَةٌ﴾...

الثاني: إذًا أصنَعُ كما صَنَعَ رسول الله ﷺ...

إنَّ عماد مذهبه في حياته كلها هو هذا ...
قوله تعالى: ﴿لقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ...
وتطبيقها هو قوله: إذًا أصنَعُ كما صَنَعَ رسول الله ﷺ !!!
إنه رجل عظيم ... أسَّس شخصيته على أمرَيْن عظيمين ...
الاقتداء برسول الله ... ﷺ ... والمنهاج العملي ... أن يصنع كما صنع رسول الله ﷺ !!

إن مَشَيْتُ ... فقد رأَيْتُ رسول لله ﷺ ... يَمْشي؟!

« سَمِعْتُ ابنَ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ... قالَ:
« قَدِمَ النبيُّ ﷺ ... مَكَّة ...
« فطافَ بالبَيْتِ ...
« ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ...
« ثمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ ...
ثُمَّ تَلَا: ﴿لقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ ...

[أخرجه البخاري]

« عن سعيد بن جبير قال:
« رأيت ابن عمر يمشي بين الصفا والمروة ...
« ثم قال:
« ان مشيت فقد رأيت رسول الله ﷺ ... يمشي ...
« وإن سعيت فقد رأيته يَسعى ...
« وأنا شيخ كبير.»

[أخرجه البخاري]

وفي رواية كان يقول لأصحابه: ارملوا... فلو استطعت الرمل لرملت...

وعنه قال: رأيت عمر... رضي الله تعالى عنه... يمشي... (أخرجها سعيد بن منصور)...

★ ★ ★

أقول... لو استطعت الرمل لرملت!!!

إن الشيخوخة تمنعه أن يسرع الخُطا...

إنه عاش طيلةَ حياته يلتزم السُّنَّة...

ولكن ماذا يصنع بالشيخوخة وللشيخوخة أحكام!!!

إن أسوأ فترة على الاطلاق في حياة الانسان هي مرحلة الشيخوخة!!!

ابن عُمَر يقول:
« سُنَّةَ مُحَمَّدٍ
صلى الله عليه وسلم » ...؟!

شخصية جميلة جليلة... ذات وقار وعلم وفقه.

إذا رأى شيئًا يخالف سُنَّة رسول الله ﷺ...

نادى المخالف بأعلى صوته... يرشده الى الصواب من أمره...

هؤلاء... أصحاب رسول الله... ﷺ... كانوا رحمة... بهداهم يقتدي الناس... وإليهم يفزعون في حاجاتهم...

« عن زياد بن جُبَيْرٍ... قال:

« رأيتُ ابنَ عُمَرَ... رضي الله عنهما... أتَى علَى رجُلٍ قَدْ أناخَ بَدْنَتَهُ يَنْحَرُها...

« قال: ابعَثْها قيامًا مُقَيَّدَةً...

« سُنَّةَ مُحَمَّدٍ... ﷺ ».

« قد أناخ بَدْنَتَه » أي بركها...

« ينحرها » وفي رواية « لينحرها »...

« قال » أي ابن عمر...

« ابعثها » أي أَثِرْها... يقال بعثت الفاقة أي أثرتها...

« قياما » بمعنى قائمة... وفي رواية... انحرها قائمة...

« مقيدة » معناه معقولة برجل وهي قائمة على الثلاث...

طوبى لابن عُمَر . . .

وهو يشهدُ . . .

حِجَّةَ الوَدَاع . . . ؟!

طوبى له... ثم طوبى له!!!

شهدها معه؟!!

مع مَن؟!!

مع حبيب الرحمن... وصفوة الخَلْق... وإمام النبيين... وسيد الخَلْق... ﷺ!!!

ولو لم يكن في حياة ابن عمر إلا مشهد حجة الوداع لكانت حَسْبه شرفًا... فكيف وقد شهد عُمْرَات النبي ﷺ الأربع كلها... فضلًا عن حجَّة الوداع؟!

أم كيف وقد شهد المشاهد كلها... مصاحبًا لرسول الله ﷺ... ومُحِبًّا... ومقتديا؟!!

إنَّ ابن عمر... لم تتراكب عظمة شخصيته من فراغ...

ولكن من مشاهد شهدها مع النبي ﷺ...

إنَّه رآه!!!

مَن رأى ابنُ عُمَر؟!

رأى سيدي... وسيد الخلْق...

رسول الله... ﷺ!!!

فتشعشعت لطائف نوره ﷺ... في فؤاد ابن عمر...

فتَزَكّى . . . وترَقّى !!!
فكانت منه تلك الأعاجيب . . .
اسمع إليه يتحدث عن حجة الوداع . . . فماذا قال ؟ !
« عن ابن عمرَ . . . رضي الله عنهما . . . قال :
« قال النبيُّ . . . ﷺ . . . بمِنًى . . .
« أتدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ . . .
« قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ . . .
« فقال : فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرامٌ . . .
« أفتَدْرُونَ أيُّ بَلَدٍ هَذا ؟ . . .
« قالُوا : اللهُ ورسولهُ أعْلَمُ . . .
« قال : بَلَدٌ حَرَامٌ . . .
« أفتَدْرُونَ أيُّ شَهْرٍ هَذا ؟ . . .
« قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ . . .
« قال : شَهْرٌ حَرَامٌ . . .
« قال : فإنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دماءَكُمْ وأموالَكُم وأعراضَكُمْ . . . كحُرْمَة يَوْمِكُمْ هذا . . . في شهْرِكُم هذا . . . في بَلَدِكُم هذا . »

[أخرجه البخاري]

وماذا قال أيضًا عن حجة الوداع ؟ !
« عنِ ابنِ عُمَرَ . . . رضي الله عنهما :
« وَقَفَ النبيُّ ﷺ . . . يَوْمَ النَّحْرِ . . . بَيْنَ الجَمَرَاتِ . . . في الحِجَّةِ التي حَجَّ بهَذَا . . . وقال :
« هذا يَوْمُ الحَجِّ الأكبَرِ . . .
« فطَفِقَ النبيُّ ﷺ يقولُ اللّهُمَّ اشْهَدْ . . .
« ووَدَّعَ الناسَ . . .

« فقالوا هٰذِهِ حجَّة الوَدَاعِ . »   [أخرجه البخاري]

« بهذا » أي وقف متلبسًا بهذا الكلام المذكور . . .

« وقال هذا يوم الحج الأكبر » أي يوم النحر هذا هو يوم الحج الأكبر . . . بمعنى أن أكثر أفعال الحج من الرمي والحلق والطواف فيه . . .

« وَودَّع الناس » لأنه علم أنه لا يتفق له بعد هذا وقفة أخرى ولا اجتماع آخر مثل ذلك . . .

وسبب ذلك ما رواه البيهقي وهو « أنه انزلت ﴿ **إذا جاء نَصْرُ الله والفتح** ﴾[1] على رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع الناس اليه فقال (يا أيها الناس إن كل دم كان في الجاهلية) الحديث بطوله . . .

ورواه ابن أبي شيبة « **عن ابن عمر . . . رضي الله تعالى عنهما . . . قال:**

« **إن هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ . . . أوسط أيام التشريق بمنًى . . . وهو في حجة الوداع . . . إذا جاء نصر الله والفتح . . . حتى ختمها . . . فعرف رسول الله ﷺ انه الوداع** » .

الحديث بطوله . . .

« فقالوا » أي الصحابة هذه الحجة حجة الوَدَاع . . . وجاء بكسرها . . .

★ ★ ★

أقول . . . وقضى ابن عمر مناسك الحج والعمرة . . . في حجة الوداع مصاحبًا لرسول الله ﷺ . . . يشهده فينعم برؤية وجهه الشريف . . . ويصنع كما يصنع رسول الله . . . ﷺ . . .

فكم تَعَلَّمَ . . . وكم تَرَبَّى . . . وكم تَزَكَّى . . . وكم تَرَقَّى ؟!

طوبى لابـن عمر !!!

ثم طوبى لابن عمر !!!

---

(١) سورة النصر ، الآية ١ .

عائشة تقول:

« يَرْحَمُ اللهُ أبا عبدِ الرحمن...

ما اعْتَمَرَ عُمْرَةً إلاَّ

وهُوَ شَاهِدُهُ...؟!

كان ابن عمر إمامًا . . .

وكانوا يستفتونه كثيرًا . . .

ويجدون السكينة في قلوبهم حين يفتيهم . . . لأنه دائمًا يرشدهم الى أفعال النبي ﷺ . . . ويدعوهم إلى التأسي بها في أمورهم . . .

قال البخاري في صحيحه :

« وقال ابن عُمر . . . رضي الله عنهما :

« ليسَ أحَدٌ إلا وعَلَيْهِ حَجَّةٌ وعُمْرَةٌ » .

وورد في صحيح البخاري :

« أنَّ عِكْرِمَةَ بنَ خالدٍ سَأل ابنَ عُمَرَ . . . رضي الله عنهما . . . عنِ العُمْرَةِ قَبْلَ الحَجِّ . . .

« قال : لا بَأسَ . »

« لا بأس » يعني ليس عليه شيء إذا اعتمر قبل أن يحج!!!

وروى البخاري :

« قال عِكْرِمَةُ : قالَ ابنُ عُمَرَ :

« اعْتَمَرَ النبيُّ ﷺ . . . قَبْلَ أنْ يَحُجَّ . »

إنَّ ابن عُمر . . . مصدر من مصادر الفتوى . . . يستفتونه فيفتيهم . . . بما شهد بنفسه من أفعال النبي ﷺ . . .

جاءوه ثم سألوه: كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟

قال: أربع!!!

من أين لابن عمر هذه الإجابة الفورية؟!

مِن أنَّه كان حاضـرًا في تلك العُمْرات الأربع كلها!!!

« عن مجاهِدٍ... قالَ:

« دخلتُ أنا وعُرْوَةُ بنُ الزبَيْرِ المسجِدَ...

« فإذا عبدُالله بنُ عُمَرَ... رضِي الله عنهما... جالسٌ إلى حجرة عائشة...

« وإذا أُناسٌ يُصلُّونَ في المسجِدِ صلاة الضّحَى...

« قال: فسألناهُ عن صلاتِهِمْ؟...

« فقال: بِدْعَةٌ...

« ثم قال لهُ: كم اعْتَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ ؟...

« قال: أرْبَعٌ... إحداهُنَّ في رَجَبٍ...

« فكرهنا أن نَرُدَّ عليْهِ...

« قال: وسمِعْنا اسْتِنانَ عائشةَ أمِّ المؤمنينَ في الحجرة...

« فقال عُرْوَةُ: يا أُمَّاهُ يا أُمَّ المؤمنينَ ألا تسمعينَ ما يقولُ أبو عبدِ الرحمن؟!...

« قالتْ: ما يَقولُ؟...

« قال: يقولُ إنّ رسولَ الله ﷺ اعْتَمَرَ أرْبَعَ عُمُرَاتٍ إحداهُنَّ في رَجَبٍ!...

« قالتْ: يَرْحَمُ اللهُ أبا عبد الرحمنِ... ما اعْتَمَرَ عُمْرَةً إلاَّ وهُوَ شاهِدُهُ...

« وما اعْتَمَرَ في رجَبٍ قَطّ.»

[أخرجه البخاري]

« المسجد » يعني مسجد المدينة النبوية...

« فسألناه عن صلاتهم » أي فسألنا ابن عمر عن صلاة هؤلاء الذين يصلون في المسجد...

« « بدعة » أي صلاتهم بدعة... وقيل أراد أن إظهارها في المسجد والاجتماع لها هو البدعة لا أن نفس تلك الصلاة بدعة وهذا هو الأوجه...

« قال: أربع » الذي اعتمره النبي ﷺ أربع... أي أربع عُمَر...

« وسمعنا استنان عائشة » استنانها سواكها... وقيل معناه حسن مرور السواك على أسنانها...

« يا أماه يا أم المؤمنين » أراد بقوله « يا أماه » المعنى الأخص لكون عائشة خالته... وأراد بقوله « يا أم المؤمنين » المعنى الأعم لكونها أم المؤمنين...

« « أبو عبد الرحمن » هو كنية عبدالله بن عمر...

« « عُمُرات » يجوز ضم الميم فيها وسكونها...

« إحداهن في رجب » أي إحدى العمرات كانت في شهر رجب...

و« يرحم الله أبا عبد الرحمن » ذكرته بكنيته تعظيمًا له...

« ما اعتمر » أي النبي ﷺ ...

« « عُمْرَةً » قطّ...

« إلا وهو » أي ابن عمر...

« « شاهده » أي حاضر معه...

وقالت ذلك مبالغة في نسبته إلى النسيان...

ولم تنكر عائشة على ابن عمر إلا قوله « إحداهن في رجب »...

★ ★ ★

أقول: وهذا شرف عظيم ناله ابن عمر...

ما اعتمر النبي ﷺ عمرة قط إلا وابن عمر حاضر فيها مع النبي ﷺ !!!

فكيف لا يسألونه: كم اعتمر رسول الله ﷺ ؟!

إنه كان حاضرًا في تلك العُمْرات جميعًا...

شهدها وعاشها كلها... فإذا سألوه فإنما يسألونه عن شيء كان فيه حاضرا!!!

فضلا عما اشتهر به من حرصه الشديد على الاتباع...

وحبه الشديد للنبي ﷺ...

من هنا كانوا يستفتونه... ومن هنا كانوا يجدون الطمأنينة في فتاواه!!

وكان هو دائمًا يوجههم إلى أفعال النبي ﷺ... كلما أفتى أو أجاب!!!

« كان ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما... يقولُ:

« أَلَيْسَ حَسْبُكُمْ سُنَّةَ رسول اللهِ... ﷺ ؟...

« إنْ حُبِسَ أحَدُكُم عنِ الحَجِّ طافَ بالبيتِ والصَّفَا والمرْوَة... ثُمَّ حَلَّ مِن كلِّ شَيْء... حتَّى يَحُجَّ عامًا قابِلًا... فيُهْدِي أو يصُومَ إن لَمْ يجِدْ هَدْيًا » .

[أخرجه البخاري]

« إن حبس أحدكم عن الحج » الحبس عن الحج هو الاحصار...

« أليس حسبكم سنة رسول الله ﷺ ؟ » أي أليس يكفيكم سُنَّة رسول الله ﷺ وسلم؟... لأن معنى الحسب الكفاية ومنه حسبنا الله أي كافينا...

« طاف بالبيت » أي إذا أمكنه ذلك...

« وبالصفا والمروة » أي طاف بهما أي سعى بين الصفا والمروة...

« فيُهدي » أي يذبح شاة إذ التحلل لا يحصل الا بنية التحلل والذبح والحلْق... وان لم يجد الهَدْي يصوم بدله بعدد امداد الطعام الذي يحصل من قيمته...

★ ★ ★

أقول: قدَّمَ ابن عمر هنا التوجيه إلى سُنَّة رسول الله ﷺ ...

تحبيبًا لها وارشادا للناس إلى أن الخير كل الخير في اتباع الرسول ﷺ ... ثم أفتى...

وهذا دليل واضح على أنَّ ابن عمر... لم يكن فقيها جامدا متحجرا في النصوص...

وإنما كان ذوَّاقًا للجمال المكنون في السُّنَن النبوية...

شغوفًا باتباعها... لما يتذوق فيها من لذَّة لا تعدلها لذَّة!!!

وهذا المذاق الرفيع هو ما لا تجده عند كثير من علماء النصوص... الذين لم يهبهم الله حاسة التذوق لما وراء النصوص!!!

« عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« أنَّهُ كانَ يَرْمِي الجَمْرَةَ الدُّنيَا بسَبْعِ حَصَياتٍ... يُكبِّرُ على إثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ...

« ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حتَّى يُسْهِلَ...

« فيقومُ مستقبلَ القبلةِ فيقومُ طويلًا... ويَدعُو... ويَرْفعُ يَدَيْهِ...

« ثُمَّ يَرْمِي الوُسْطَى... ثمَّ يأخُذُ ذاتَ الشمالِ... فيَسْتَهِلُّ ويقومُ مُستقبلَ القبلةِ... فيقومُ طويلًا... ويَدْعُو... ويَرْفَعُ يَدَيْهِ... ويقوم طويلًا...

« ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذاتِ العَقَبَةِ مِنَ بَطنِ الوادِي... ولا يقِفُ عِندَها...

« ثمَّ ينصَرِفُ... فيقولُ:

« هَكَذا رأَيْتُ النبيَّ ﷺ ... يَفْعَلُهُ . »

[أخرجه البخاري]

أقول: وهكذا حوّل ابن عمر رمي الجمرات إلى عبادة ربانية جميلة تترقرق فيها مشاعر الأُنس واللطف والرحمة ... بين العبد وربّه ...

إنَّه ذوّاق ... يتلذَّذ بإتيان الطاعات ... وفْقا لما رأى النبي ﷺ يفعل ...

فيظفر بأجريْن ... أجر الطاعة ... وأجر الاتباع ...

وكان دائما ما يردد أساس مذهبه ... ودعامة فقهه ... فيقول:

« هكـذا رأيتُ النبيّ ﷺ ... يفعَلُهُ » !!!

وفي رواية:

« هكذا رأيْتُ رسول الله ﷺ ... يَفْعَلُ . »

[البخاري]

« عن نافعٍ ...

« أنَّ ابنَ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ...

« ....

« وكان إذَا صَدَرَ عَنِ الحَجِّ أو العُمْرَةِ أناخَ بالبَطْحَاءِ التي بذي الحُلَيْفَةِ ...

« التي كان النبيُّ ﷺ يُنيخُ بِهَا . » !!!

[البخاري]

« وكان إذا صدر » أي رجع متوجها نحو المدينة ...

« بها » أي بذي الحليفة ... واعلم أن النزول بذي طُوًى قبل أن يدخل مكة ... والنزول بالبطحاء التي بذي الحليفة عند رجوعه ليس بشيء من مناسك الحج فإن شاء فعله وإن شاء تركه ...

★ ★ ★

أقول... ولكن هو شيء كبير عند ابن عمر!!!

لأن المسألة عنده مسألة حب عظيم لرسول الله ﷺ ... يُحتِّم عليه أن يفعل كما رآه يفعل...

فإن كان الأمر عند الفقهاء ليس بشيء من مناسك الحج...

قلنا: نعم... ولكن هو ابن عمر... له ذوقه الخاص الذي يُحتِّم عليه أن يلتزم ما كان الحبيب ﷺ يفعل!!!

كان له . . .
في كلّ بابٍ . . .
سَهْم معلوم . . . ؟!

ظاهرة عجيبة... أنك إذا قلَّبتَ صفحات كتب الحديث... كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم...

إذا تصفحتها بابًا بابًا... وجدت لابن عمر... نصيبًا كبيرًا في كل باب...

ويندر أن يخلو باب منها من ذكر ابن عمر...

لماذا؟!... لأنَّ ابن عمر كان أحرص رواة الحديث في تتبع السُّنَن والعمل بها مهما كانت الأحوال...

ومن هنا كان ابن عمر... في طليعة مَن ينقل عنهم الرواة... وبأقواله وأفعاله يحتجون!!!

تأكدت عندي هذه الظاهرة... عندما قلَّبت صفحات صحيح البخاري... في كتاب البيوع - مثلًا - فرأيت ابن عمر يكاد يكون أكثر مَن رُوِيَ عنه في ذلك الباب!!!

وإليك أحاديث معدودة... لا كلّ ما ورد عنه في هذا الخصوص...

كمْ يَجُوزُ الخِيارُ؟

« عن ابن عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« عن النبيِّ... ﷺ... قالَ:

« إنَّ المتبايعَيْنِ بالخِيارِ في بَيْعِهِا ما لم يَتَفَرَّقَا... أوْ يَكونُ البَيْعُ خِيَارًا...

« قال نافعٌ: وكان ابنُ عُمَرَ إذا اشترى شيْئًا يُعْجِبُهُ فارَقَ صاحِبَهُ.»

[البخاري]

النبيُّ ﷺ يقول لابنِ عمر:
هُوَ لَكَ يا عَبْدَ اللهِ بن عُمَرَ؟!

« عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:

« كنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ... في سَفَرٍ...

« فكنْتُ علَى بَكْرٍ صَعْبٍ لِعُمَرَ...

« فكانَ يَغْلِبُنِي فَيتقدَّمُ أمامَ القَوْمِ فيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيَرُدُّهُ...

« ثُمَّ يَتقَدَّم فيَزْجُرُهُ عُمَرُ وَيُردُّهُ...

« فقال النبيُّ ﷺ لعُمَرَ: بِعْنِيهِ...

« قال: هُوَ لَكَ يا رسولَ اللهِ...

« قال: بِعْنِيهِ...

« فباعَهُ مِن رسولِ اللهِ ﷺ...

« فقال النبيُّ ﷺ:

« هُوَ لَكَ يا عَبْدَ اللهِ بن عُمَرَ... تَصْنَعُ بِهِ ما شِئْتَ.»

[أخرجه البخاري]

« في سفر » لم يدر أي سفر كان...

« على بكْر » ولد الناقة أول ما يركب... وقال ابن الأثير: البَكْر: الفتي من الإبل بمنزلة الغلام من الناس... والأنثى بكرة...

« صعب » وأراد به النفور لأنه لم يذلل بالركوب...

« فباعه من رسول الله ﷺ » إلى آخره فإنه ﷺ اشترى ذلك البَكْر فوهبه لعبدالله بن عمر من ساعته...

« ما شئت » يعني من التصرفات...

ما يستفاد منه؟!

فيه حجة يقول الافتراق بالكلام... ألا ترى أن سيدنا رسول الله ﷺ... وهب الجمل من ساعته لابن عمر قبل التفرق... ولو لم يكن الجمل له لما وهبه؟...

وفيه ما كانت الصحابة عليه من توقيرهم النبي ﷺ... وان لا يتقدموه في المشي...

وفيه جواز التصرف في المبيع قبل بذل الثمن...

وفيه مراعاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحوال أصحابه... وحرصه على ما يدخل عليهم السرور...

★ ★ ★

أقول... وفيه ما فيه من شرف ناله ابن عمر...

رسول الله ﷺ... يهبه ذلك البَكْر... فما معنى هذا؟!

معناه كبير كبير!!!

هبة عظيمة لأنها من أعظم العظماء!!!

كم كان سرور ابن عمر آنذاك؟!!
شيئًا وراء التصور!!!

لا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ؟!

« عن عبدِالله بنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...
« أنَّ رسولَ اللهِ... ﷺ... قال:
« لا يبيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ.»

[أخرجه البخاري]

« لا يبيعُ » وفي رواية « لا يَبِعْ »...
« على بيع أخيه » وإنما حرم بيع البعض على بعض لأنه يوغر الصدور ويورث الشحناء...

* * *

أقول... هذه أحاديث ثلاث... معدودات... اخترناها من بين أحاديث كثيرة وردت عن ابن عمر في هذا الباب وحده... باب البيوع... في صحيح البخاري... وكم له من أحاديث في كل باب من أبواب الحديث؟!

ادْعُوا اللهَ...
بأفْضَلِ عَمَلٍ...
عَمِلْتمُوه...؟!

بنيان عبدالله بن عُمر... قام على عُمُدٍ راسخات راسيات شامخات...

ومن تلك العُمُد... هذا الحديث الرائع الذي رواه عن النبي ﷺ...

ولا شك أنه تأثر به أشد التأثر...

فبقي طيلة عمره يعمل أحسن الأعمال يتقرب بها إلى ربه تبارك وتعالى...

ما كان ابن عمر من عوام المؤمنين... ولكن كان من المقربين!!!

« عن ابن عُمَر... رضي الله عنهما...

« عن النبيِّ ﷺ... قال:

« خرَجَ ثلاثةٌ يمشونَ فأصابَهُمُ المطَرُ... فدَخَلُوا في غارٍ في جَبَلٍ... فانحطَّت عليهِمْ صَخْرَةٌ...

« قالَ: فقالَ بعضُهُمْ لبَعْضٍ: ادْعُوا اللهَ بأفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ...

فقال أحَدُهُم: اللهمَّ إنِّي كان لي أبَوَان شيْخان كبيران... فكنتُ أخرُجُ فأَرْعَى... ثمّ أجيءُ فأحْلُبُ... فأجيء بالحِلابِ فآتِي به أبويَّ فيَشْرَبَان... ثمّ أسْقِي الصِّبْيَةَ وأهْلِي وامرأتي...

« فَاحْتَبَسْتُ لَيلَةً... فجئْتُ فإذا هُما نائمان...

« قال: فكرِهْتُ أن أُوقِظَهُما... والصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عندَ رِجْلَيَّ...

« فلمْ يَزَلْ ذلِكَ دَأْبِي ودأْبَهُما حتى طَلَعَ الفَجْرُ...

« اللهُمَّ إن كُنتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ فافرُجْ عنَّا فُرْجَةً نَرى مِنْها السَّماءَ...

« قال: فَفُرِجَ عَنْهُمْ...

« وقال الآخَرُ: اللهمَّ إن كُنتَ تَعْلَمُ أنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امرأةً مِن بناتِ عَمِّي... كأشَدِّ ما يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّساءَ...

« فقالَتْ: لا تنالُ ذلِكَ مِنْها حتَّى تُعْطِيَها مائةَ دِينارٍ...

« فسَعَيْتُ فِيها حتَّى جَمَعْتُها...

« فلمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْها قالَتْ: اتَّقِ الله... ولا تَفُضِ الخاتَمَ إلا بحَقِّهِ...

« فقُمْتُ... وتَرَكْتُها...

« فإن كُنتَ تَعْلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلِكَ ابتغاءَ وجْهِكَ فافْرُجْ عنَّا فُرْجَةً...

« قالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ...

« وقال الآخَرُ: اللهمّ إن كنتَ تَعْلَمُ أنِّي اسْتَأْجَرْتُ أجيرًا بفَرقٍ مِن ذُرَةٍ فأعْطَيْتَهُ وأبى ذاكَ أنْ يَأْخُذَ...

« فَعَمَدْتُ إلى ذلِكَ الفَرقِ فَزَرَعْتُهُ حتَّى اشتريْتُ منهُ بَقَرًا وراعِيَها...

« ثُمَّ جاءَ فقالَ: يا عبدَالله أعْطِني حَقِّي...

« فقُلْتُ: انْطَلِقْ إلى تلكَ البَقَرِ وراعِيها... فإنَّها لَكَ!...

« فقالَ: أتستهْزِئُ بي؟!...

« قال: فقُلْتُ: ما أستهزِئُ بكَ... ولكِنَّها لَكَ...

«اللهمَّ إن كُنتَ تَعْلَمُ أَنّي فَعَلْتُ ذلِكَ ابتغاءَ وَجْهِكَ... فافرُجْ عنّا...

«فكُشفَ عَنْهُمْ.»

[أخرجه البخاري]

«فانحطت عليهم صخرة» أي على باب غارهم... وفي رواية فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل...

«قال» أي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم.

«فقال بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه» وفي رواية: انظروا اعمالاً عملتموها صالحة لله تعالى فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم...

«إني كان لي أبوان شيخان كبيران» من باب التغليب لأن المقصود الأب والأم...

«ثم اجيء» أي من المرعى...

«فأحلب» أي التي يحلب منها...

«فأجيء بالحلاب» وهو الإناء الذي يحلب فيه... ويراد به ها هنا اللبن المحلوب...

«وأسقي الصبية» جمع صبي. وفي رواية: فبدأت بوالدي أسقيهما قبل بَنيّ... أي قبل أن أسقي بَنيّ...

«وأهلي» المراد بالأهل ههنا الأقرباء نحو الأخ والأخت...

«فاحتبست ليلة» أي تأخرت ليلة من الليالي بسبب أمر عرض لي...

«فإذا هما نائمان» وفي رواية: فوجدتهما ناما فحلبت كما كنت أحلب...

«فكرهت أن أوقظهما» وفي رواية: فقمت عند رؤوسهما... أكره أن أوقظهما... وأكره أن أسقي الصبية!!!

«والصبية يتضاغون» أي يصيحون... من الضغاء وهو الصياح بالبكاء...

«عند رجلَيّ» وفي رواية: يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر...

« فلم يزل ذلك دأبي ودأبها » أي شأني وشأنها...

« « اللهم إن كنت تعلم أني فعلتُ ذلك » وفي رواية: فإن كنتَ تعلم أني فعلته وليس فيه لفظة اللهم...

« « ابتغاء وجهك » أي طلبا لمرضاتك... والمراد بالوجه الذات... أي لأجل ابتغاء وجهك...

« فافرج عنا » أمر... وهو دعاء في صورة الأمر... وفي رواية: فافرج لنا...

« فُرْجَة » والفرجة في الحائط كالشق والفرجة انفراج الكروب...

« ففرج عنهم » أي فرج بقدر ما دعاه... وهي التي بها ترى السماء... وفي رواية: ففرج الله لهم فرأوا السماء...

★ ★ ★

« وقال الآخر اللهم ان كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء » وفي رواية: اللهم إنها كانت لي بنت عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء....

« فقالت لا تنال ذلك منها » أي قالت بنت عمه لا تنال مرادك منها حتى تعطيها مائة دينار... وفيه التفات لأن مقتضى الكلام لا تنال مني حتى تعطيني... وفي رواية: فطلبت منها... **فأبت حتى أتيتها بمائة دينار... أي طلبت من بنت عمي فامتنعت وقالت: حتى تعطيني مائة دينار... فجمعتها حتى أتيتها بمائة دينار التي طلبتها...**

« فلما قعدت بين رجليها » وفي رواية: فلما وقعت بين رجليها...

« قالت: اتق الله » وفي رواية: قالت: يا عبدالله اتق الله... أي خف الله ولا ترتكب الحرام...

« ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه » وفي رواية: ولا تفتح الخاتم الا بحقه...

والخاتم: كناية عن بكارتها... إلا بحقه أي الا بالنكاح... أي لا تزل البكارة الا بحلال...

« فقمتُ » أي من بين رجليها، وتركتها يعني لم أفعل بها شيئًا...

« ففرج عنهم الثلثين » أي ففرج الله عنهم ثلثي الموضع الذي عليه الصخرة...

★ ★ ★

« اللهم ان كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفَرَق من ذرة... وفي رواية اللهم أني استأجرت أجيرًا بفَرَق أرز... « ذرة » وهو حب معروف...

« فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ » وفي رواية: فلما قضى عمله قال أعطني حقي فعرضت عليه فرغب عنه...

« فعمدت » أي قصدت...

« فزرعته » أي الفَرَق المذكور حتى اشتريت منه بقرا وراعيها... وفي رواية: فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها...

« ثم جاء » أي الأجير المذكور... وفي رواية: فجاء فقال اتق الله...

« فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك » وفي رواية: فقلت اذهب إلى ذلك البقر ورعاتها فخذ....

« فقال أتستهزئ بـي »؟! من استهزأ بفلان إذا سخر منه... وفي رواية: فقال اتق الله ولا تستهزئ بي...

« ولكنها لك » وفي رواية: اني لا استهزئ فخذه... فأخذه...

« فافرج عنا فكشف عنهم » أي فكشف باب المغارة... وفي رواية: فافرج ما بقي... ففرج أي ففرج الله ما بقي من باب المغارة...

ما يستفاد منه؟!

«فيه الأخبار عن متقدمي الأمم وذكـــر أعمالهم لترغيب أمته في مثلها... ولم يكن ﷺ يتكلم بشيء إلا لفائدة... وإذا كان مزاحه كذلك فما ظنك بأخباره؟!...

وفيه اثبات كرامات الأولياء والصالحين...

وفيه فضل الوالدين ووجوب النفقة عليهما وعلى الأولاد والأهل...

وفيه أنه يستحب الدعاء في حال الكرب والتوسل بصالح العمل إلى الله تعالى كما في الاستسقاء...

وفيه فضل بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سـواهما مـن الأولاد والزوجة... وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات بعد القدرة عليها...

وفيه قبول التوبة... وأن من صلح فيما بقي غفر له... وأن من همّ بسيئة فتركها ابتغاء وجهه كتب له أجرها... ولمن خاف مقام ربه جنتان...

وفي سؤال الرب جل جلاله بانجاز وعده قال تعـالى: ﴿ومـن يتـق الله يجعل له مخرجا﴾[1] وقال ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرا﴾[2].

★ ★ ★

وأقول... وفيه أن شخصية عبدالله بن عُمر... تكونت من مثْل هذه الأنوار المتشعشعة من مِثْل هذا الحديث الرائع الجامع المانع!!!

ليت مخرجا من مخرجي السينما أو التليڤيزيون العالميين... يلتقط هذه

(١) سورة الطلاق، الآية ٢.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٤.

الجوهرة الثمينة... هذا الحديث الشريف... ويُحَوّله إلى فيلم رائع... أو مسلسل خالد... يهز مشاعر الناس في كل مكان من العالم!!!

إن هذا الحديث موضوع عالمي... انساني... عاطفي...

جيَّاش بالقمم الانسانية العليا... فطوبى لمن يسبق من المخرجين فيخرجه بما يليق به من عظمة وخلود!!!

« إنه سيناريو لا ينقصه إلا الحوار التفصيلي...

« وقصة صدْق وحقّ يقصها على البشرية كلها الصادق المصدوق!!!

« ليت مخرجا يتقدَّم لاخراج هذا الفيلم... فيدخل عالم الخلود!!!

أمير المدينة المنوَّرة ...
يعتبر شهادة ابن عُمر ...
شهادة رجلَيْن ...؟!

إذا عظمت الثقة في أحد الناس... أخذ الناس بقوله إذا قال... واعتمدوا شهادته إذا شهد... واقتدوا بفعله إذا فعل...

وكان ابن عمر من هؤلاء الثقات... المعتمدين من الأمّة... قاصيها ودانيها...

وكيف لا يثقون في شهادة ابن عمر... وقد وثقوا في أحاديثه التي رواها عن النبيّ ﷺ ؟!...

كيف... وهو ابن الذي جعل الله الحقّ على لسانه وقلبه؟!

فورث عن أبيه صدْق أبيه... وازداد من بعده ثباتا على الصدْق... والتزاما بالأمانة!!!

« أخبرني عبدُاللهِ بنُ عُبَيْدِاللهِ بن أبي مُلَيْكَة...

« أنَّ بَنِي صُهَيْبٍ... مَوْلى ابنِ جُدْعان... ادَّعَوْا بَيْتَيْنِ وحُجْرَةً...

« أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ... أعطَى ذلكَ صُهَيْبًا...

« فقال مَرْوانُ: مَن يَشْهَدُ لَكُمَا عَلَى ذَلِكَ؟...

« قالوا: ابنُ عُمَرَ...

« فدعَاهُ...

« فشَهِدَ... لَأَعْطَى رسولُ اللهِ ﷺ صُهَيْبًا بَيْتَيْنِ وحُجْرَةً...

« فَقَضَى مَرْوَانُ بشهادَتِهِ لَهُمْ . » [أخرجه البخاري]

« أنَّ بني صُهَيْب » صهيب : كان من السابقين الأولين والمعذبين في الله . . . سبته الروم من نينوى . . . وأمّه سلمى . . . كان أبوه أو عمه عاملًا لكسرى على الأيلة . . . وكانت منازلهم بأرض الموصل . . . فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا وهو غلام صغير . . . فنشأ بالروم فصار ألكن . . . فابتاعه واحد منهم فقدموا به مكة . . . فاشتراه عبدالله بن جُدْعان . . . فأعتقه فأقام معه بمكة إلى أن هلك ابن جُدعان . . . ثم هاجر إلى المدينة في النصف من ربيع الأول . . . وأدرك رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يدخل المدينة . . . وشهد بدرا . . . ومات بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة . . . وصلى عليه سعد بن أبي وقاص . . . رضي الله تعالى عنه . . .

وأما بنو صهيب فهم حمزة وسعد وصالح وصيفي وعباد وعثمان وحبيب ومحمد . . . وكلهم رووا عنه . . .

« فقال مروان » هو ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي . . . وكان يومئذ أمير المدينة . . . لمعاوية بن أبي سفيان . . .

« بيتين وحجرة » بيت الرجل داره . . . والحجرة هو الموضع المنفرد في الدار . . .

وذكروا في أخبار المدينة أن بيت صهيب كان لأم سلمة فوهبته لصهيب . . . فلعلها أعطته باذن النبي ﷺ . . . والظاهر أن الذي وقع عليه الدعوى غير ذلك . . .

« مَن شهد لكما » ؟ . . . ان الذي ادعى كان اثنين منهم فخاطبهما مروان . . .

« قالوا : ابن عمر » أي يشهد بذلك عبدالله بن عمر . . .

« فدعاه » أي فدعا مروان عبدالله بن عمر . . . فشهد بذلك وقال . . .

« لَأَعْطى رسولُ الله ﷺ » واللام فيه مفتوحة لأنها لام القسم والتقدير . . . واللهِ لأعطى رسول الله ﷺ . . .

« فقضى مروان بشهادته لهم » أي حكم مروان بشهادة ابن عمر لبني صهيب بالبيتين والحجرة...

وقالوا: كيف قضى مروان بشهادة ابن عمر وحده؟...

والجواب: انه ربما حكم الامام بشهادة المبرز في العدالة وحده!!

* * *

أقول... بل المسألة وراء ذلك... أنَّ ابن عمر في نظر مروان أمير المدينة شيء أعظم من ألف شاهد عَدْل...

فإن كانت الشريعة تشترط شاهِدَيْن... فإنَّ شهادة ابن عمر تعدل شهادة اثنين...

بل ألف شاهد عَدْل!!! لأنَّ الأمَّة اعتمدت رواياته عن رسول الله ﷺ... قوْلًا وفِعْلًا... فكيف لا تعتمد شهادته ها هنا مكان شاهدَيْن اثنَيْن؟!

كان هذا فقه أمير المدينة آنذاك!!!

ثُمَّ عَرَضَني يوْمَ الخنْدَقِ . . .
وأنا ابنُ خَمْسَ عَشْرَةَ . . .
فأجازَني . . . ؟!

حدّثني نافعٌ... قال:

« حدَّثني ابنُ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ... عَرَضَهُ يوْمَ أُحُدٍ... وهُوَ ابنُ أرْبعَ عَشْرةَ سنةً... فلَمْ يُجِزْنِي...

« ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الخَنْدَقِ... وأنا ابنُ خَمْسَ عَشْرَةَ... فأجازَني...

« قال نافعٌ: فقدِمْتُ على عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ... وهو خليفةٌ... فحدَّثْتُهُ هذا الحديث... فقال:

« إنَّ هذا لَحَدٌّ بيْنَ الصَّغيرِ والكبيرِ...

« وكتَبَ إلى عُمَّالِهِ أن يَفْرِضَوا لَمن بَلَغَ خَمْسَ عَشْرةَ ».

[أخرجه البخاري]

« فلم يجزني » يعني في ديوان المقاتلين... ولم يقدر لي رزقا مثل أرزاق الجنود... وفي صحيح ابن حبان « فلم يجزني ولم يرني بلغت »...

« إن هذا لَحَدٌّ » أي إن هذا السن وهو خمس عشرة سنة نهاية الصغر وبداية البلوغ...

وفي رواية... فقال هذا حدّ ما بين الذرية والمقاتلة...

« وكتب إلى عُمّاله » جمع عامل وهم النواب الذين استنابهم في البلاد...

وفي رواية مسلم زيادة قوله « ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال »...

« ان يفرضوا » أي يقدروا لهم رزقا في ديوان الجند...

ومما يستفاد منه أن من استكمل خمس عشرة سنة أجريت عليه أحكام البالغين وان لم يحتلم... فيكلف بالعبادات وإقامة الحدود... وغير ذلك من الأحكام...

ومن ذلك أن الإمام يستعرض من يخرج معه للقتال قبل أن يقع الحرب... فمن وجده أهلا استصحبه ومن لا فيرده...

وقال بعضهم: لا تتوقف الاجازة للقتال على البلوغ... بل للامام أن يجيز من الصبيان من فيه قوة ونجدة... فربّ مراهق أقوى من بالغ!!!

★ ★ ★

وأقول... وأجاز رسول الله ﷺ... يوم الخندق... ابن عمر... وهو ابن خمس عشرة سنة...

لقد بلغ ابن عمر مبلغ الرجال!!!

اليهودُ ألقوا . . .

ابن عُمر وهو نائم ليلا . . .

مِن فوْق بيت . . .

فكسروا يدَيْه ورجلَيْه . . .؟!

سيطر العملاق الشاهق... الذي لا يُدْرَك... عمر بن الخطاب... على مشارق الأرض ومغاربها...

ووقف شاهقا... هامنه في السماء... وقدمه على الأرض... تطأ أعداء الله!!!

وكان من هؤلاء الأذلّاء اليهود الذين حادّوا الله ورسوله... فأصابهم الخزي والهوان!!!

فماذا يصنع اليهود وقد أصبح كيدهم أشبه بذَرَّةٍ تقاوم بحْرًا هدّارًا ؟!

لجأوا إلى ما يلجأ اليه كل خسيس في مَكْرِهِ... حقير في نفسه...

إنهم لا يجرءون أن يواجهوا عمر علانية... وقد قهر العالم كله باسم الله...

ولكن يمكرون بابن عمر وهو نائم ليلا لا يشعر!!!

فيلقونه من فوق البيت... ليسقط وقد تكسَّرت ذراعاه ورجلاه فكيف كان ذلك؟!!!

★ ★ ★

« عن نافعٍ . . .
« عن ابن عُمَرَ . . . رضي الله عنهما . . . قال :
« لما فَدَعَ أهْلُ خَيْبَرَ . . . عبدَاللهِ بنَ عُمَرَ . . .
« قامَ عُمَرُ خطيبًا فقالَ :
« إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ عامَلَ يَهُودَ خيْبَرَ على أموالِهِمْ وقال : نُقِرُّكُمْ ما أقرَّكُمُ اللهُ . . .
« وإنَّ عبدَاللهِ بنَ عُمَرَ خَرَجَ إلى مالِهِ هُنَاكَ . . .
« فعُدِيَ عليْهِ مِنَ اللَّيْلِ . . .
« فَفُدِعَتْ يَدَاهُ ورجْلاَهُ . . .
« وليس لنا هُناكَ عَدوٌّ غيْرُهُم . . .
« هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا . . .
« وقَدْ رَأَيْتُ إجْلاءَهُمْ . . .
« فلما أجْمَعَ عُمَرُ على ذلك أتاهُ أحَدُ بنِي أبي الحُقَيْقِ . . .
« فقال : يا أميرَ المؤمنينَ أتُخْـرِجُنـا وقـدْ أقـرَّنـا مُحَمَّـدٌ (ﷺ) وعامَلَنا على الأموالِ وشَرَطَ ذلك لَنَا ؟ ! . . .
« فقال عُمَرُ : أظننتَ أنّي نَسيتُ قوْلَ رسولِ اللهِ ﷺ : كيْفَ بِكَ إذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بكَ قَلوُصُكَ . . . ليْلَةً بَعْدَ لِيْلَةٍ ؟ . . .
« فقالَ : كانَتْ هذهِ هُزَيْلَةً مِن أبي القاسِمِ ! . . .
« قال : كَذَبْتَ يا عَدُوَّ اللهِ . . .
« فأجلاهُمْ عُمَرُ . . .
« وأعْطاهُم قيمةَ ما كان لَهُم مِنَ الثَّمَرِ مالًا وإبِلًا وعُرُوضًا مِن أَقْتَابٍ وحِبَالٍ وغَيرِ ذلِكَ . »

[أخرجه البخاري]

« لما فَدَعَ أهل خيبر عبدَالله » روي ان عمر . . . رضي الله تعالى عنه . . .

أرسل عبدالله ابنه إلى أهل خيبر ليقاسمهم التمر « ففدع » الفدع ميل في المفاصل كلها كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها...

وقيل: فُدِع يعني كُسِر...

وقيل: فُدِغَ من الفدَغ وهو كسر الشيء المجوف...

« كان عامل يهود خيبر على أموالهم » يعني التي كانت لهم قبل أن يفيئها الله على المسلمين...

« نقركم ما أقركم الله » أي إذا أمرنا في حقكم بغير ذلك فعلناه...

« فعُدِيَ عليه من الليل » قيل: يحتمل أن يكونوا ضربوه ويؤيده تقييده بالليل!...

ووقع في رواية: فلما كان زمان عمر... رضي الله تعالى عنه... غشوا المسلمين... وألقوا ابن عمر... من فوق بيت.. ففدعوا يديه...

« وتُهْمَتُنا » أي الذين نتهمهم بذلك...

« وقد رأيت اجلاءهم » أي إخراجهم من أوطانهم... والاجلاء الاخراج من الوطن على وجه الازعاج والكراهة...

« فلما أجمع عمر على ذلك » أي عزم...

« أحَد بني أبي الحُقَيْق » وبنو الحقيق رؤساء اليهود...

« وشرط ذلك لنا أي اقرارنا في أوطاننا...

« أظننت » والخطاب فيه لأحد بني حقيق...

« تعدو بك قلُوصُك » أي تجري بك قلوصك... والقَلوص: الناقة الصابرة على السير... وقيل: الطويلة القوائم...

« كانت هذه هُزَيْلَة » تصغير هزلة والهزل ضد الجد...

« وأعطاهم قيمة ما كان لهم » أي بعد أن أجلاهم أعطاهم...

ما يستفاد منه؟!

فيه ان عمر... رضي الله تعالى عنه... اجلى يهود خيبر عنها لقوله ﷺ «لا يبقين دينان بأرض العرب»...

وإنما كان ﷺ أقرهم على أن سالمهم في أنفسهم... ولا حقّ لهم في الأرض... واستأجرهم على المساقاة ولهم شطر الثمر...

فلذلك أعطاهم عمر... رضي الله عنه... قيمة شطر الثمر من إبل وأقتاب وحبال يستقلون بها إذ لم يكن لهم في رقبة الأرض شيء...

وفيه دلالة أن العداوة توجب المطالبة بالجنايات... كما طالبهم عمر بفدعهم ابنه... ورشح ذلك بأن قال: ليس لنا عدو غيرهم... فعلق المطالبة بشاهد العداوة... وإنما ترك مطالبتهم بالقصاص لأنه فُدِع ليلا وهو نائم... فلم يعرف عبدالله أشخاص مَن فدعه... فأشكل الأمر!!!

★ ★ ★

أقول... حادثة طريفة... عجيبة!!!

يهود خيبر ينتهزون فرصة أنَّ ابن عمر نائم ليلا... ثم يلقونه من فوق البيت... فتتهشم عظام مفاصله ويديه ورجليه...

كانوا يضمرون اغتياله... ولكن الله سَلَّم!!!

والجريمة جريمة خسيسة... ارتكبها أولو دناءة وخسَّة!!!

كانوا يريدون ضرْبعمر في قتل ابنه...

فأعرض عمر... الذي حَكَم العالَم كله... وعَدَل فيه كله...

أعرض عن القصاص لابنه من المجرمين...

واستأصل وجودهم من أساسه... فطهرت الأرض من جرائمهم!!!

إنَّه الفاروق!!!

عجزت النساء أن يلدن مثل عُمَر!!!

الفارس ابن عُمر . . .

يشترك في سباق الخيل . . .

الذي أجراه رسول الله . . .

صلى الله عليه وسلم . . . ؟!

ما كان أصحاب رسول الله ﷺ .. إلا أبطالا مغاوير... الرجل منهم يعدل ألفًا من مسلمي هذا الزمان!!!

أعني أنهم كانوا رجالًا ... «مِنَ المؤمنينَ رَجالٌ...» أي أبطال...

لماذا؟!... لأنَّ هذا الدين يقوم على عقيدة... لا قيام لها إلا أن يحملها فرسان... تهتز الأرض تحت أقدامهم النبيلة!!!

ومن هنا لن تجد صحابيا غير مقاتل أبَدًا!!!

لماذا؟!... لأن الرجل القاعد... لا خير فيه لدينه... بل هو ثُقْل يُثقل هذا الدين!!!

إن قيمة أي دولة دوليا تقاس بما تملك من قوة ضاربة...

والقوة الضاربة تتكون من أفراد مقاتلين...

ومن هنا تحتم لأعظم عقيدة أن يحملها أعظم الأبطال..

وكان هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ ...

كلّ صحابيّ مقاتل!!!

وكلّ صحابيّ يعدّ نفسه للقتال!!!

وكان ابن عمر... ابن العملاق عمر... مقاتلا... ويتدرب على القتال...

ولما كانت الخيل هي أعظم وسائل القوة الضاربة في عصرهم...

كانوا جميعًا فرسانا... يجيدون ركوب الخيل... والمسابقة بالخيل... وها هو ابن عمر يشترك في سباق الخيل الذي أمر به رسول الله ﷺ...

★ ★ ★

« عن ابنِ عُمَر... رضي الله عنهما... قال:
« سابَقَ رسولُ الله... ﷺ... بَيْنَ الخَيْل التي قَدْ أُضْمِرَتْ...
« فأرْسَلَها مِنَ الحَفْيَاء... وكان أمَدُها ثَنِيَّةَ الْوَداعِ...
« فقلتُ لموسَى: فَكَمْ كان بَيْنَ ذَلِكَ؟...
« قال: سِتةُ أمْيال أو سَبْعَةٌ...
« وسابَقَ بَيْنَ الخَيْلِ التي لم تُضَمَّرْ... فأرْسَلها مِن ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ... وكان أمَدُها مسجِدَ بني زُرَيْقٍ...
« قلت: فكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ؟...
« قال: ميلٌ أو نحوُهُ...
« وكان ابنُ عُمَرَ مِمَّنْ سابَقَ فِيهَا.»

[أخرجه البخاري]

وفيه مشروعية المسابقة...

وانه ليس من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو... والانتفاع بها عند الحاجة...

وهي دائرة بين الاستحباب والاباحة بحسب الباعث على ذلك...

وجعلها بعضهم سُنّة... وبعضهم أباحة... وقال القرطبي:

لا خلاف في جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب... وعلى الأقدام... وكذا الترامي بالسهام... واستعمال الأسلحة... لما في ذلك من التدريب على الحرب... انتهى...

وقد خرج هذا من باب القمار بالسُّنة... وكذلك هو خارج من تعذيب البهائم... لأن الحاجة اليها تدعو إلى تأديبها وتدريبها... وفيه تجويع البهائم على وجه الصلاح عند الحاجة إلى ذلك...

وفيه رياضة الخيل المعدة للجهاد...

وفيه ان المسابقة بين الخيل يجب أن يكون أمدها معلوما... وان تكون الخيل متساوية الأحوال أو متقاربة... وان لا يسابق المضمَّر مع غيره... وهذا اجماع من العلماء لأن صبر الفرس المضمّر المجوَّع في الجري أكثر من صبر المعلوف فلذلك جعلت غاية المضمَّر ستة أميال أو سبعة... وجعلت غاية المعلوفة ميلا واحدا... وقد أجمع العلماء على جواز المسابقة بلا عوض...

وأما المسابقة بعوض... فإن كان المال شرطا من جانب واحد بأن يقول أحدهما لصاحبه: إن سبقتني فلك كذا وإن سبقتك فلا شيء لي فهو جائز... وحكي عن مالك انه لا يجوز لأنه قمار...

ولو شرط المال من الجانبين حرم بالإجماع إلا إذا ادخلا ثالثًا بينهما وقالا للثالث: إن سبقتنا فالمالان لك وان سبقناك فلا شيء لك وهو فيما بينهما أيهما سبق أخذ الجعل عن صاحبه...

والتضمير ان يظاهر على الخيل بالعلف حتى تسمن ثم لا تعلف الا قوتا لتخف... فيكون أقوى لجريها...

* * *

أقول... هذه لمحة عن شباب ابن عمر...

كان فارسا يتدرب على الفروسية... ويشترك في مسابقات الخيل... شأنه شأن جميع شباب الصحابة...

« عن عبدِاللهِ رضي الله عنه . . .
« أنَّ النبيّ ﷺ . . . سابَقَ بَيْنَ الخَيْل التي لَـم تُضَمَّرْ . . . وكانَ أمَدُها مِن الثَّنِيَّةِ إلى مسجِدِ بني زُرَيْقٍ . . .
« وأنَّ عَبدَاللهِ بنَ عُمَرَ . . . كان سابَقَ بهَا . »

[أخرجه البخاري]

« أمَدُها » الأمد الغاية التي ينتهي اليها من موضع أو وقت . . .

★ ★ ★

لقد اشترك ابن عمر في سباق الخيل التي لم تُضَمَّر . . .
وكان أمدها ميلا . . . من ثنية الوداع إلى مسجد بني زُرَيْق . . .
شرف جديدِ يحضره الشاب عبدالله بن عمر . . .
انه يسابق شباب الصحابة وشيوخهم . . . على صهوة حصانه . . .
ورسول الله . . . ﷺ . . . . يشهد ذلك السباق !!!
كم كانت سعادة الشاب ابن عمر آنذاك ؟!

ابن عُمر . . .
يروي قواعد . . .
السياسة العامة . . . ؟!

ميزان يزن الذَّرَّ... أو ما هو أصغر من الذَّرّ!!!

ميزان يزن الناس به مواقفهم من أي نظام من نظم الحُكم... في أي زمان... وفي أي مكان!!!

ذلك ما رواه ابن عمر... عن النبي ﷺ...

فجاء قولًا فَصْلًا... في أخطر قضية اضطربت فيها عقول المسلمين... وما زالت تضطرب... لا تدري من أمرها شيئًا!!!

« عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« عن النبي ﷺ... قالَ:

« السَّمْعُ والطَّاعَةُ حَق

« ما لَمْ يُؤْمَرْ بالمعصِيةِ...

« فإذا أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ فلا سمْعَ ولا طاعَة.»

[أخرجه البخاري]

« السمعُ » أي إجابة قول الأمير... إذ طاعة أوامرهم واجبة... ما لم يأمر بمعصية... وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق...

ويأتي من حديث عليّ بلفظ: لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف...

وذكر عياض:

اجمع العلماء على وجوب طاعة الامام في غير معصية وتحريمها في المعصية...

وقالوا: احتج بهذا الخوارج فرأوا الخروج على أئمة الجور... والقيام عليهم عند ظهور جورهم...

والذي عليه الجمهور:

انه لا يجب القيام عليهم عند ظهور جورهم... ولا خلعهم...

إلا بكفرهم بعد إيمانهم...

أو تركهم إقامة الصلوات...

وأمّا ما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم... إذا استوطن أمرهم وأمر الناس معهم... لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال... وحقن الدماء...

وفي القيام عليهم تفرق الكلمة...

ولذلك لا يجوز القتال معهم لمن خرج عليهم عن ظلم ظهر منهم!!!

★ ★ ★

أقول... شقشقة الفقهاء تُخرج الموضوع عن أصله!!!

وأصل الموضوع هو: متى تجب طاعة الدولة... ومتى لا تجب طاعة الدولة؟!

الجواب الجامع المانع:

« السمعُ والطاعة حق...

« ما لم يُؤْمَرْ بالمعصية...

« فإذا أمِرَ بمعصيةٍ...

« فلا سمعَ ولا طاعةَ.» !!!

« قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفْتِيان » !!!

ابن عُمَر . . .
الفتى . . .
المقاتل . . . ؟ !

لم يكن شباب الصحابة... شبابا فارغا تافها عابثا... كما هو حال كثير من شباب المسلمين اليوم...

ولكن كانوا فرسانا... يسارعون الى القتال في عزم حديد!!!

« عنِ ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« أنَّ رسولَ اللهِ... ﷺ... بَعَثَ سَرِيَّةً...

« فيها عَبْدُالله بـنُ عُمَرَ...

« قِبَلَ نَجْدٍ... فَغَنِمُوا إبِلًا كثيرًا...

« فكانَتْ سِهامُهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ بَعِيْرًا ـ أوْ أحَدَ عَشَرَ بَعِيرًا ـ

« ونُفِّلوا بَعيرًا بَعيرًا ».

[أخرجه البخاري]

« ونُفِّلوا » من التنفيل وهو الاعطاء لغة... وقالوا: التنفيل عطية يخص بها الإمام من أبلى بلاء حسنًا... وسعى سعيا جميلًا...

« بعث سرية » وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو...

« فيها عبدالله » وهو عبدالله بن عمر... رضي الله تعالى عنهما...

وصرح بذلك مسلم في روايته... عن ابن عمر « قال بعث النبي ﷺ سرية وأنا فيهم... قبل نجد... فغنموا إبلا كثيرة... فكانت سهامهم اثني عشر

بعيرا ... أو أحد عشر بعيرًا ... ونفلوا بعيرا بعيرًا ».

ورواه الطحاوي ... عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث سرية فيها ابن عمر ... فغنموا غنائم كثيرة ... فكانت غنائمهم لكل انسان اثني عشر بعيرا ... ونفل كل انسان منهم بعيرا بعيرا ... سوى ذلك ...

« قِبَل نَجْد » أي ناحية نجد ... وجهتها ...

والنَجْد : اسم خاص لما دون الحجاز مما يلي العراق ...

وروي أن هذه السرية كانوا عشرة ... فغنموا مائة وخمسين بعيرا ... فأخذ رسول الله ﷺ منها ثلاثين ... وأخذوا هم عشرين ومائة ... وأخذ كل واحد منها اثني عشر بعيرا ... ونفل بعيرا ...

« فغنموا إبلا كثيرا » وفي رواية لمسلم: فأصبنا إبلا وغنما ...

« فكانت سهامهم » أي انصباؤهم اثني عشر بعيرا ...

★ ★ ★

أقول ... الوجه الذي نتجه اليه من هذا الموضوع ... هو وضْع ابن عمر في هذه السرية التي بعثها رسول الله ﷺ ناحية نَجْد ...

شاب لم يبلغ العشرين بعد ... فإن هذه السرية كانت بعد غزوة الخندق التي كان فيها ابن خمس عشرة فأجيز للقتال يومئذ ...

يخرج ليَقْتُل أو يُقْتَل ... في سرية أمر بها رسول الله ﷺ ...

كانوا عشرة ... ابن عمر أحدهم ...

فتية آمنوا بربهم ... يشتاقون إلى الشهادة ...

هكذا كان ابن عمر في شبابه ... وهكذا كان شباب الصحابة ...

قارن بين هؤلاء العظماء ... وبين آلاف من صعاليك شباب المسلمين اليوم ...

الذين يعيشون في فراغ... ويترنحون سُكارى وما هم بسُكارى...

ولكن حَيارى... لا يهتدون سبيلا!!!

ملايين من شباب المسلمين في شتى بقاع العالم يعيشون في ضياع وفراغ!!!

ملايين من شباب أزهى من الورود المتفتحة لأنوار الصباح...

وملايين من فتيات متفجرات بالجمال والشباب...

كل هؤلاء يشعـرون بفـراغ رهيـب... فينـدفـع الكثير منهـم إلى العبث...

ولو أنهم وجدوا تخطيطًا يخشى الله فيهم...

فوجههم إلى ربهم... وإلى حقائق دينهم... لكان كل واحد منهم مِثْل ابن عُمَر!!!

ولكن قومهم أضاعوهم...

فأيّ فتًى أضاعوا؟!!

مَن شيخ قُرَيْش؟

قالوا: ...

عبدَالله بن عُمَرَ...؟!

« جاءَ رَجُلٌ مِـنْ أهْـلِ مِصْـرَ... حَـجَّ البَيْـتَ... فـرأى قـوْمًـا جُلُوسًا...

« فقال: مَن هؤلاء القوْمُ؟...

« قال: هؤلاءِ قُرَيْشٌ...

« قال: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟...

« قالوا: عبْدُاللهِ بنُ عُمَرَ...

« قال: يا ابْنَ عُمَرَ... إنِّي سائلُكَ عنْ شيْءٍ، فحَدِّثْني عنْهُ...

هَلْ تَعْلَمُ أنَّ عُثمانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟...

« قال: نعمْ...

« فقال: تَعْلَمُ أنَّهُ تَغَيَّبَ عنْ بَدْرٍ ولَمْ يَشْهَدْ؟...

« قال: نعمْ...

« قال: هلْ تَعْلَمُ أنَّهُ تغيَّبَ عنْ بَيْعَةِ الرضْوانِ فلمْ يَشهَدْها؟..

« قال: نعمْ...

« قال: اللهُ أكبَرُ...

« قال ابنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ... أمَّا فِرارُهُ يوْمَ أُحُدٍ فأَشْهَدُ أنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وغَفَرَ لَهُ...

« وأمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ فإنَّه كانَتْ تحتَهُ بنْتُ رسولِ اللهِ ﷺ...

وكانَتْ مَرِيضَةً... فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: إنَّ لَكَ أجرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شهِدَ بَدْرًا وسَهْمَهُ...

«وأَمَّا تَغَيُّبُهُ عنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ فلوْ كانَ أحَدٌ أعزَّ بِبَطْنِ مَكة مِن عُثْمانَ لبَعَثَهُ مكانَه... فبَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ عُثْمانَ... وكانَت بَيْعَةُ الرضوَانِ بعْدَما ذَهَبَ عُثمانُ إلى مكَّةَ... فقال رسول الله ﷺ بيدِهِ اليُمنى: هذِهِ يدُ عُثْمانَ... فضَرَبَ بها على يَدِهِ... فقال: هذِهِ لعُثْمانَ...

«فقال لهُ ابنُ عُمَرَ: إذْهَبْ بِها الآنَ معَكَ.»

[أخرجه البخاري]

«جلوسا» أي جالسين...

«قريش» أي هم قريش

«فمن الشيخ؟» أي الكبير الذي يرجعون اليه في قوله...

«قالوا: عبدالله بن عمر» أي كبيرهم هو عبدالله بن عمر بن الخطاب... رضي الله تعالى عنهما...

«هل تعلم... إلى آخره» مشتمل على ثلاث مسائل... سئل ابن عمر عنها... والذي يظهر أنه كان متعصبا على عثمان رضي الله تعالى عنه... فلذلك قال: الله أكبر... مستحسنا... ولكن أراد ان يبين معتقده فيه لما أجاب عبدالله بن عمر عن كل واحد منها بجواب حسن مطابق لما كان في نفس الأمر...

«فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له» إنما قال ابن عمر هذه المقالة أخذًا من قوله تعالى ﴿إنَّ الذينَ تَوَلَّوْا منكُمْ يوْمَ الْتَقَى الجمْعَانِ إنَّما اسْتَزَلَّهُمُ الشيطانُ ببعضِ ما كسبوا ولقد عفَا اللهُ عنهم إنّ الله غفورٌ حليمٌ﴾[1]... قوله يوم التقى الجمعان هو يوم أُحُد... والجمعان النبي ﷺ مع أصحابه

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٥.

وأبو سفيان بن حرب مع كفار قريش... قوله ببعض ما كسبوا أي ببعض ذنوبهم السالفة... قوله ولقد عفا الله عنهم أي عما كان منهم من الفرار... وروى البيهقي... عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحُد وبقي معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة بن عبيدالله وهو يصعد في الجبل... الحديث... وقال ابن سعد: وثبت رسول الله ﷺ يعني يوم أُحُد ما زال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلًا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه... وسبعة من الأنصار حتى تحاجزوا...

وقيل: ثبت معه من المهاجرين... أبو بكر وعمر وعليّ وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح... رضي الله تعالى عنهم...

ومن الأنصار... الحباب بن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والحارث بن الصمة وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ...

« تحته بنت رسول الله ﷺ » وهي رقية... وكان عمر رقية لما ماتت عشرين سنة...

« مكانه » أي مكان عثمان...

« هذه يد عثمان » أي بدلها...

« على يده » أي اليسرى

« فقال هذه » اي البيعة لعثمان أي عن عثمان...

« اذهب بها الآن معك » أي أقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أجبتك به حجة على ما كنتَ تعتقده من غيبة عثمان رضي الله تعالى عنه...

وقال الطيبي: قاله ابن عمر تهكما به... أي توجه بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعد ما بينت لك...

★ ★ ★

أقول: جاءه هذا المتعصب ضد عثمان يلتمس شيئًا ضد عثمان...

فشهد ابن عمر شهادة الصدق... ثم بيَّن للسائل المتحامل على عثمان حقيقة هذه الأمور الثلاثة...

فما معنى هذا؟!

معناه أنَّ ابن عمر كان مشهودًا له أنه شيخ قريش آنذاك...

وإذا عُلِم أن قريشا هي أسرة الخلافة... أي أسرة أعلى منصب سياسي وديني في العالم آنذاك...

حيث كانت الخلافة الاسلامية تشمل مشارق الأرض ومغاربها...

سلطان يا له من سلطان!!! إذا عُلِمَ ذلك... أدركنا مقام عبدالله بن عمر... حين سأل السائل: فمن الشيخ فيهم؟...

قالوا: عبدالله بن عُمر!!!

أيّ أن شيخ قريش هو عبدالله بن عمر!!!

قريش؟!... الأسرة الحاكمة للعالَم كله... كان عبدالله بن عمر... شيخها!!!

فما أعظم الشيخ!!!

عُمَر يقول:

يا عبدَاللهِ بنَ عُمَرَ . . .

انطلقْ إلى عائشة أُمِّ المؤمنين . . .

وقُلْ يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ . . .

أنْ يُدْفَنَ مَعَ صاحِبَيْهِ . . .؟!

مشهـد ليس كمِثْلـه مشهـد!!! أعظـم رجـل على وجـه الأرض... يحتضر... وينزف دمًا...

فلا يشغله شيء مما هو فيه... إلّا أن يُدْفن مع صاحبيه!!!

أهؤلاء كانوا بَشَرًا؟!

نعم كانوا بَشَرًا... ولكن نعموا بصحبة رسول الله... ﷺ!!!

ما هذه الأعاجيب من عُمَر؟!

لا يستطيع القلم أن يصف المشهد... ولكن إشارات لا عبارات!!!

★ ★ ★

من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه... عن مقتل عمر...

« فاحْتُمِلَ الى بَيْتِهِ...

« فانطَلَقْنَا مَعَهُ...

« وكأنَّ الناسَ لم تُصِبْهُمُ مُصيبَةٌ قَبْلَ يَوْمِئذٍ...

« فقائلٌ يقولُ: لا بَأسَ...

« وقائلٌ يقولُ: أخافُ عليْهِ...

« فأُتِيَ بنَبيذٍ فَشَرِبَهُ فخرَجَ مِن جَوْفِهِ .
« ثُمَّ أُتِيَ بلَبَنٍ فشَرِبَهُ فخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ . . .
« فعَلِمُوا أنَّهُ مَيِّتٌ . . .
« فدَخَلْنا عليْه . . . وجاءَ الناسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ . . .
« وجاءَ رَجُلٌ شاب فقال: أبشِرْ يا أميرَ المؤمنينَ ببُشْرى اللهِ لكَ . . . مِنْ صُحْبَةِ رسولِ اللهِ ﷺ . . . وقَدَمٍ في الإسلامِ ما قَدْ عَلِمْتَ . . . ثُمَّ وَلِيتَ فعَدَلْتَ . . . ثـمَّ شهادَةٌ . . .
« قال: ودِدْتُ أنَّ ذلِكَ كَفافٌ . . . لا عليَّ ولا لِيَ . . .
« فلمَّا أدْبَرَ إذا إزارُهُ يَمَسُّ الأرضَ . . .
« قال: رُدُّوا عَلَيَّ الغُلَامَ . . .
« قال: ابْنَ أخِي . . . ارْفَعْ ثَوْبَكَ . . . فإنَّهُ أبْقَى لِثَوْبِكَ . . . وأتْقَى لرَبِّكَ . . .
« يا عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ . . .
« انْظُرْ ما عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ . . .
« فحَسَبُوهُ فوجَدُوهُ سِتَّةً وثمانينَ ألْفًا أو نَحْوَهُ . . .
« قال: إنْ وَفَى لهُ مالُ آل عُمَرَ فأدِّهِ مِنْ أمْوالِهِمْ . . . وإلَّا فَسَلْ في بَنِي عَدِيٍّ بن كَعْبٍ . . . فإنْ لَمْ تَفِ أموالُهُمْ فَسَلْ في قُرَيْشٍ . . . ولا تَعْدُهُمْ إلى غَيْرِهِمْ . . . فأدِّ عَنِّي هَذا المالَ . . .
« انْطَلِقْ إلى عائِشَةَ أُمِّ المؤمنينَ . . .
« فقُلْ: يَقْرأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ . . . ولا تَقُلْ أميرُ المؤمنينَ . . . فإنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أمِيرًا . . .
« وقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ أن يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ . . .
« فَسَلَّمَ واسْتَأْذَنَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا . . .
« فوَجدها قاعِدَةً تَبْكِي . . .

« فقال: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ السَّلَامَ... ويَسْتَأْذِنُ أنْ يُدْفَنَ مَعَ صاحِبَيْهِ...

« فقالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي... ولَأُوثِرَنَّهُ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي...

« فلمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُاللهِ بنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ...

« قال: ارْفَعُونِي...

« فأسْنَدهُ رَجُلٌ إلَيْهِ...

« فقالَ: ما لَدَيْكَ؟...

« قالَ: الَّذِي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنينَ... أَذِنَتْ...

« قال: الحَمْدُ للهِ... ما كانَ مِنْ شَيْءٍ أهَمَّ اليَّ مِنْ ذَلِكَ...

« فإذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي...

« ثُمَّ سَلِّمْ...

« فقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ...

« فإنْ أذَنتْ لي فَأَدْخِلُونِي...

« وإنْ رَدَّتْنِي رُدُّونِي إلى مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ...

« وَجَاءَتْ أمُّ المؤمنينَ حَفْصَةُ... والنساءُ تسيرُ مَعَهَا... فلما رَأَيْناها قُمْنا...

« فوَلَجَتْ عليْهِ فبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً...

« واسْتَأْذَنَ الرِّجالُ... فوَلَجْت داخلًا لَهُمْ...

« فسَمِعْنا بُكاءَها مِنَ الدَّاخِلِ...

« فقالوا: أَوْصِ يا أميرَ المؤمنين... اسْتَخْلِفْ...

« قال: ما أجدُ أحَقَّ بهذا الأمْرِ مِنْ هؤلاءِ النَّفَرِ - أو الرَّهْطِ - الذينَ تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهوَ عنهُمْ رَاضٍ...

« فسَمَّى عَلِيًّا وعُثْمانَ والزبَيْر وَطَلْحَةَ وسَعْدًا وعبْدَ الرحمن...

« وقالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُاللهِ بنُ عُمَرَ... ولَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ...

« كهَيْئَةِ التعزِيَةِ لهُ...

« فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ...
« فانطَلَقْنا نَمْشِي...
« فسَلَّمَ عبدُاللهِ بنُ عُمَرَ...
« قالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ...
« قالَتْ: أدْخِلوهُ...
« فَأُدْخِلَ فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صاحِبَيْهِ...»

[أخرجه البخاري ـ من حديث طويل]

« فأتي بنبيذ فشرب» المراد بالنبيذ هنا تمرات كانوا ينبذونها في الماء أي ينقعونها لاستعذاب الماء...

« فخرج من جوفه» أي من جرحه...

وفي رواية ابن شهاب فأخبرني سالم قال: سمعت عبدالله بن عمر يقول: قال عمر: ارسلوا إلى طبيب ينظر إلى جرحي... قال: فارسلوا إلى طبيب من العرب فسقاه نبيذا فشيب النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التي تحت السرة... قال: فدعوتُ طبيبا آخر من الأنصار فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعن أبيض... فقال: اعهد يا أمير المؤمنين... فقال عمر: صدقني ولو قال غير ذلك لكذبته...

« وجاء رجل شاب» وولج عليه شاب من الأنصار...

« وقَدَمٍ »أي فضل...

« « وددت» أي أحببت وتمنيت...

« « أن ذلك كفاف» رضيت سواء بسواء... بحيث يكف الشر عني... لا عقابه عليّ... ولا ثوابه لي...

« مال آل عمر» اي مال عمر...

« في بني عَدِي» وهو الجد الأعلى لعمر... رضي الله تعالى عنه...

« ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم أمير المؤمنين» إنما قال ذلك

عندما أيقن بالموت إشارة بذلك إلى عائشة حتى لا تحابيه لكونه أمير المؤمنين!!!

« ولأوثرنه به على نفسي » أي أخصه بما سأله من الدفن عند النبي ﷺ

« فقل يستأذن » هذا الاستئذان بعد الإذن في الاستئذان الأول لاحتمال ان يكون الاذن في الاستئذان الأول في حياته حياء منه وان ترجع عن ذلك بعد موته فأراد عمر أن لا يكرهها في ذلك...

« حفصة » هي بنت عمر بن الخطاب...

يشهدكم عبدالله بن عمر » أي يحضركم... ولكن ليس له من الأمر شيء... وإنما قال هذا مع أهليته... لأنه رأى غيره أولى منه...

« كهيئة التعزية له » هذا من كلام الراوي... لا من كلام عمر... رضي الله تعالى عنه...

« فسلم عبدالله بن عمر » أي على عائشة... رضي الله تعالى عنها...

« فقالت » أي عائشة...

« أدخلوه » من الادخال...

« فأُدْخِلَ فوُضع هنالك » أي في بيت عائشة... عند قبر النبي ﷺ... وقبر أبي بكر رضي الله تعالى عنه... وهو معنى قوله مع صاحبيه...

واختلف في صفة القبور الثلاثة المكرمة... فالأكثرون على أن قبر أبي بكر وراء قبر رسول الله ﷺ... وقبر عمر وراء قبر أبي بكر... وقيل:

إن قبره صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم الى القبلة... وقبر أبي بكر حذاء منكبه... وقبر عمر حذاء منكبي أبي بكر...

★ ★ ★

وأقول... هذا شيء عن ذلك المشهد الخالد... الذي عاشه ابن عمر...

ها هو والده العظيم... يستشهد... ثم يحتضر...

وها هو ابن عمر... وهو أهل للخلافة... يشهد أباه يباعد بينه وبينها... فيقول: «يَشْهَدُكُمْ عَبْدُالله بنُ عُمَرَ... وليسَ لهُ مِنَ الأمْرِ شَيءُ»!!!

فأدرك ابن عمر من تلك اللحظة أنه ينبغي له ان يتباعد عن منصب الخلافة!!!

وها هو يمشي في جنازة أبيه العظيم...

وها هو يستأذن أم المؤمنين... مرة أخرى... كما أمره أبوه...

فلما قالت: أَدْخِلُوه... أَدْخَلُوه!!! لحظات خالدة عاشها ابن عمر... ووعاها... وانتفع بها... طيلة حياته بعد ذاك!!!

ابن عُمَر يقول:

يسألونَ عن الذُّبابِ

وقد قتلوا ابنَ ابْنَةِ...

رسولِ اللهِ...؟!!

تحمل الأرض ناسا بلغوا من الغباء منتهاه...
كما تحمل قلّة بلغوا من العبقرية أقصاها...
ومِن هؤلاء الأنبياء... رجل أثار أعصاب ابن عمر... فكيف كانت القصة؟!

★ ★ ★

« سمِعْتُ عَبْدَاللهِ بنَ عُمَرَ...
« وسَأَلَهُ عنِ المُحْرِمِ...
« قال شعبَةُ: أحْسِبُهُ يَقْتُلُ الذُّبابَ...
« فقال: أهْلُ العِراقِ... يَسْأَلُونَ عَنِ الذُّبَاب...
« وقَدْ قَتَلُوا ابْنَ ابْنَةِ رسولِ اللهِ ﷺ...
« وقال النبيُّ ﷺ: هما رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيا».

[أخرجه البخاري]

« عن المحرم » أي بالحج والعمرة...

يعني: سأل رجل ابن عمر عن حال المحرم يقتل الذباب حالة الإحرام...

وفي رواية الترمذي: ان رجلا من أهل العراق سأل...

«قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب» أي اظنه سأل عن المحرم يقتل الذباب...

وفي رواية: سئل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب...

ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن الأمرين...

«فقال: أهل العراق» اي قال عبدالله بن عمر الى آخره...

انما قال متعجبا حيث يسألون عن قتل الذباب... ويتفكرون فيه... وقد كانوا اجترءوا على قتل الحسين بن عليّ... وابن بنت رسول الله ﷺ !!!

وهذا شيء عجيب!!!

يسألون عن الشيء اليسير... ويفرطون في الشيء الخطر العظيم!!!

«هما» أي الحسن والحسين ريحانتاي... وجه التشبيه ان الولد يشم ويقبّل... فكأنهما من جملة الرياحين...

وروى الترمذي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يدعو الحسن والحسين فيشمها... ويضمها اليه...

وروى الطبراني... من طريق ابي ايوب قال: «دخلت على رسول الله... ﷺ... والحسن والحسين يلعبان بين يديه...

«فقلت: أتحبها يا رسول الله؟...

«قال: وكيف لا؟... وهما ريحانتاي من الدنيا... أشمها».

★ ★ ★

اقول... يشتد عجب أمثال ابن عمر... وهو في أعلى مستوى من الذكاء... حين يسأله رجل في أدنى مستوى من الغباء!!!

الرجل يسأل: عن الذباب هل يجوز للمحرم بالحج أو العمرة أن يقتله؟!

فيعجب ابن عمر من هذا العراقي الذي هاله أن يقتل ذبابة... ولم يفزعه أن اجتمع أهل العراق على قَتل سيد الشهداء... الحسين بن عليّ... ابن ابنة رسول الله ﷺ!!!

وهذا صنف من الناس يُبتلى به العلماء في كل زمان!!!

نِعْمَ الرَّجُلُ...
عَبْدُاللهِ...
لوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ...؟!

وسام... أشرف وسام... ناله عبدالله بن عمر...
مَن أعطاه هذا الوسام؟!
إنه رسول الله... ﷺ... فكيف كان ذلك؟!

★ ★ ★

« عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:
« كانَ الرَّجُلُ في حياةِ النبيِّ ﷺ... إذا رَأى رُؤْيا قَصَّها على النبيِّ ﷺ...
« فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أقُصُّها على النبي ﷺ...
« وكنتُ غلامًا أعْزَبَ...
« وكنتُ أنامُ في المسجدِ... على عَهْدِ النبيِّ ﷺ...
« فرأيْتُ في المنامِ كأنَّ مَلَكَيْنِ أخَذَاني فَذَهَبا بي إلى النار... فإذا هي مَطْويَّة كطَيِّ البئْرِ... وإذا لها قرْنانِ كقَرْنَي البئْرِ... وإذا فيها ناسٌ قد عَرَفْتُهُمْ...
« فجَعَلْتُ أقولُ أعوذُ باللهِ منَ النارِ... أعوذُ باللهِ منَ النارِ...
« فلَقِيَهُما مَلَكٌ آخَرُ فقال لي: لَنْ تُرَعْ...

« فقصَصْتُها على حَفْصَةَ . . .
« فقَصَّتْها حَفْصَةُ على النبيِّ ﷺ . . .
« فقالَ : نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُاللهِ . . .
« لَوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ . . .
« قال سالِمٌ : فكانَ عبدُاللهِ لا ينامُ مِنَ اللَّيْلِ إلَّا قلِيلًا » .

[أخرجه البخاري]

« عن ابن عمر » هذا باب في بيان مناقب أبي عبدالرحمن... عبدالله بن عمر بن الخطاب... المكي المدني... أسلم قديما مع أبيه قبل أن يبلغ الحلم... وهو أحد العبادلة... وفقهاء الصحابة... والمكثرين منهم... مات بمكة في سنة ثلاث وسبعين... وعمره ست وثمانون سنة...

« رؤيا » في المنام... والرؤية في اليقظة...
« أعزب » وهو الذي لا زوجة له...
« وإذا لها قرنان » طرفان...
« لن تُرَعْ » لا تخف...

★ ★ ★

« عن ابنِ عُمَرَ . . .
« عَنْ أُخْتِهِ حَفْصَةَ . . .
« أنَّ النبيَّ ﷺ . . . قال لَها : « إنَّ عَبْدَاللهِ رجُلٌ صالحٌ » .

[أخرجه البخاري]

إنَّ عبدَاللهِ رجُلٌ صالح » منقبة عظيمة له...

★ ★ ★

اقول... هذا هو الوسام الذي ناله عبدالله بن عمر...

في الرواية الأولى:

« نِعْمَ الرَّجُلُ... عبْدُاللهِ... لوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ » .

وفي الرواية الثانية:

« إنَّ عبْدَاللهِ... رَجُلٌ صالِحٌ » .

وماذا ينتظر ابن عمر بعد هذا الثناء النبوي الشريف؟!

رسول الله ﷺ يشهد لابن عمر:

« نِعْمَ الرَّجُلُ » !!!

ومَن أصدق من رسول الله ﷺ شهادة؟!!

ثم يزيده فيقول: « لوْ كانَ يُصَلِّي منَ اللَّيْلِ » ...

وما أن سمعها عبدالله بن عمر... حتى طار قلبه شعاعا نحو تطبيقها... فعاش طيلة حياته منذ سمعها يصلي من الليل... ولا ينام من الليل إلا قليلا!!!

فلو فرضنا ان ابن عمر سمع هذا الثناء الشريف وهو في نحو السابعة عشرة... وأنه مات وعمره ست وثمانون سنة...

كان معنى هذا أنَّ ابن عمر مكث نحو سبعين سنة يقوم الليل... ولا ينام من الليل إلا قليلا!!!

سبعين عامًا وابن عمر يُطَبِّق كلمة سمعها من رسول الله ﷺ ...

لا يكلّ ولا يملّ... بل يزداد حرصا على التطبيق كلما تطاولت السنون...

ومن هنا تكونت شخصية ابن عمر... وكانت دائما في ترقٍ مستمر... نحو الأحسن... ونحو الأعلى...

كل ليلة من ليالي سبعين عاما... يقوم ابن عمر الى صلاته... فَرِحًا بتنفيذ توجيه رسول الله ﷺ ... كأنما هو يسمعه الآن...

لقد صار توجيه النبي ﷺ ... ميثاقا لا يستطيع له نسيانا...

فإذا سمعتَ أنَّ ابن عمر قد دخل في سجل الخالدين... فاعلم أنَّ هذا التوجيه كان عنصرًا من عناصر تكوين شخصيته الراقية...

نِعْمَ الرَّجُلُ عبْدُاللهِ!!!

لوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ!!!

فالتقطها ابن عمر... وعَمِلَ بها... لأنها صادرة عن أحبّ الخَلْقِ إليهِ!!!

وكان يُحِبُّ...

ما كان النبيّ...

صلّى اللهُ عليه وسلّم يُحِبُّ...؟!

الحبُّ أعلى وأغلى صفة من صفات الانسان العُلْيا...

وكان حبُّ ابن عمر للنَبيّ ﷺ... صفة بارزة فوق صفاته العليا...

★ ★ ★

« أخبرنا عَبْدُالله بنُ دينار... قال: « نَظَرَ ابنُ عُمَرَ يَوْمًا... وهُوَ في المسجدِ... إلى رجُلٍ يَسْحَبُ ثيابَهُ في ناحيةٍ مِنَ المسْجدِ...

« فقال: انظُرْ من هَذَا ؟... ليْتَ هذا عِنْدِي...

« قال لَهُ انسانٌ: أما تَعْرِفُ هذا يا أبا عبْدِ الرحمن؟!... هذا مُحَمَّدُ بنُ أُسَامَةَ!...

« قال: فَطَأْطأَ ابنُ عُمَرَ رأسَهُ... ونَقَرَ بيَدَيْهِ في الأرْض...

« ثمّ قالَ: لوْ رآهُ رسولُ اللهِ ﷺ... لأحَبَّهُ ».

[أخرجه البخاري]

« ليت هذا عندي » اي قريبا مني حتى أنصحه وأعظه.

« له انسان » أي قال لعبدالله بن عمر شخص...

« أما تعرف هذا يا ابا عبدالرحمن » وهو كنية عبدالله بن عمر...

« محمد بن أسامة » أي أسامة بن زيد ... « فطأطأ ابن عمر » أي طأطأ رأسه أي خفضه ...

« لأحبَّهُ » إنما قال ذلك لما كان يعلم من محبة رسول الله ﷺ لأسامة ولأبيه زيد بن حارثة ولذريتهما ... فإنه قاس محمد المذكور على أبيه وعلى جده ... حيث كانا محبوبين لرسول الله ﷺ !!!

★ ★ ★

« عن الشَّعْبِيِّ ...

« أنَّ ابنَ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ...

« كانَ إذا سَلَّمَ على ابنِ جَعْفَرٍ قالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا ابْنَ ذِي الجَنَاحَيْنِ » .

[أخرجه البخاري]

اطلاق ذي الجناحين على جعفر منقبة عظيمة ...

وقد روى الطبراني من حديث عبدالله بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ : هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء ...

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: رأيت جعفر ابن أبي طالب يطير مع الملائكة ... رواه الترمذي والحاكم ...

اقول ... عَلِم ابن عمر حُبّ رسول الله ﷺ لعبد الله بن جعفر ... وقوله ﷺ له: هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء ...

فدفعه ذلك أن يُحبَّ مَن كان رسول الله ﷺ يحبه ...

فكان اذا سَلَّم على ابن جعفر قال: السلامُ عليْكَ يا ابنَ ذي الجَنَاحَيْنِ !!!

★ ★ ★

ذَاكَ رَجُلٌ لا أزَالُ أُحِبُّهُ؟!

« عنْ مَسْرُوقٍ ... قال:
« ذُكِرَ عبْدُاللهِ عِنْدَ عبدِاللهِ بنِ عَمْرٍو فقال:
« ذاكَ رَجُلٌ لا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ ما سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:
« اسْتَقْرِئُوا القرآنَ مِنْ أرْبَعَةٍ...
« مِنْ عَبْدِاللهِ بنِ مَسْعُودٍ... فَبَدَأَ بهِ...
« وسالِمٍ ... مَوْلى أبي حُذَيْفَةَ...
« وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ...
« ومعاذِ بنِ جَبَلٍ...
« قال: لا أَدْرِي بَدَأَ بأُبَيٍّ أو بمُعَاذٍ » .

[أخرجه البخاري]

« ذُكِرَ عبدُالله » أراد به عبدالله بن مسعود...
« استقرئوا » أي اطلبوا القراءة من أربعة أنفس...
ووجه تخصيص هؤلاء الأربعة هو أنهم كانوا اكثر ضبطا للفظ القرآن وأتقن للأداء وان كان غيرهم أفقه في المعاني منهم... وقيل لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة...

★ ★ ★

اقول... وجه الدلالة على ما نحن فيه... أنهم كانوا يحبون الرجل بنسبة ثناء الرسول ﷺ عليه... وها هو عبدالله بن عَمْرو يحب عبدالله بن مسعود ويقول: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة... من عبدالله بن مسعود... الخ...

هذا هو مقياس الحبّ عندهم... وهو نفس مقياس الحبّ عند عبدالله بن عُمَر!!!

هل هاجر . . .

ابن عُمَر . . .

قبل أبيه . . . ؟!

لماذا يغضب ابن عُمَر؟!

« عَن أبي عُثمان النَّهْدِيِّ... قالَ:

« سمِعْتُ ابنَ عُمَرَ... رضي الله عنهما... إذا قِيلَ لهُ هَاجَرَ قبْلَ أبيهِ يَغْضَبُ...

« قال: وقَدِمْتُ أنا وعُمَرُ على رسولِ اللهِ ﷺ... فوجدناهُ قائِلًا...

« فرَجَعْنا إلى المنزِلِ...

« فأرْسَلَنِي عُمَرُ وقالَ: اذْهَبْ فانظُرْ هل استيْقَظَ؟...

« فأتَيْتُهُ... فدَخَلْتُ عليْهِ... فبايَعْتُهُ... ثم انطلقْتُ إلى عُمَرَ... فأخبَرْتُهُ أنَّهُ قد استيْقَظَ...

« فانطلَقْنا إليه نُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً...

« حتَّى دخَلَ علَيْهِ...

« فبايَعَهُ...

« ثمَّ بايَعْتُهُ».

[أخرجه البخاري]

« اذا قيل له » أي لابن عمر...

« هاجر قبل أبيه يغضب » يعني يتكلم بكلام الغضبان... وكان سبب غضبه ان لا يُرفع فوق قدْره... ولا ينافس والده...

« قدمتُ أنا وعمر » أراد عند البيعة... قيل لعلها بيعة الرضوان...

« قائلًا » من القيلولة...

« هرولة » هي السير بين المشي على مهل والعَدْو...

اقول... هذه بعض أخلاق ابن عمر... لا يريد ان يُقال إنه هاجر قبل أبيه... هضما لنفسه واعترافًا بالفضل لأبيه...

هل تدْري ما قالَ أبي لأبيكَ؟!

« حدثني أبو بُرْدة... بنُ أبي موسى الأشعَري... قال:

« قال لي عَبْدُاللهِ بنُ عُمَرَ: هل تدْرِي ما قال أبي لأبِيكَ؟...

« قال: قلتُ: لا...

« قال: فإنَّ أبي قال لأبيكَ: يا أبا موسى... هل يَسُرُّك إسلامُنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ... وهجْرتُنا معه... وجهادُنا مَعهُ... وَعَملُنا كُلُّنا مَعَهُ... بَرَدَ لنَا... وأنَّ كُلَّ عَمل عَمِلْناهُ بعدَهُ نَجوْنا مِنْهُ كفافًا... رأسًا برأس؟...

« فقال أبي (صحتها أبوك): لا واللهِ... قد جاهَدْنا بعْدَ رسولِ اللهِ

ﷺ... وصلَّيْنا وصُمْنا... وَعمِلْنا خَيْرًا كثيرًا... وأسْلَمَ على أيْدِينا بَشَرٌ كثيرٌ... وإنَّا لَنَرْجُو ذلِكَ...

« فقال أبي: لَكِنِّي أنا والَّذي نفسُ عُمَرَ بيَدِهِ لَوَدِدْتُ أنَّ ذلك بَرَدَ لَنَا... وأنَّ كلَّ شيْءٍ عمِلْناهُ بَعْدُ نَجَوْنا مِنْهُ كَفَافًا... رأسًا برأس...

« فقُلْتُ: إنَّ أبَاكَ واللهِ خَيْرٌ مِنْ أبِي » .

[أخرجه البخاري]

« بَرَدَ لَنَا » أي ثبتَ وسلم لنا... « كفافا » أي سواء بسواء... اي لا لي ولا عليّ... أي لا موجبا للثواب ولا للعقاب... « فقال أبي » الصواب فقال أبوك... لأن ابن عمر هو الذي يحكي لأبي بردة ما دار بين عمر وأبي موسى...

« فقال أبي: لكني » كلام عمر رضي الله تعالى عنه... هضما لنفسه...

« فقلت » القائل هو ابو بردة خاطب بذلك ابن عمر...

« خير من أبي » وفي رواية » أفقه من أبي...

★ ★ ★

اقول... حوار رائع بين عمر وأبي موسى الأشعري... يكشف لنا أنَّ مفاهيم عمر... أعلى بكثير من مفاهيم أبي موسى الأشعري...

عمر... هناك... في درجة لا يصل اليها أبو موسى... وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء...

وقد اعترف بهذا ابن أبي موسى حين قال: أبوك أفقه مِن أبي!!!

قوة حاسة العدل الخارقة
عند عُمَر؟!

« عن نافِعٍ... يَعْني عن ابنِ عُمَرَ... عنْ عُمَرَ بنِ الخطَّابِ... رضي الله عنه... قال:

« كانَ فَرَضَ للمهاجرينَ الأوَّلِينَ أرْبَعَةَ آلاف... في أرْبَعَةٍ...

« وَفرَضَ لابْنِ عُمَرَ ثلاثَةَ آلافٍ وخمسائةٍ...

« فقيلَ لهُ: هُوَ مِنَ المهاجرينَ... فلِمَ نَقَصْتَهُ مِن أرْبَعَةِ آلافٍ؟...

« فقال: إنَّما هاجَرَ بِهِ أبَوَاهُ...

« يقولُ: ليْسَ هُوَ كَمَنْ هاجَرَ بنَفْسِهِ » .

[اخرجه البخاري]

« فرض للمهاجرين الأولين » أي فرض عمر... يعني عيَّن من مال بيت المال للمهاجرين الأولين... وهم الذين صلوا الى القبلتين...

« أربعة آلاف في أربعة »... بيان انَّ لكل مهاجر أربعة آلاف...

« فقيل له » أي لعمر بن الخطاب...

« هو » يعني عبدالله ابنه...

« من المهاجرين » فلأجل أي شيء نقصته من أربعة آلاف الى آخره...

وكان عبدالله في عيال عمر... وكان عمره حينئذ ثنتي عشرة سنة وأشهرًا!!!

★ ★ ★

اقول... ونقص عمر بن الخطاب عطاء ابنه عبدالله بن عمر... خسمائة... لماذا؟!

إنما هاجر به أبواه؟!!
أي ضمن أولاد عمر... وقت هجرته الى المدينة...
ضمن أفراد الأسرة... «ليس هو كمن هاجر بنفسه» وتحمّل نفقات الهجرة ومتاعبها وتضحياتها بمفرده...
إنها حاسة العدل الخارقة في شخصية عمر!!!

ابن عُمَر ...

كان رجُلا ...

دبلوماسيا ....؟!

« عن عِكْرِمَةَ بنِ خالدٍ...

« عن ابنِ عُمَرَ... قال:

« دَخَلْتُ على حَفْصَةَ ونَسْوَاتُها تَنْطُفُ قلتُ: قَدْ كانَ مِنْ أمرِ الناسِ ما تَرَيْنَ... فلَمْ يُجْعَلْ لي مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ...

« فَقالَتْ: إلْحَقْ فَإنَّهُمْ يَنتَظِرُونَكَ... وأخْشَى أن يكونَ في احتباسِك عنهم فُرْقَةٌ...

« فلمْ تَدَعْهُ حتى ذَهَبَ...

« فلَمّا تَفرَّقَ الناسُ خَطَبَ مُعاوِيَةُ قالَ: مَن كانَ يُريدُ أن يتكلَّمَ في هذا الأمْرِ فليُطْلِعْ لنا قَرْنَهُ... فَلَنَحْنُ أحَقُّ بهِ مِنْهُ ومِنْ أبِيهِ...

« قال حبيبُ بنُ مَسْلَمَةَ: فهلَّا أجَبْتَهُ؟

« قال عبدُاللهِ: فحَلَلْتُ حُبْوَتي وهمَمْتُ أنْ أقولَ: أحَقُّ بهذا الأمْرِ مِنْك مَن قاتَلَكَ وأباكَ على الإسلامِ...

« فخَشِيتُ أنْ أقولَ كلمةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَمْعِ وتَسْفِكُ الدَّمَ... ويُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذلِكَ... فذَكَرْتُ ما أعدَّ اللهُ في الجِنانِ...

« قال حَبيبٌ: حُفِظْتَ وعُصِمْتَ...»

[أخرجه البخاري]

حَفْصَة » هي بنت عمر بن الخطاب... وأخت عبدالله...

« ونَسْواتها » أي نَوساتها أي ذوائبها...

« تنطُف » اي تقطر كأنها كانت قد اغتسلت...

« قدْ كان من أمر الناس ما ترين » أراد به ما وقع بين عليّ ومعاوية من القتال في صِفّين... واجتماع الناس على التحكيم بينهم فيما اختلفوا فيه... فراسلوا بقايا الصحابة من الحَرَمين وغيرهما... وتواعدوا على الاجتماع لينظروا في ذلك... فشاور ابن عمر أخته حفصة في التوجه اليهم أو عدمه... فأشارت عليه باللحوق بهم خشية ان ينشأ من غيبته اختلاف يفضي الى استمرار الفتنة...

« فلم يُجعَل لي » واراد بالأمر الإمارة والمُلْك...

« فقالت » اي حفصة...

« إلحق » بالقوم...

« فرقة » أي افتراق بين الجماعة ومخالفة بينهم...

« فلم تدعه » أي فلم تدع حفصة... أي فلم تترك حفصة عبدَالله حتى ذهب الى القوم... وحضر ما وقع بينهم...

« فلما تفرق الناس» أي بعد ان اختلف الحَكمان... وهما أبو موسى الأشعري وكان حَكَما من جهة عليّ... وعمرو بن العاص وكان حَكَما من جهة معاوية...

وقصة التحكيم طويلة... والحاصل ان القوم اتفقوا على الحَكَمَيْن المذكورين...

ثم قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري: قم فأعلم النّاس بما اتفقنا عليه...

فخطب أبو موسى الناس ثم قال: ايها الناس إنا قد نظرنا في هذه الأمة فلم نرَ أمرًا أصلح لها ولا ألمّ لشعثها من رأي اتفقت أنا وعمرو

عليه... وهو أنا نخلع عليا ومعاوية... ونترك الأمر شورى... ونستقبل للأمة هذا الأمر فيولوا عليهم من أحبوه... وإني قد خلعت عليا ومعاوية... ثم تنحى...

وجاء عمرو فقام مقامه... فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هذا قد قال ما سمعتم... وأنه قد خلع صاحبه وإني قد خلعته كما خلعه... وأثبت صاحبي معاوية... فإنه ولي عثمان بن عفان... والمطالب بدمه... وهو أحق الناس...

فلما انفصل الأمر على هذا خطب معاوية الخ...

« قرْنه » أي رأسه... وهذا تعريض منه بابن عمر... وعمر... رضي الله تعالى عنهما... والمعنى فليظهر لنا نفسه ولا يخفيها...

« أحق به » أي بأمر الخلافة...

« منه » أي سن عبدالله ومن أبيه... أي ومن أب عبدالله... وهو عمر بن الخطاب...

« قال حبيب بن مَسْلَمة » كان فاضلا مجاب الدعوة... له ولأبيه صحبة...

« حُبْوَتي » من احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته...

« مَن قاتلك » يخاطب به معاوية...

« وأباك » اراد به أبا سفيان والد معاوية... فإن عليًّا رضي الله عنه قاتل معاوية ووالده أبا سفيان يوم أحد ويوم الخندق وهما كانا كافرين في ذلك الوقت وإنما أسلما يوم الفتح...

« ويُحمَل عني غير ذلك » أي على غير ما اردت...

« فذكرتُ ما اعدَّ الله في الجنان» يعني لمن صبر واختار الآخرة على الدنيا...

« حُفِظْتَ وعُصِمْتَ» استصوب حبيب رأيه على أنه كان من أصحاب معاوية!

اقول... هذا جانب هام من جوانب شخصية ابن عمر...
إنه يتألم أنهم لم يجعلوا له من الأمر شيئا في الترشيح للخلافة...
ولكنه يؤثر أن يصمت حتى لا يزيد الخُرْق اتساعا!!!
فيتحول الصراع بعد أن كان بين فرقتين... فرقة عليّ وفرقة معاوية... الى ثلاث فِرَق!!!
وقد تعرض ابن عمر... لهذا الاحراج اكثر من مرَّة...
وفي كل مرة يكظم غيظه... ويصبر نفسه ابتغاء وجه الله!!!

كان ابن عُمَر . . .

مِن . . .

أصحابِ الشَّجَرَة . . . ؟!

عناصر الشرف المتجمعة في شخصية ابن عمر كثيرة...

فهو القرشيّ... المكيّ... المدنيّ... المهاجر... ابن أعظم الخلفاء أثرًا في الاسلام...

ثم ماذا؟...

ثم كان من أصحاب الشجرة!!!

وهذه وحدها تكفيه شرفا ومجْدا!!!

فما هذه الشجرة وما قصتها؟!

قال تعالى:

﴿لقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وأثابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

نزلت في قصة الحُدَيْبِيَّة... وكانت في هلال ذي القعدة سنة ست... وكانت العُمْرة هي الهدف... ولم يخرج رسول الله ﷺ معه بسلاح الا السيوف في القرب... وساق سبعين بدنة فيها جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر... ومعه من المسلمين الف وخمسمائة...

وكان ابن عمر... أحد هؤلاء العظماء!

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.

أنتم خَيْرُ... أهْلِ الأَرْضِ ؟!

سمِعْتُ جابِرَ بنَ عبدِاللهِ... رضي الله عنهما... قال:
« قال لنَا رسولُ اللهِ ﷺ... يَوْمَ الحُدَيْبيَّةِ...
« أنْتُمْ خَيْرُ أهْلِ الأَرْضِ...
« وكُنَّا ألْفًا وأَرْبَعَمائَةٍ... ولوْ كُنْتُ أَبْصِرُ اليَوْمَ لأَرَيْتُكُمْ مَكانَ الشَّجَرَةِ ».

[أخرجه البخاري]

« أنتم خير أهل الأرض » هذا يدل صريحا على فضل أهل الشجرة...

وهم الذين بايعوا النبي ﷺ تحتها... وهم أهل بيعة الرضوان...

« ولو كنت أبصر اليوم » انما قال ذلك لأنه عمي في آخر عمره...

« لأرينكم مكان الشجرة » وهي شجرة سمرة التي بايعت الصحابة النبي ﷺ تحتها...

وكانت شجرة حدباء فصغرت فكانت هي الحُدَيْبِيَّة... وهي الشجرة التي كانت بيعة الرضوان تحتها...

وفي رواية ابن سعد... عن نافع... ان عمر رضي الله تعالى عنه... بلغه ان قوما يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقُطعت!...

على أيِّ شيْءٍ بايَعْتُمْ ؟!

« عن يزيدَ بنِ أبي عُبَيْدٍ... قال:
« قلتُ لِسَلَمَةَ بنِ الأكْوَعِ »:
« على أيِّ شَيْءٍ بايَعْتُمْ رسولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ؟...
« قالَ: علَى المَوْتِ ».

[أخرجه البخاري]

« على الموت » بايعناه على الموت...

ابن عمر ... يبايعُ النبيَّ ﷺ ... تحت الشجرةِ ... على الموت؟!

« عن ابنِ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ...

« أنَّ الناسَ كانُوا مَعَ النبيِّ ﷺ ... يَوْمَ الحُدَيْبِيَّة ... تَفَرَّقُوا في ظِلَالِ الشَّجَرِ ...

« فإذا النَّاسُ مُحْدِقُونَ بالنبيِّ ﷺ ...

« فقال: يا عَبْدَ اللهِ ... انْظُرْ ما شأنُ النَّاسِ قدْ أحْدَقُوا برسولِ اللهِ ﷺ ؟ ...

« فوَجَدَهُمْ يُبَايِعُونَ ...

« فبايَعَ ... ثمَّ رَجَعَ إلى عُمَرَ ...

« فخَرَجَ فبَايَعَ » .

[أخرجه البخاري]

« محدقون بالنبي ﷺ » أي محيطون به ... ناظرون إليه ...

« فقال: يا عبدالله » القائل هو عمر بن الخطاب ... رضي الله تعالى عنه ...

« قد أحدقوا » قد أحاطوا ...

★ ★ ★

اقول ... هذا جانب واحد من جوانب عظمة ابن عمر ...

هو أحد الذين بايعوا تحت الشجرة ... أحَد الذين قال الله فيهم:

﴿لقَدْ رَضِيَ اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعُونَكَ تحتَ الشَّجَرَةِ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ لهم:

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٨.

« أنتُمْ خَيْرُ أهْلِ الأرْضِ » !!!
فماذا أقول... بعدَ أن قالَ الله تعالى... وقال رسوله ﷺ ؟!!
لئن قلتُ بعدئذٍ... فَلَبِئْسَ القول قولي!!!

ابن عُمَر . . .
يَعُدُّ بضْعًا وتسعينَ . . .
طَعْنَة في جَسَد . . .
ذي الجناحين . . . ؟!

وهذه مكرمة أخرى من مكارم ابن عمر!!!

او إن شئت من مكارم سيدي ذي الجناحين... جعفر بن أبي طالب!!!

فلنعم الشاهد... ابن عمر!!!

ولنعم المشهود... جعفر!!!

غزوة مُؤتةَ؟!

هي على مرحلتين من بيت المقدس... والسبب فيها أن شرحبيل بن عمرو الغساني وهو من أمراء قيصر على الشام قتل رسولا ارسله النبي ﷺ الى صاحب بصرى... واسم الرسول الحارث بن عمير... ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره...

فجهز لهم النبي ﷺ عسكرا في ثلاثة آلاف...

وأمَّر عليهم زيد بن حارثة...

فقال: إن أصيب فجعفر... وإن أصيب فعبدالله بن رَواحة... فتجهزوا وعسكروا بالجرف... وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوهم من هناك الى الاسلام فإن أجابوا وإلا فقاتلوهم...

وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع...
ولما بلغ العدو مسيرهم جمعوا لهم اكثر من مائة الف...
وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من بهرا...
فقاتلهم المسلمون..
وقاتل الأمراء على أرجلهم...

فقُتل زيد طعنا بالرماح!!!

ثم أخذ اللواء جعفر... فنزل عن فرس له شقراء فعرقبها فكانت أول فرس عرقب في الإسلام...

فقاتل حتى قتل!!!

ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين!!!

فوجد في أحد نصفه بضعة وثلاثون جرحا!!!

ثم أخذه عبدالله فقاتل حتى قتل...

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد... رضي الله تعالى عنه... فأخذ اللواء وانكشف الناس فكانت الهزيمة على المسلمين وتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين...

ورفعت الأرض لسيدنا رسول الله ﷺ... فلما أخذ خالد اللواء قال ﷺ: الآن حمي الوطيس...

وجعل خالد مقدمته ساقة... وساقته مقدمة... وميمنته ميسرة... وميسرته ميمنة...

فأنكر الروم ذلك وقالوا: قد جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين...

فقتلوا منهم مقتلة لم يقتلها قوم... وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين!!!

وذُكر أن رسول الله ﷺ بعث الجيش الى مؤتة في جمادى من سنة ثمان!!!

اقول... هذه هي المعركة التي تعتبر وراء العقل...

٣٠٠٠ يقاتلون ٢٠٠٠٠٠

استشهد فيها الأمراء الثلاثة زيد... وجعفر... وعبدالله!!!

كان ابن عمر في هذه المعركة... وكان في نحو العشرين من عمره...

في زهرة الشباب... حيث كان عمره حين هاجر ثنتي عشرة سنة وأشهرًا...

وشهد المشاهد كلها... ووقع عليه الموت اكثر من مرَّة...

إنَّ ابن عمر لم يتكون من فراغ... ولكن من معارك يشيب من هولها الولدان!!!

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ!!!

★ ★ ★

عن نافع...

«أنَّ ابْنَ عُمرَ أخبرَهُ...

«أنَّهُ وَقَفَ على جَعْفَرٍ يَوْمَئذٍ وهو قتِيلٌ... فَعَدَدْتُ بهِ خمْسِينَ مِن بَيْنِ طعنَة وَضرْبَةٍ... ليْسَ مِنْها شَيْءٌ في دُبُرِهِ...

«يَعني في ظَهْرِهِ».

[أخرجه البخاري]

«في دُبُره» وهو الظهر... أراد أنه لم يكن شيء منها في حال الادبار... بل كلها في حال الاقبال... وغرضه بيان شجاعته...

كُنْتُ فيهِمْ ؟!

« عن عبدِاللهِ بنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قال:

« أمَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ... في غَزْوَةِ مُؤتةَ... زَيْدَ بنَ حارِثَةَ...

« فقال رَسولُ اللهِ ﷺ: إن قُتِلَ زَيْدٌ فجَعْرٌ... وإن قُتِلَ جَعْفَرٌ فعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ...

« قال عبْدُاللهِ: كُنْتُ فِيهِمْ في تلكَ الْغَزْوَةِ...

« فالتمَسْنا جَعْفَرَ بنَ أبي طالِبٍ... فوَجَدْنَاهُ في القَتْلى... ووجَدْنا ما في جَسَدِهِ بِضْعًا وتِسْعِينَ منْ طَعْنَةٍ ورَمْيَةٍ » .

[أخرجه البخاري]

« فجعفر » أي فالأمير جعفر...

« قال عبدُالله » أي ابن عمر...

فالتمسنا جعفر بن أبي طالب » أي بعد قتله...

« في القتلى » أي بين القتلى...

« بضعا وتسعين » وفي الرواية الماضية « خمسين » ولا تنافي بينهما...

لأن الخمسين كانت في ظهره... وهذا في جميع جسده!!!

وكان ذلك من الطعنات والضربات... وهذا من الطعنات والرميات... والفرق بينهما ان الطعنة بالرمح... والضربة بالسيف... والرمية بالسهم!!!

★ ★ ★

اقول... نِعْم الشاهد... ونِعْم المشهود!!!

كان الشاهد هو ابن عمر... حين شهد جعفر بن أبي طالب بين القتلى...

ونِعْم المشهود . . . سيدي جعفر . . .
في جسده بِضْعٌ وَتِسْعُونَ طعنة ورمية!!!
ها هنا كانت تربية ابن عمر!!!
ها هنا كانت شخصية ابن عمر تتكون!!!
رضوان الله عليهم أجمعين!!!

ماذا يرى...
ابن عُمر...
في الفتنة الكبرى...؟!

ليس أمرًا سهْلا أن يتمطى أحَد الناس... ويدلـي برأيه في الفتنة الكبرى!!!

فلننظر ماذا كان يرى ابن عمر في هذه الفتنة التي حار المفكرون في تحليلها... وانقسموا فيها شيعا وأحزابا!!!

★ ★ ★

عنِ ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« أتاهُ رجُلان في فِتنةِ ابنِ الزُّبَيْرِ فقالا:

« إنَّ الناسَ ضُيِّعُوا... وأنتَ ابنُ عُمَرَ... وصاحِبُ النبيِّ ﷺ... فما يَمْنَعُكَ أنْ تَخْرُجَ؟...

« فقالَ:

« يَمْنَعُنِي أنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أخِي...

« فقالا: ألَمْ يَقُل اللهُ ﴿وقاتِلُوهُمْ حتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[1]؟...

« فقال: قاتَلْنا حتَّى لَمْ تَكُنْ فِتنةٌ... وكانَ الدينُ لله...

« وأنتُمْ تُرِيدُونَ أن تُقاتِلُوا حتَّى تكون فِتنَةٌ... ويكونَ الدينُ لغَيْر اللهِ...

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

« وزاد عُثمانُ بنُ صالحٍ... عن نافعٍ:
« أنَّ رَجُلًا أتى ابنَ عُمَرَ فقال: يا أبا عبدالرحمن... ما حَمَلَكَ على أن تَحُجَّ عامًا وتَعْتَمِرَ عامًا... وتَتْرُكَ الجِهادَ في سبيلِ اللهِ عز وجلَّ... وقَدْ علِمْتَ ما رَغَّبَ اللهُ فِيهِ؟!...
« قال:
« يا ابنَ أخِي... بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ... إيمانٍ باللهِ ورسُولِهِ... والصلواتِ الخمس... وصيامِ رمضانَ... وأداءِ الزكاةِ وحَجِّ الْبَيْتِ...
« قال: يا أبا عبْدِ الرحمنِ ألا تَسْمَعُ ما ذَكَرَ اللهُ في كتابِهِ ﴿وَإِن طائفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإنْ بَغَتْ إحداهُمَا على الأُخْرَى فقاتِلُوا التي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللهِ﴾(١)... ﴿قاتِلُوهُمْ حتى لا تكونَ فِتْنَةٌ﴾...
« قال: فَعَلْنا على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ... وكان الإسلامُ قليلًا... فكانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ في دينِهِ... إمَّا قَتَلُوهُ وإمَّا يُعَذِّبُوهُ... حتى كثُرَ الإسلامُ... فلمَ تكُنْ فِتْنَةٌ...
« قال: فما قَوْلُكَ في عليٍّ وعُثمانَ؟...
« قال: أمَّا عثمانُ فكأنَّ اللهَ عفا عَنْهُ... وأمَّا أنتم فكَرِهْتُمْ أن تَعْفُوا عَنْهُ...
« وأمَّا عَلِي فابنُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ... وخَتَنُهُ...
« وأشارَ بيَدِهِ فقال: هذا بَيْتُهُ حيْثُ تَرَوْنَ».

[أخرجه البخاري]

« في فتنة ابن الزبير» وهي محاصرة الحجَّاج... عبدالله بن الزبير... رضي الله تعالى عنهما... وكانت في أواخر سنة ثلاث وسبعين... وكان الحجَّاج

(١) سورة الحجرات، الآية ٩.

ارسله عبدالملك بن مروان لقتال ابن الزبير... وقتل عبدالله بن الزبير في آخر تلك السنة... **ومات عبدالله بن عمر في اول سنة اربع وسبعين...**

«إن الناس ضُيِّعُوا» من التضييع وهو الهلاك في الدنيا والدين...

«وزاد عثمان بن صالح» اي زاد على رواية محمد بن بشار...

«وتترك الجهاد» أي الجهاد الذي هو القتال مع هؤلاء كالجهاد في سبيل الله في الأجر... وليس المراد الجهاد الحقيقي الذي هو القتال مع الكفار...

«فكرهتم ان تعفوا عنه» ويروى أن يعفو... أي الله عز وجلّ...

«وخَتَنُهُ» الختن أبو الزوجة...

«فهذا بيته» يريد بين بيوت رسول الله ﷺ... وأراد بذلك قربه...

* * *

ابن عمر يرى... ترك القتال... فيما يتعلق بالمُلْك؟!

«عن نافعٍ...

«عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

«أنَّ رجُلًا جاءَهُ فقالَ: يا أبا عبدالرحمنِ... ألا تَسْمَعُ ما ذَكَرَ اللهُ في كتابه ﴿وإن طائفتان مِن المؤمنينَ اقْتَتَلُوا﴾ إلى آخرِ الآيةِ... فما يمنعُكَ أن لا تُقَاتِلَ كما ذَكَرَ اللهُ في كتابِهِ؟...

«فقال: يا ابْنَ أخِي... أغْتَرُّ بهذِهِ الآيةِ ولا أقاتِلُ... أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أَغْتَرَّ بهذِهِ الآيةِ التي يَقُولُ اللهُ تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾(1) إلى آخِرِها...

---

(1) سورة النساء، الآية ٩٣.

« قال: فإنَّ اللهَ يقولُ ﴿وقاتِلُوهُمْ حتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟...
« قال ابنُ عُمَرَ:
« قَدْ فَعَلْنا على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ... إذْ كانَ الإسلامُ قليلًا... فكانَ الرجُلُ يُفْتَنُ في دينِهِ... إمّا يَقْتلوهُ وإمَّا يُوثِقُوهُ... حتى كَثُرَ الإسلامُ فلم تكُنْ فِتْنَةٌ...
« فلمَّا رأى أنَّهُ لا يُوَافِقُهُ فيما يُريدُ قالَ:
« فما قَوْلُكَ في عليٍّ وعُثمانَ؟...
« قالَ ابنُ عُمَرَ: ما قَوْلي في عَلِيٍّ وعثمانَ؟...
« أمَّا عُثمانُ فكأن اللهَ قَدْ عَفَا عَنْهُ... فكرِهْتُمْ أنْ يَعْفُو عَنْهُ...
« وأمَّا عَلِي فابنُ عَمِّ رسولِ الله ﷺ... وخَتَنُهُ...
« وأشارَ بيَدِهِ: وهذِهِ ابنَتُهُ... أو بَيْتُهُ حَيْثُ تَرَوْنَ».

[أخرجه البخاري]

«أن لا تقاتل» وكان لم يقاتل أصلا في الحروب التي جرت بين المسلمين...

لا في صِفّين... ولا في وقعة الجمل... ولا في محاصرة ابن الزبير وغيرها...

«أغْتَرّ» من الاغترار... أي تأويل هذه الآية أحبّ إليّ من تأويل الآية الأخرى التي فيها تغليظ شديد وتهديد عظيم...

والحاصل أن السائل كان يرى قتال مَن خالف الإمام الذي يعتقد طاعته...

وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالمُلْك...

والظاهر أن السائل هذا كان من الخوارج فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويخطئون عثمان وعليًا...

فردّ عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ...

والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد... وغاب عن بَدْر... وعن بيعة الرضوان...

« إذ كان » حين كان...

« يُفتن في دينه » على صيغة المجهول...

« حيث ترون » أي بين حُجَر النبي ﷺ...

★ ★ ★

لَيْسَ كَقِتالِكُمْ عَلَى المُلْكِ؟!

« حدثني سعيدُ بنُ جُبَيْر... قال: « خَرَجَ عَلَيْنا - أوْ إلَيْنا - ابنُ عُمَرَ...

« فقال رجُلٌ: كيْفَ تَرَى في قتالِ الفِتْنَةِ؟...

« فقال: وَهَلْ تَدْرِي ما الفِتْنَةُ؟...

« كانَ مُحَمَّدٌ ﷺ... يُقاتِلُ المُشْرِكِينَ... وكانَ الدُّخُولُ علَيْهِمْ فِتْنَةً...

« ولَيْسَ كَقِتَالِكُمْ عَلَى المُلْكِ » .

[أخرجه البخاري]

★ ★ ★

ماذا أريد أن أقول؟!

أقول: يخدع نفسه مَن ظنَّ أنَّ الخوض في حديث الفتنة الكبرى أمر بسيط!!!

ها هو عملاق من عمالقة الحقّ... عبدالله بن عمر...
قد اعتزل الفريقين... فريق عليّ... وفريق عثمان...
ولم يشترك مع هؤلاء... ولا مع هَؤلاء...
إنَّ فلسفته أن يقف على الحياد!!!

كُنَّا نَتَّقِي الكَلَامَ...

والانبِسَاطَ إلى نِسَائِنَا...

على عَهْدِ النبيِّ...

صلّى اللهُ عليه وسلّم...؟!

عنِ ابنِ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ... قال:
« كُنَّا نَتَّقِي الكَلَامَ ... والانبِساطَ إلى نسائِنَا ...
« على عَهْد النبيِّ ﷺ ...
« هَيْبَةً أَن يَنْزِلَ فِينَا شَيْءٌ ...
« فلَمَّا تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ ... تَكَلَمْنا وانْبَسَطْنَا » .

[أخرجه البخاري]

« كنا نتقي » أي نتجنب الكلام الذي يخشى منه سوء العاقبة ...

« والانبساط » أي ونتقي أيضا الانبساط الى نسائنا ... وأراد به التقصير في حقهن وترك الرفق بهن ...

« هيبة » أي نتقي لخوف ان ينزل فينا ... أي في شأننا شيء من الوحي ...

« تكلمنا وانبسطنا » يريد به تغيير شأنهم عما كانوا عليه في عهد النبي ﷺ ...

والدليل عليه ما رواه ابن ماجة أيضًا عقيب الحديث المذكور من حديث ابيّ بن كعب قال: « كنا مع رسول الله ﷺ وإنما وجهنا واحد ... فلما قبض نظرنا هكذا وهكذا ».

وروي أيضًا من حديث أنس بن مالك قال:

« لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أَضاء منها كل شيء . . .

« فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء . . .

« وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » .!!!

★ ★ ★

اقول . . . سجّل ابن عمر في حديثه ذاك الذي رواه أمرا خطيرا . . .

أنَّ الصحابة في حياة النبي ﷺ . . . كانوا أقرب الى الله . . . منهم بعد وفاته ﷺ . . .

لماذا هذا ؟!

لأنَّ النور المقدس . . . الذي كان يتشعشع من القلب الشريف . . . فيتشعشع الى قلوبهم جميعا . . . قد انتقل عنهم . . .

« وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا » !!!

كان هناك . . . في حياة النبي ﷺ . . . رحمات تتبعها رحمات . . . تتبعها رحمات . . . الى ما شاء الله . . . تتنزل على القلب الشريف . . .

وكانت هذه الرحمات تتوزع على قلوبهم . . .

أمّا الآن . . . وبعد انتقاله ﷺ . . .

فقد انتقلت هذه الرحمات . . .

فأين مِنْ أين ؟!!

هيهات هيهات!!!

كانَ ابنُ عُمَرَ . . .
لا يأكُلُ حَتّى . . .
يُؤْتَى بِمسْكِينٍ يأْكُلُ مَعَهُ . . .؟!

عن نافعٍ ... قال:

« كانَ ابنُ عُمَرَ لا يأكُلُ حتّى يُؤْتَى بِمسْكِينٍ يأكُلُ مَعَهُ ...

« فأدْخَلْتُ رَجُلًا يأكُلُ مَعَهُ ...

« فأكَلَ كَثِيرًا ...

« فقال: يا نافِعُ ... لا تُدْخِلْ هٰذا عَلَيَّ ... سمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ:

« المؤمِنُ يأكُلُ في مِعًى واحِدٍ ... والكافِرُ يأكُلُ في سَبْعَةِ أمْعَاء .

[أخرجه البخاري]

« المؤمن يأكل في معًى واحدٍ » اختلف في المراد بهذا الحديث ...

فقيل: هو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا ... وللكافر وحرصه عليها ...

وقيل: هو تخصيص للمؤمن على أن يتحامى ما تجره كثرة الأكل من القسوة والنوم ... ووصف الكافر بكثرة الأكل ليتجنب المؤمن ما هو صفة للكافر ...

وهذا في الغالب والأكثر ... وإلا فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيرا بحسب العادة أو لعارض ... ويكون في الكفار من يعتاد قلة الأكل إما لمراعاة الصحة كالأطباء ... أو للتقلل كالرهبان أو لضعف المعدة ...

وقيل: يمكن أن يراد به أن المؤمن يسمي الله عز وجل عند طعامه فلا يشركه الشيطان، والكافر لا يسمي عند طعامه...

وقيل المراد بالمؤمن التام الايمان... لأن من حسن إسلامه وكمل إيمانه اشتغل فكره فيما يصل اليه من الموت وما بعده فيمنعه ذلك من استيفاء شهوته... وأما الكافر فمن شأنه الشره فيأكل بالنهم كما تأكل البهيمة... ولا يأكل بالمصلحة لقيام البنية...

وقيل: هو رجل خاص بعينه وكان كافرا ثم أسلم...

روى الطبراني باسناد صحيح...

« عن عبدالله بن عمرو قال:

« جاء الى النبي ﷺ سبعة رجال...

« فأخذ كل رجل من أصحاب النبي ﷺ رجلا...

« فأخذ النبي ﷺ رجلا...

« فقال له النبي ﷺ: ما اسمك؟...

« قال: أبو غزوان...

« قال: فحلب له النبي ﷺ سبع شياه... فشرب لبنها كله!...

« فقال له النبي ﷺ:

هل لك يا أبا غزوان أن تسلم؟...

« قال: نعم...

« فأسلم... فمسح النبي ﷺ صدره...

« فلما أصبح حلب له النبي ﷺ شاة واحدة فلم يتم لبنها!...

« فقال له النبي ﷺ: ما لك يا أبا غزوان؟...

« فقال: والذي بعثك بالحق لقد رويت...

« قال: إنك أمس كان لك سبعة أمعاء... وليس لك اليوم إلا واحد ».

« في سبعة أمعاء » اختلف في المراد بها... فقيل هو على ظاهره... وقيل: تخصيص السبعة للمبالغة في التكثير كما في قوله تعالى ﴿والبحرُ يمدُّهُ من بِعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾[1]...

وقال القرطبي: شهوات الطعام سبع: شهوة الطبع... وشهوة النفس... وشهوة العين... وشهوة الفم... وشهوة الأذن... وشهوة الأنف... وشهوة الجوع وهي الضرورية التي يأكل بها المؤمن... وأما الكافر فيأكل بالجميع...

★ ★ ★

التركيز في هذا الكتاب على المكرمة الثابتة عن ابن عمر...
كان ابن عمر لا يأكل حتى يُؤْتى بمسكينٍ يأكُلُ معه!!!
★ أما عظمة الحديث فحدِّث عنها ولا حرج!!!

---

(١) سورة لقمان، الآية ٢٧.

ابن عُمَر . . .

يرحم دَجاجَةً . . .

مِن العذاب . . . ؟!

هناك أعمال بسيطة... تدل على عظمة فاعلها... أكثر من دلالة أعمال ضخام...

ومن ذلك... هذه القصة من حياة ابن عمر!!!

« عن ابنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما...

« أنَّهُ دَخَلَ على يَحْيَى بن سعيدٍ... وغُلامٌ منْ بَنِي يَحْيِ... رابِطٌ دَجَاجَةً يَرْمِيها...

« فمشى إليْها ابنُ عُمَرَ...

« حتَّى حَلَّها...

« ثمَّ أقْبَلَ بها وبالغُلَام مَعَهُ... فقال:

« ازْجُرُوا غُلامَكُمْ عَنْ أنْ يَصْبِرَ هٰذا الطَّيْرَ للقَتْل...

« فإني سمعْتُ النبيَّ ﷺ... نَهَى أنْ تُصْبَرَ بهيمَةٌ أو غيْرُها للقَتْلِ ».

[أخرجه البخاري]

« أو غيرها » أوْ هنا للتنويع لا للشك... فيتناول الطيور والبهائم...

« نهَى أن تُصْبَرَ » أي تحبس لترمى حتى تموت... وذلك لأنه تضييع للمال... وتعذيب للحيوان...

فلمَّا رَأَوُا ابنَ عُمَرَ...
تفرَّقُوا عنها ؟!

« عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ... قال:
« كُنْتُ عندَ ابنِ عُمَرَ»...
« فمَرُّوا بفتْيَةٍ أو بنَفَرٍ نَصَبُوا دَجَاجَةً يَرْمُونَها...
« فلمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا عنها...
« وقالَ ابنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا ؟!...
« إنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فعَلَ هَذا ».

[أخرجه البخاري]

« مَن فعل هذا ؟! » أشار به الى نصبهم دجاجة للرمي...

وفي رواية مسلم: لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرَضا... وهو الذي ينصب للرمي...

وفي رواية مسلم وابن ماجة « نهى رسول الله ﷺ ان يقتل شيء من الدواب صَبْرًا...

وروى البزار « ان رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرَضا »...

وروى الطبراني « أن النبي ﷺ مرّ على قوم من الأنصار يرمون حمامة فقال: لا تتخذوا الروح غرَضا »...

وروى النسائي « مر رسول الله على ناس وهم يرمون كبشا بالنبل فكره ذلك فقال لا تمثلوا بالبهائم »...

* * *

عنِ ابنِ عُمَرَ...
«لَعَنَ النبيُّ ﷺ مَن مَثَّلَ بالحَيَوَانِ».

[أخرجهِ البخاري]

«مَن مَثَّلَ» أي صيره مثلة...

* * *

اقول... وفزع ابن عمر فزعا شديدًا حين فوجئ بغلام رابطا دجاجة يرميها!!!

لماذا فزع ابن عمر... والضحية دجاجة؟!

لأنها كائن حيّ... وهذا الغلام القبيح يتسلى برميها... وهي مسكينة مربوطة لا تستطيع فكاكا من ذلك القبيح!!!

كان لهذا المنظر وقع الصاعقة على ابن عمر...

لأنه أحس بعذاب هذه الدجاجة... وعجزها أن تفرّ... أو تدافع عن نفسها!!!

ها هنا يبدو ابن عمر... عظيما... وعملاقا... يَصَّاعد الى الدرجات العُلَى عند ربه...

لماذا؟!... لأنه أغاث كائنا كان يستغيث اللهَ ربّه أن ينقذه من هذا العذاب!!!

إنه عمل بسيط... ولكنه عمل انساني رفيع عند الله...

من أين لابن عمر هذه الأحاسيس العُلَى؟!

من هاهنا... من نبْع النبوة الغالي الرقراق:

«سمعتُ النبيَّ ﷺ... نهَى أن تُصْبَرَ بهيمةٌ أوْ غيرُها للقَتْلِ»!!!

«إنَّ النبيَّ ﷺ لَعَنَ مَنْ فَعَلَ هذا»!!!

« لَعَنَ النبيُّ ﷺ مَن مَثَّلَ بالحيوان » !!!
أحاديث رواها ابن عمر عن النبي ﷺ ...
ووعاها ... وامتثلها ... فكانت في شغاف قلبه ...
فلما رأى ما رأى ... صاح صيحته : مَن فعل هذا ؟ !
وفكَّ قَيْد الدجاجة المسكينة ... فأقبلت تسعى ...
شاكرة لربها ... أن قيَّض لها من يفكّ قيْدها !!!
فارتفع بذلك ابن عمر الانسان ... عند ربه رفْعا عظيما !!!

ابن عُمَر . . .
يبني بَيْته بيدَيْه . . .
ما أعانه عليه أحَد . . . ؟!

هؤلاء الأفذاذ ... تحار العقول في عجائبهم ...

وإليك أعجب قصة كانت من ابن عمر ...

« عن ابنِ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ... قال:

« رَأَيْتُنِي معَ النبيِّ ﷺ ....

« بَنَيْتُ بيَدِي بَيْتًا ...

« يُكِنُّنِي منَ المَطَرِ ...

« ويُظِلُّنِي مِنَ الشَّمْسِ ...

« ما أعانَنِي عليهِ أحَدٌ مَنْ خَلْقِ اللهِ » .

[أخرجه البخاري]

« رأيتني » ومعناه رأيت نفسي...

« مع النبي ﷺ » أي في زمن النبي ﷺ ...

« يُكِنُّنِي » يسترني...

« ما أعانني عليه » أي على بناه هذا البيت أحد من الناس...

وهذا تأكيد لقوله « بنيت بيدي بيتا » واشارة الى خفة مؤنته...

« قال ابنُ عُمَرَ:

« واللهِ ... ما وَضَعْتُ لَبِنَةً على لَبِنَةٍ ...

« ولا غَرَسْتُ نَخْلَةً ...

« مُنْذُ قُبِضَ النبيُّ ﷺ . . .
« قال سفيانُ: فذكرْتُهُ لبَعْضِ أهْلِهِ . . .
« قال: واللهِ لَقَدْ بَنَى . . .
« قال سفيانُ: قُلْتُ: فلَعَلَّهُ قالَ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ » .

[أخرجه البخاري]

« منذ قبض » أي منذ توفي النبي ﷺ . . .

« واللهِ لقد بنى » أي بيتا . . .

« قال سفيان فَلَعَلَّه » أي فلعلّ ابن عمر قال قبل أن يبنى يعني قبل البناء . . . وهذا اعتذار حسن من سفيان . . .

ويحتمل انه أراد الحقيقة اي البناء بيده والمباشرة بنفسه.

ويحتمل انه يكون الذي نفاه ابن عمر ما زاد على حاجته . . . والذي أثبته بعض أهله بناء بيت لا بدّ له منه . . . أو اصلاح ما وَهَى من بيته . . .

★ ★ ★

اقول . . . يسجل ابن عمر مشهدا عجيبا . . .
أنه في عهد النبي ﷺ . . .
بنى بيده . . . وحده . . . لم يشترك أحد معه في شيء . . .
بيْتًا ؟!
كيف كان ذلك البيت؟!
غاية في البساطة . . . وغاية في انخفاض التكاليف . . .
يكنني من المطر . . . يستره من سقوط المطر عليه . . .
ويظلني من الشمس . . . ويكون حائلا بينه وبين حرارة الشمس الحارقة . . .
مجرد بناء بسيط من طين . . .

قام بتشييده بنفسه... لم يساعده أحد في بنائه...

لماذا هذا؟!

هل حَرَّم الإسلام إقامة المباني؟!

كلَّا... ولكن أمثال ابن عمر... هؤلاء القمم لهم مفاهيم عُليا تعلو على افهامنا...

نحن نريد المتاع والاستمتاع... وهم يريدون ما هو أعلى!!!

فَهو يضحي بالدنيا... ليرتَفع في الآخرة... وهذا مذاق المقربين...

أمّا المستويات العامّة... فلتستمتع ما شاءت... وكل شيء عنده بمقدار!!!

منابع فلسفة . . .
الحياد . . .
التي انتهجها . . .
ابن عُمر . . .؟!

روى ابن عمر ... عن النبي ﷺ ... حديثين ... وقد روى غيرهما كثيرا ...

أكبر ظنّي أنه تأثر بهما كثيرًا في سلوكه الذي سلكه طيلة حياته ...

وأعني التزامه سياسةَ الحياد التام بين الفريقين المتنازعين في الفتنة الكبرى ...

فلا هو من أنصار عليّ ... ولا هو من أنصار معاوية ...

ولا هو من أنصار الخوارج الذي هم ضدّ الفريقين ...

ولكنه لزم اعتزال الفرق كلها ... ولم يشارك في الأحداث!!!

الحديث الأول:

« عن ابنِ عُمَرَ ... رضي الله عنهما ... قال:

« قالَ النبيُّ ... ﷺ ... بمنًى:

« أتَدْرُونَ أيَّ يَوْمٍ هَذَا ؟ ...

« قالوا : اللهُ ورسولُه أعلَمُ ...

« قال: فإنَّ هذا يَوْمٌ حَرامٌ ...

« أفتَدْرُونَ أيَّ بَلَدٍ هَذَا ؟ ...

« قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ ...

« قال: بَلَدٌ حَرامٌ ...

« أتدرُونَ أيُّ شَهْر هَذَا ؟ . . .

« قالوا : اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ . . .

« قال : شَهْرٌ حَرَامٌ . . .

« قال : فإنَّ اللهَ حَرَّمَ عليْكُمْ دماءَكُمْ وأموالَكُمْ وأعْرَاضَكُم . . . كَحُرمَةِ يَوْمِكُمْ هذا . . . في شهْرِكُم هذا . . . في بَلَدِكُم هذا » .

[أخرجه البخاري]

« أي يوم هذا ؟ » هو يوم مِنى . . . والبلد هو مكة . . . والشهر هو ذو الحجة . . . وهو من الأشهر الحُرم . . .

« أعراضكم » جمع عِرض . . . وهو موضع المدح والذم من الانسان . . .

وإنما قدم السؤال عنها تذكارا للحرمة . . . لأنهم لا يرون استباحة تلك الأشياء . . . وانتهاك حرمتها بحال . . .

* * *

والحديث الثاني :

« عن ابن عُمَرَ . . . رضي الله عنهما . . .

« عن النبيِّ ﷺ . . . قال :

« وَيْلَكُمْ . . . أوْ وَيْحَكُمْ . . .

« قال شُعْبَة : شَكَّ هُوَ . . .

« لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا . . . يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . . . »

[أخرجه البخاري]

« أو وَيْحَكُمْ » شك من الراوي . . .

« قال شعبة : شَكَّ هُوَ » يعني شيخه واقد بن محمد . . .

« لا ترجعوا بعدي كفارًا » يعني بتكفير الناس كفعل الخوارج اذا استعرضوا الناس . . . وقيل : هم أهل الردّة قتلهم الصديق رضي الله عنه . . .

وقيل الخوارج يكفرون بالزنى والقتل ونحوهما من الكبائر... وقيل اراد إذا فعله كل واحد مستحلا لقتل صاحبه فهو كافر...

★ ★ ★

أقول... من هذين الحديثين اللذين رواهما ابن عمر عن النبي ﷺ...

ومن أحاديث أخرى رواها أو سمعها...

ومِن الفتن التي كانت تموج موج البحر من حوله...

آثر ابن عمر... أن يقف على الحياد... الى آخر حياته!!!

ابن عُمَر يقول:
أخَذَ رسُولُ اللهِ...
صلّى اللهُ عليه وسلّم...
بمَنْكِبي...؟!

تتزاحم حول شخصية ابن عمر... عناصر الشرف... فلا تدري بأيِّها تأخذ!!!

وها هو عنصر عظيم من عناصر الشخصية يتلألأ ساطعًا منيرا...

★ ★ ★

عنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ... رضي الله عنهما... قالَ:
«أخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ... بمَنْكِبِي فقال:
«كُنْ في الدنيَا كأنَّكَ غريبٌ...
«أوْ عابِرُ سَبيلٍ...
«وكانَ ابنُ عُمَرَ يقُولُ:
«إذا أمسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ...
«وإذا أصْبَحْتَ فلَا تَنْتَظِرِ المساءَ...
«وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرضِك...
«ومِنْ حَيَاتِكَ لمَوْتِكَ».

[أخرجه البخاري]

«بمنكبي» مجمع العضد والكتف... ويروى بالتثنية... وفي رواية الترمذي: أخذ ببعض جسدي...

« كأنك غريب » هذه كلمة جامعة لأنواع النصائح . . .

اذ الغريب لقلة معرفته بالناس . . . قليل الحسد والعداوة والحقد والنفاق والنزاع . . . وسائر الرذائل منشؤها الاختلاط بالخلائق . . .

ولقلة اقامته قليل الدار والبستان والمزرعة والأهل والعيال وسائر العلائق التي هي منشأ الاشتغال عن الخالق . . .

« أو عابر سبيل » كلمة أو للتنويع . . . لا لشك الراوي . . .

قيل : الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف عليه ؟ . . .

وأجيب بان العبور لا يستلزم الغربة . . . والمبالغة فيه أكثر لأن تعلقاته اقل من تعلقات الغريب . . . وهو من باب عطف العام على الخاص . . .

« وكان ابن عمر يقول » في رواية : فقال لي ابن عمر اذا أمسيت الى آخره . . .

« وخذ من صحتك » أي خذ بعض اوقات صحتك لوقت مرضك . . . يعني اشتغل في الصحة بالطاعات بقدر ما لو وقع في المرض تقصير يقعدك بها . . .

« ومن حياتك » أي وخذ من حياتك لموتك . . . يعني اغتنم ايام حياتك . . . لا تمر عنك باطلة في سهو وغفلة . . . لأن من مات فقد انقطع عمله وفاته أمله . . .

★ ★ ★

شرف ما أعظمه من شرف!!!

رسول الله . . . ﷺ . . . **يأخذ بمنكبيْ ابن عمر . . . فقال : « كُن في الدنيا كأنَّك غريبٌ . . .**

« أوْ عابرُ سبيلٍ » !!!

أي أثر تركه هذا المشهد في تركيب ابن عمر ؟!

إنَّ ابن عمر ... يتخلّق الآن خَلْقا جديدا!!!
كُن ... يا عبدالله بن عمر ...
في الدنيا ... طيلة حياتك الدنيا ...

فلو فرضنا أنَّ ابن عمر كان في نحو العشرين... فقد عاش بعد هذا التوجيه اكثر من ستين عاما... منتظما على هذا التوجيه الشريف!!!

كأنك غريبٌ؟!!

هذا أعلى وأحسن وأرقى سلوك يصل اليه انسان يترقى الى أعلى...

لماذا؟!... لأن الانحطاط يأتي من توهم الانسان أنه ماكث في الدنيا لا يزول... لكن اذا أيقن أنه غريب فيها... وأنه بعد لحظات مسافر عنها... اضمحلت الحياة الدنيا في تفكيره... وتحوّل تفكيره الى الحياة القادمة التي هو منتقل اليها...

وبدت الحياة الدنيا في مقاييسه أحقر مِن أن يستغل نفسه بها!!!

هنالك يرقى ثم يرقى ثم يرقى...

وكان ابن عمر منذ سمع هذا الأمر الصادر اليه من رسول الله... ﷺ وهو في نحو العشرينات... منتظما طيلة حياته على هذا التوجيه...

وتحقّق ابن عمر بذلك... حتى صار شيئا يسري في تركيبه كما يسري الدم في جسمه...

فكان يقول:

« إذا أمسيتَ فلَا تنتظر الصباح...
« وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء »!!!

نعم... فلربما فاجأك الموت في أي لحظة!!!

فإذا كان الحال كذلك... كان المنهاج الصحيح:

«خُذْ مِن صحَّتِكَ لمرضِك...

«ومن حياتِك لِمَوْتِكَ» !!!

ما هذا ؟!... هذه ثمار الشجرة المباركة... اهتزت وأينعت!!!

ابن عُمَر...
وأمواج الفتن...
من حوله...؟!

عاصر ابن عمر... خلافة أبيه... وشهد مصرعه...

ثم خلافة عثمان... وشهد الفتنة الكبرى وقد بدأت تشتعل حتى انتهت بمصرع عثمان الرهيب...

ثم خلافة عليّ... وموقف معاوية الرافض... ثم اقتتال الفريقين...

ثم خلافة معاوية وما فيها من صراعات...

ثم خلافة يزيد بن معاوية... وما فيها من أهوال...

ثم خلافة الذين جاءوا من بعد يزيد... ومات ابن ست وثمانين سنة... سنة أربع وسبعين...

وقد لزم ابن عمر في الفتن كلها، بدءًا من عثمان حتى السنة التي مات فيها... لزم الحياد التام...

وكان رأي عبدالله بن عمر... ترك القتال في الفتنة... ولو ظهر أن احدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة!!!

وقد يبدو هذا عجيبا من ابن عمر... ولكن لا شيء يثير العجب إذا علمنا أنه كره أن يرى مسلما يقتل مسلما... مهما كانت التآويل!!!

موقفه من يزيد بن معاوية؟!

« عن نافع قال:

« لمّا خَلَعَ أهْلُ المدينةِ يزيدَ بنَ مُعاوية...

« جَمَعَ ابنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فقال:

« إنِّي سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ:

« يُنْصَبُ لكُلِّ غَادِرٍ لواءٌ يوْمَ القيامة...

« وإنّا قَدْ بَايَعْنا هذا الرَّجُلَ على بَيْعِ اللهِ ورسولِهِ...

« وإنِّي لا أعْلَمُ غَدْرًا أعْظَمَ مِنْ أنْ يُبايَعَ رَجُلٌ على بَيْعِ اللهِ ورسولِهِ... ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ القِتالُ...

« وإنِّي لا أعلَمُ أحَدًا مِنكُمْ خَلَعَهُ ولا بَايَعَ في هذا الأَمْرِ...

« إلا كانتِ الفيْصَلَ بَيْني وبَيْنَهُ ».

[أخرجه البخاري]

« حشمه » أي خاصته الذين يغضبون له...

« وإنا قد بايعنا هذا الرجل » أي يزيد...

« على بيع الله ورسوله » أي على شرط ما أمر الله به من البيعة...

« ولا أعلم أحد منكم خلعه » أي يزيد عن الخلافة...

« الا كانت الفيصل » الحاجز والقاطع...

★ ★ ★

أقول... كان ابن عمر لا يرى أن يُشارك في إشعال نار الفتنة... او زيادة اشتعالها...

حسبُ المسلمين ما هم فيه من صراعات!!!

★ ★ ★

« حدّثنا عبدُاللهِ بنُ دينارٍ... قال: « شَهِدْتُ ابنَ عُمَرَ...
« حَيْثُ اجْتَمَعَ الناسُ على عَبْد المَلِكِ... قال:
« كَتَبَ إنّي أُقِرُّ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ لعَبْدِ اللهِ عَبْدِ المَلِكِ أميرِ المؤمِنِينَ... على سُنَّةِ اللهِ... وسُنَّةِ رسُولِهِ... ما استَطَعْتُ...
« وإنَّ بَنِيَّ قَدْ أقَرُّوا بِمِثْلِ ذَلِكَ ».

[أخرجه البخاري]

« عبد الملِك » هو ابن مروان بن الحكم الأموي... والمراد باجتماع الناس عليه عقدهم له بالخلافة... وكان بويع له في حياة أبيه... فلما مات أبوه في ثالث رمضان في سنة خمس وستين جددت لعبد الملك البيعة بدمشق ومصر وأعمالها... واستقرت يده على ما كانت يد أبيه عليه...

« كتَبَ » أي ابن عمر...

« إني أقرّ بالسمع والطاعة » الى آخره...

« ما استطعت » أي قدر استطاعتي...

« وإنَّ بَنِيَّ قد أقرّوا بذلك » أي بالسمع والطاعة...

وأبناؤه هم: عبدالله وأبو بكر وأبو عبيدة وبلال وعمر.. أمهم صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي... وعبد الرحمن... أمّه أم علقمة بنت نافس بن وهب...

وسالم وعبيدالله وحمزة... أمّهم أم ولد...

وزيد أمّه أم ولد...

* * *

أقول... إنَّ ابن عمر يكتب اقرارا على نفسه وعلى أبنائه... أنه

قد أقرَّ بالسمع والطاعة لعبدالله عبد الملك أمير المؤمنين على سنّة الله وسّنة رسوله!!!

لماذا؟!... لأنه كره هذه المسألة... مسألة الخلافة وما يثار حولها من صراعات وفتن وقتال!!!

يجب أن ينأى بنفسه عن المشاركة فيها!!!

الاقتداء برسول الله...
صلّى اللهُ عليه وسلّم...
في كل أمره...؟!

عن عُبَيْدِ بنِ جُرَيْجٍ ... أنَّهُ قالَ لعَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ... رضي الله عنهما:

« رأيْتُكَ تَصنَعُ أرْبَعًا ... لَم أرَ أحَدًا مِنْ أصحابِكَ يَصْنَعُها ...

« قال: ما هِيَ يا ابْنَ جُرَيْجٍ ؟ ...

« قال: رأيْتُكَ لا تَمَسُّ مِنَ الأرْكانِ إلّا اليَمانِيَيْنِ ...

« ورأيتُكَ تَلْبَسُ النّعال السِّبْتِيَّةَ ...

« ورأيتُكَ تَصبُغُ بالصُّفْرَةِ ...

« ورأيتُكَ إذا كُنْتَ بمكَّةَ أهَلَّ الناسُ إذا رَأوُا الهِلَالَ ولم تُهِلَّ أنتَ حتَّى كانَ يومُ التَّرْوِيَةِ ...

« فقال لهُ عبدُاللهِ بنُ عُمَرَ:

« أمَّا الأرْكانُ ... فإنِّي لم أرَ رسولَ الله ﷺ يَمَسُّ إلا اليَمانِيَيْنِ ...

« وأمَّا النِّعالُ السِّبْتِيَّةُ ... فإنِّي رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَلبَسُ النِّعالَ التي ليْسَ فيها شَعَرٌ ويتوضأُ فيها ... فأنَا أحِبُّ أنْ ألْبَسَها ...

« وأمَّا الصُّفْرَةُ ... فإنِّي رأيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَصْبُغُ بِها ... فأنا أحِبُّ أنْ أصْبُغَ بِها ...

« وأمَّا الإهْلَالُ فإنِّي لمْ أرَ رسولَ اللهِ ﷺ يُهِلَّ حتى تَنْبعثَ به راحِلَتُهُ » .

[أخرجه البخاري]

« إلا اليمانيَيْن » وهو الذي فيه الحجر الأسود والذي يليه من جهة اليمن... ويقال لهما اليمانيان تغليبا...

« يصبُغ » والمراد به صبغ الثوب وقيل الشعر...

« أهلَّ » أي أحرم... والهلال هو هلال ذي الحجة... ويوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة...

★ ★ ★

أقول... هكذا كان شأن ابن عمر... متابعة للنبي ﷺ ... في كل أمر...

إنه الحبّ!!!

ولذلك كان تعبيره في هذا الحديث:

فأنا أحبُّ أنْ ألْبَسَها!!!

فأنا أحبُّ أن أصبُغ بها!!!

إنه الحبّ!!!

قاعَدْتُ ابنَ عُمَرَ قريبًا مِن سَنَتَيْنِ ؟!

« عنْ تَوْبَةَ العَنْبَرِيّ... قال:

« قالَ لِي الشَّعْبِيُّ: أرَأَيْتَ حديثَ الحَسَنِ عنِ النبيِّ ﷺ ...

«وقاعَدْتُ ابنَ عُمَرَ قَرِيبًا مِنْ سَنَتَيْنِ أو سَنَةٍ ونِصْفٍ...

«فلَمْ أسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ غيْرَ هذَا؟...

«قال: كانَ ناسٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ... فيهِمْ سَعْدٌ... فذَهَبُوا يَأكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ... فنادَتْهُمُ امرأةٌ مِنْ بَعْضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ... إنَّهُ لحْمُ ضَبٍّ فأمْسِكُوا...

«فقالَ رسولُ الله ﷺ: كُلُوا أو أطْعِمُوا فإنَّهُ حَلَالٌ...

«أوْ قال: لا بأسَ بِهِ...

«شَكَّ فِيهِ...

«ولكِنَّهُ ليْسَ مِنْ طَعَامِي».

[أخرجه البخاري]

«كلوا» غير متوجه الى نفي كلامها... بل هو إعلام بانها تؤكل... وإنما منعتهم المرأة لكونها علمت أن النبي ﷺ ما كان يأكل فبنت على هذا ومنعتهم... وما علمت أن ترك اكل النبي ﷺ من ذلك لكونه يعافه لا لكونه حراما...

«الشَّعْبِيّ» عامر بن شراحيل... من كبار التابعين... قيل إنه أدرك خمسمائة صحابي...

«أرأيت» الاستفهام للانكار...

«حديث الحَسَن» أي البصري عن النبي ﷺ...

وكان الشعبي ينكر على من يرسل الأحاديث عن النبي ﷺ... اشارة الى ان الحامل لفاعل ذلك طلب الاكثار من التحديث عنه... وإلا لكان يكتفي بما سمعه موصولا...

وقيل: غرضه أن الحسَن مع أنه تابعي يكثر الحديث عن النبي ﷺ... يعني أنه جريء على الاقدام عليه...

وعبدالله بن عمر... مع أنه صحابي يقلل فيه... محتاط محترز ما أمكن قوله!...

« وقاعدت ابن عمر » ابتداء كلام لبيان تقليل ابن عمر في الحديث... أي جلست معه قريبا من سنتين... او قريبا من سنة ونصف...

« فلم أسمعه يحدث عن النبي ﷺ غير هذا » وأشار به الى الحديث الذي بعده... وهو قوله كان ناس من أصحاب النبي ﷺ...

« فيهم سعد » هو ابن ابي وقاص...

« فنادتهم امرأة » هي ميمونة... احدى زوجات النبي ﷺ...

« شَكَّ فيه » أي قال شعبة: شكَّ فيه توبة العنبري.

« لكِنَّهُ » أي لكن الضبّ ليس من طعامي... اي من الطعام المألوف به فأعافه.

★ ★ ★

أقول... كان هذا مسْك الختام من الأحاديث التي اخترناها من صحيح البخاريّ... في موضوع حياة ابن عمر...

فجاءت بحمدالله وافية بالغرض... ترسم صورة شاملة لحياته... رضي الله تعالى عنه!!!

شخصية...

ابن...

عُمَر...؟!

أعظم أولاد عمر ؟!

قالوا: أجَلّ أولاد عمر بن الخطاب... عبدالله بن عمر...
وحفصة أم المؤمنين...
وكانوا تسعة من الذكور...
وخمسًا من البنات.

★ ★ ★

ابن عمر عندما صُرِع أبوه؟!

قال عمر لابنه:
يا عبدالله بن عمر... انظر ما عليّ من الدَّيْن؟...
فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف درهم...
قال: إن وفى به مال آل عمر فأدّه من أموالهم... وإلا فاسأل فيه بني عديّ... فإن لم تفِ أموالهم فاسأل فيه قريشًا... ولا تَعْدُهم الى غيرهم!!!

قال عبدالرحمن بن عوف: ألا تستقرضها من بيت المال حتى تؤديها؟...

فقال عمر: معاذ الله... أن تقول أنت وأصحابك بعدي: أمّا نحن فقد تركنا نصيبنا لعمر!... فتعزّوني بذلك... فتتبعني تبعته وأقع في أمر لا ينجيني إلا المخرج منه!!!

ابن عمر يسدد دَيْن أبيه؟!

ثم قال عمر لعبدالله بن عمر: اضمنها...

فضمنها...

فلم يدفن عمر حتى أشهد بها ابن عمر على نفسه أهل الشورى... وعِدَّة من الأنصار...

وما مضت جمعة حتى حمل المال الى عثمان... وأحضر الشهود على البراءة بدفعه!!!

أقول... هكذا كانت عفّة هؤلاء العظماء...

ما كانوا كهؤلاء الكلاب المسعورة التي تحكُم لتنهش...

وإنما عمر كان عفيفا... وابن عمر كان عفيفا وشريفا!!!

عندما بعثه عمر الى عائشة؟!

وقال عمر وهو صريع لابنه عبدالله: انطلق الى عائشة أم المؤمنين...

« فقل: يقرأ عليك عمر السلام...

« ولا تقل: أمير المؤمنين... فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا...

« وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه»...

فمضى فسلم واستأذن... ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي...

فسلم عليها وقال: يقرأ عليك عمر السلام... ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه...

قالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرنّه به اليوم على نفسي!!!

عمر يأمر ابنه أمْرًا عَجَبًا؟!

فلما أقبل قيل: هذا عبدالله بن عمر قد جاء...

قال عمر: ارفعوني... فأسنده رجل إليه...

فقال: ما لديك؟!...

قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين... أذِنَتْ...

قال: الحمدلله... ما كان شيء أهمّ إليّ من ذلك المضجع...

«يا عبدالله بن عمر...

«انظر... فإذا أنا قبضت...

فاحملوني على سريري...

«ثم قف بي على الباب... فقُل:

«يستأذن عمر بن الخطاب...

«فإن أذنت لي فأدخلني...

«وإن ردّتني فردّني الى مقابر المسلمين...

«فإني أخشى أن يكون إذنها لي لمكان السلطان...»!!!

اقول... واضح أنَّ عبدالله هو القائم بأعمال أبيه... وموضع ثقته في حياته وموته!!!

ابن عمر يُشير على أبيه؟!

عن ابن عمر قال:

«دخلت على حفصة ونوساتها (ضفائرها) تنطف (تقطر) ماء فقالت: علمت أن أباك غير مستخلف؟!...

قلت: ما كان ليفعل...

قالت: إنه فاعل...

فحلفتُ أن أكلمه في ذلك...

فغدوت عليه ولم أكلمه... فكنت كأنما أحمل بيميني جبلًا... حتى رجعت فدخلت عليه...

فسألني عن حال الناس... وأنا أخبره... ثم قلت له: اني سمعت الناس يقولون مقالة... فآليت أن أقولها لك...

زعموا أنك غير مستخلف؟!...

أرأيت لو أنك بعثت إلى قيّم أرضك ألم تكن تحب أن يستخلف مكانه حتى يرجع إلى الأرض؟...

قال: بلى...

قلت: أرأيت لو بعثت إلى راعي غنمك... ألم تكن تحب أن يستخلف رجلًا حتى يرجع؟...

«فماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟!...

فأصابه كآبة ثم نكّس رأسه طويلًا... ثم رفع رأسه وقال:

إن الله تعالى حافظ الدين...

وأيّ ذلك أفعل فقد سُنَّ لي...

إن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف...

وإن استخلفت فقد استخلف أبو بكر... فعلمتُ أنه لا يعدل أحدًا برسول الله ﷺ...

وأنه غير مستخلف» !!!

اقول...: هاهنا يبدو لنا ابن عمر موضع مشورة أمير المؤمنين أبيه... وموضع سرّه...

ومِثْل عمر اذا استشار العظماء...

وهذا دليل على عظمة ابن عمر!!!

ترشيح ابن عمر... أميرًا للمؤمنين؟!

قال أبو رافع:

كنت عند عمر بن الخطاب بعد أن طُعن...

وكان مستندًا الى ابن عباس...

وعنده ابن عمر...

وسعيد بن زيد... فقال:

اعلموا أني لم أقل في الكلالة شيئًا...

ولم استخلف بعدي أحدًا...

وإنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حرّ سن مال الله.

قال سعيد بن زيد: إنك لو أشرت برجل من المسلمين ائتمنك الناس...

فقال عمر: قد رأيت من أصحابي حرصًا سيئًا... وإني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ...

ثم قال:

لو أدركني أحد رجلين... فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم

مولى أبي حذيفة... وأبو عبيدة بن الجراح... فإن سألني ربي عن أبي عبيدة قلت: سمعت نبيّك يقول إنه أمين هذه الأمة... وإن سألني عن سالم قلت: سمعت نبيّك يقول إن سالمًا شديد الحبّ لله...

فقال رجل: (هو المغيرة بن شعبة) أدلّك عليه؟!... عبدالله بن عمر!!...

قال: قاتلك الله!... والله ما أردت الله بهذا...

«لا أرب لنا في أموركم...

«وما حَمِدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي...

إن كان خيرًا فقد أصبنا منه...

«وإن كان شرًّا فبحسب آل عمر أن يحاسَب منهم رجلٌ واحد... ويُسألَ عن أمر أمة محمد ﷺ...

«أما لقد جهدت نفسي... وحرمت أهلي... وإن نجوت كفافا لا وِزْرَ ولا أجر إني لسعيد»!!!

اقول... وهكذا رفض عمر رفضا باتا ترشيح ابن عمر للخلافة...

لا لأنه ليس أهلًا لها... ولكن لينأى به عن مسئوليتها الغليظة!!!

تعيين ابن عمر...
مُشيرًا لأهل الشورى؟!

وجعلها شورى في ستة: عثمان... وعليّ... وطلحة... والزبير... وعبد الرحمن بن عوف... وسعد بن أبي وقّاص رضي الله عنهم...

وجعل عبدالله بن عمر معهم مشيرا... وليس منهم...

واجّلهم ثلاثًا... وأمر صهيبًا أن يصلي بالناس!!!

أقول... كان ابن عمر آنذاك في نحو السادسة والثلاثين...
حيث بويع لعثمان بن عفان سنة أربع وعشرين من الهجرة...
إنَّ ابن عمر موضع ثقة أبيه الفاروق... يراه أهلًا اذا استشير أن يُشير بالصواب!!!

ابن عُمَر يأبى؟!

فلما خرجوا قال عمر:
«لو ولّوها الأجلح لسلك بهم الطريق» (يعني عليًّا)!...
فقال ابن عمر:
فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تقدم عليًّا؟!...
قال: أكرَه أن أحملها حيًّا وميتًا...
وقاموا يتشاورون...
قال عبدالله بن عمر:
«فدعاني عثمان مرة... أو مرتين... ليُدخلني في الأمر...
«ولم يُسمِّني عُمَر...
«ولا والله ما أحب أني كنت فيها...
«علمًا أنه سيكون في أمرهم ما قال أبي (يعني: من الشقاق)...
«والله قلّما رأيته يحرّك شفتيه بشيء قط إلا كان حقًّا»!!!
اقول: ما معنى هذا؟!
معناه أن كراهية ابن عمر للمنصب الأعلى... منصب أمير المؤمنين... بدأت تتكون من تلك اللحظة...
ها هو أبوه... أعظم واعدل مَن حكم الأرض... يُصرَع بأيدي مجرم صعلوك!!!

وها هو أبوه يقرر أمامه وهو صريع «ما حَمِدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي»!!!

مهما يكن من امرئ يلي هذا المنصب فإنه لن يبلغ ما بلغ عمر من العدل والتقوى... ومع هذا هو لا يحمدها... ولا يريد أن يتورط أحَد من آل عمر فيها... «فبحسب آل عمر أن يحاسَب منهم رجلٌ واحد»... كفى ما كان... إنها مسئولية تنوء بها الجبال!!!

سمع ابن عمر أباه يقول ذلك... فأدرك بوعيه الباطن أن أباه لا يحب له أن يُبتلى هذا البلاء!!!

فبدأت من هنا فكرة ابن عمر أن يزهد في منصب الخلافة... وأن لا يفكر في نصرة فريق على الآخر...

فلا هو يريدها... ولا هو يشارك في صراعات المتصارعين عليها!!!

«ولا والله ما أحب أني كنت فيه»!!!

إنّ ابن عمر يُقسم أنه يكره أشد الكره أن يكون ضمن هؤلاء المرشحين للخلافة!!!

وقد كفاه أبوه هذه الحيرة حيث جعل عبدالله بن عمر معهم مشيرا وليس منهم!!!

قال ابن عمر:

فلما أكثر عليّ عثمان قلت له:

«ألا تعقلون؟... أتؤمّرون وأمير المؤمنين حيّ؟!...

«فوالله لكأنما نبهت عمر من مرقد...

«فقال عمر: أمهلوا فإن حدث بي حدث فليصلّ لكم صُهيب... ثلاث ليال... ثم أجمعوا أمركم»!!!

عمر يقول: حَكّموا عبدالله ابن عمر؟!

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال: «كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى...

فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت أحدهم... فقم على الباب بأصحابك فلا تترك أحدًا يدخل عليهم...

ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمّروا أحدهم...

وقم على رؤوسهم...

فإن اجتمع خمسة ورضُوا رجلًا وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف...

وإن اتفق أربعة فرضوا رجلًا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما...

فإن رضي ثلاثة رجلًا منهم... وثلاثة رجلًا...

فحكِّموا عبدالله بن عمر...

فأي الفريقين حَكم له فليختاروا رجلًا منهم...

فإن لم يرضَوْا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف...

واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس...

ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم... اللهم انت خليفتي فيهم» !!!

اقول: وقال الفاروق في وصيته: «فإن رضي ثلاثة رجلًا منهم وثلاثة رجلًا... فحَكِّموا عبدالله بن عمر... فأيّ الفريقين حَكَم له... فليختاروا رجلًا منهم» !!!

فما معنى هذا؟!

معناه أن الفاروق... الذي جعل الله الحقّ على لسانه وقلبه... يرى أنَّ صفة العدل أصيلة في ابنه عبدالله بن عمر... فاختاره لذلك حَكَمًا بين الفريقين... وأمرهم أن ينزلوا على حُكْمه!!!

ابن عمر يُشرف على دفن أبيه عُمَر؟!

كان ابن عمر هو المقدَّم في كل أمر...

قالوا: غُسل وكفّن وصُلِّيَ على عمر وكان شهيدا...

غسله ابنه عبدالله بالماء والسدر... وكفنه في ثلاثة أثواب...

وصلى عليه في مسجد رسول الله ﷺ...

وقد استبق عليّ وعثمان للصلاة عليه... فقال عبدالرحمن بن عوف: إن هذا لهو الحرص على الإمارة... لقد علمتما ما هذا إليكما... ولقد أمر به غيركما... فتقدم يا صُهَيب فصلّ عليه...

فتقدم صُهَيب فصلّى...

وروي أنه أنزله في قبره ابنه عبدالله... وعثمان... وسعيد... وعبدالرحمن!!!

أقول: مراسم الغُسل والكفن والصلاة والانزال في القبر... عبدالله بن عمر هو المقدَّم فيها...

وفي هذا دلالة على قوة الشخصية... إذا كان هناك موقف التفت الناس الى عبدالله بن عمر!!!

إنّي وابن عمر لا حاجة لنا فيها؟!

ثم كانت الفتنة الكبرى... وكان قتل عثمان لثماني عشرة خلت من ذي الحجة... سنة خمس وثلاثين...

وقيل إن عثمان لما قُتل بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه...

فأتى المصريون عليًّا فباعدهم...

وأتى الكوفيون الزبير فباعدهم...

وأتى البصريون طلحة فباعدهم...

وكانوا مجتمعين على قتل عثمان... مختلفين فيمن يلي الخلافة...

فأرسلوا إلى سعد يطلبونه...

فقال: إنّي وابن عمر لا حاجة لنا فيها...

فأتوا ابن عُمَر فلم يجبهم!!!

فبقوا حيارى!!!

اقول... هذه هي المرة الثانية التي تعرض فيها الخلافة على ابن عمر ويرفضها!!!

وكانت المرة الأولى حين رشّحه عثمان... عند مقتل عمر... فرفض!!!

أمير المؤمنين عليّ يقول:
والله إنّه عندي ثقة؟!

وبويع عليّ بن أبي طالب بالخلافة سنة خمس وثلاثين...

وتهيأ للخروج الى قتال مخالفيه... سنة ست وثلاثين...

فندب أهل المدينة للمسير معه فتثاقلوا...

فبعث إلى عبدالله بن عُمَر... كُمَيلًا النَّخَعي... فجاء به... فدعاه الى الخروج معه...

فقال: إنّما أنا من أهل المدينة وقد دخلوا في هذا الأمر فدخلتُ معهم... فإن يخرجوا أخرج معهم... وإن يقعدوا أقعد...

قال: فأعطني كفيلًا...

قال: لا أفعل...

فقال له عليّ: لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيرًا وكبيرًا لأنكرتني... دعوه... فأنا كفيله!!!

فرجع ابن عمر الى المدينة وهم يقولون: والله ما ندري كيف نصنع... إن الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا!!!

فخرج من تحت ليلته... وأخبر أم كلثوم ابنة عليّ... وهي زوجة عمر... بالذي سمع...

وأنّه يخرج معتمرًا... مقيمًا على طاعة عليّ... ما خلا النهوض...

فأصبح عليّ... فقيل له: حدث الليلة حدث هو أشد من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية!!!

قال: وما ذاك؟...

قالوا: خرج ابن عمر إلى الشام فأتى السوق وأعدَّ الظَّهر والرجال... وأخذ لكل طريق كلابًا... وماج الناس...

فسمعت أمّ كلثوم فأتت عليًّا فأخبرته الخبر...

فطابت نفسه وقال: انصرفوا... والله ما كَذَبَتْ ولا كَذَب... والله إنه عندي ثقة...

فانصرفوا!!!

اقول... واضح هنا أنَّ ابن عمر يكره الخروج مع عليّ لقتال مخالفيه...

وبلغ من كراهته الاشتراك في هذه الفتنة أنه غادر المدينة ليلا... معتمرًا... مقيما على طاعة عليّ... ما خلا النهوض!!!

أي أنه مقيم على طاعة أمير المؤمنين إلا النهوض معه الى قتال المخالفَين...

إن الأحسن أن يذهب الى مكة معتمرا بعيدا عن هذه الضوضاء!!!

إنه لا يرى أن يقاتل المسلمُ المسلمَ مهما كانت الأسباب!!!

ابن عمر يشهد التحكيم
بين عليّ ومعاوية؟!

وانتهت الأمور الى قصة التحكيم... فرفع الذين مع معاوية المصاحف بالرماح وقالوا: هذا حُكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم...

ولما جاء وقت اجتماع الحَكَمين أرسل عليّ أربعمائة رجل ومعهم أبو موسى الأشعري...

وأرسل معاوية... عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام...

وحضر معهم ابن عمر...

وعبدالرحمن بن أبي بكر الصدّيق...

وابن الزبير وآخرون!!!

ابن عمر يتأوّه ويتألم؟!

وكان أبو موسى مُغَفَّلًا!!!

فقال: إنّي قد خلعتُ عليًّا ومعاوية... فاستقبلوا أمركم... وولّوا

عليكم مَن رأيتموه أهلًا... ثم تنحّى!!!

وأقبل عمرو فقام وقال: إنّ هذا قد قال ما سمعتموه وخلعَ صاحبَه... وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه... وأثبّتُ صاحبي معاوية... فإنّه وليّ ابن عفّان... والطالب بدمه... وأحقّ الناس بمقامه!!!

فقال سعد: ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده!!!

فقال أبو موسى: فما أصنع؟... وافقني على أمر ثمّ نزع عنه!!!

فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى... الذنب لمن قدّمك في هذا المقام!

قال: غَدَرَ... فما أصنع؟!

فقال ابن عُمَر:

«انظروا إلى ما صار أمر هذه الأمّة!!!

«صار إلى رجل ما يبالي ما صنع... وإلى آخر ضعيف»!!!

اقول... إنّ ابن عمر يتأوه ويتألم مما صار اليه حال الامّة...

لقد أصبح مصير الأمّة ألعوبة يلعبها عمرو بن العاص... وأرجوحة يرجحها حيث يشاء!!!

وحفرت هذه المشاهد المأساوية خطوطا عريضة في أعماق شخصية ابن عمر... ونادته نفسه: أنَّ من الخير أن تتجنب هذه المأساة!!!

كاد ابن عُمر أن يتكلم؟!

وقد قيل: إن معاوية حضرَ الحَكَمَين وإنه قام عشيّةً في الناس فقال: أمّا بعدُ من كان متكلّمًا في هذا الأمر فليُطْلع لنا قرنه...

قال ابن عمر: فاطلعتُ حُبْوَتي... فأردتُ أن أقول: يتكلّم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسلام... فخشيتُ أن أقول كلمة تفرّق الجماعة ويُسفك فيها دم... وكان ما وعد الله فيه الجنان أحبّ إليّ من

ذلك... فلمّا انصرفتُ إلى المنزلَ جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلّم حين سمعتَ هذا الرجل يتكلم؟...

قلتُ: أردتُ ذلك ثمّ خشيتُ!...

فقال حبيب: وُفّقْتَ وعُصِمْتَ.

أقول... كاد ابن عمر أن يتكلم... إلا أنه خشي أن يزيد نار الفتنة اشتعالا فأمسك!!!

ابن عمر يقاتل... إذا كان القتال ضدّ الكفّار؟!

وفي سنة خمسين سيَّر معاوية جيشًا كثيفًا إلى بلاد الروم للغـزو... وجعل عليهم سفيان بن عَوْف... وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم..

فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه...

وكان في هذا الجيش ابن عباس...

وابن عُمَر...

وابن الزّبَير... وأبو أيّوب الأنصاري وغيرهم...

فأوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا القسطنطينية.

فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم...

ثم رجع يزيد والجيش إلى الشام!!! أقول... ها هنا مؤشر هام في شخصية ابن عمر...

لقد كان في هذه الغزوة قد تجاوز الستين... ومع هذا خرج يقاتل في سبيل الله... لماذا؟...

لأنه هنا يقاتل عدوا كافرا لا خلاف في كفره... أمّا أن يقاتل مسلما فلا!!!

مستجاب الدعوة؟!

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين...

وفي هذه السنة توفي زياد بن أبيه... بالكوفة في شهر رمضان...

وكان سبب موته أنه كتب إلى معاوية: إنّي قد ضبطتُ العراق بشمالي... ويميني فارغة... فاشغلها بالحجاز...

فكتب له عهده على الحجاز...

فبلغ أهل الحجاز فأتى نفرٌ منهم عبدَالله بن عمر بن الخطّاب...

فذكروا ذلك...

فقال: أدعو الله عليه...

ثم استقبل القبلة...

ودعا ودعوا معه...

وكان من دعائه أنه قال: اللهمّ اكفِنا شرّ زياد...

فخرجت طاعونةٌ على إصبع يمينه فمات منها!!!

فلمّا بلغ موتُه ابنَ عمر قال: اذهَبْ ابنَ سُمَيّة... لا الآخرة أدركتَ ولا الدنيا بقيتْ عليك!!!

أقول... ها هنا دليل على أنَّ ابن عمر كان مستجاب الدعوة!!!

معاوية يُطمئن ابنه يزيد؟!

ثم دخلت سنة ستين...

وفيها توفي معاوية بن أبي سفيان...

فلما مرضَ المرضَ الذي مات فيه دعا ابنَه يزيد فقال: يا بُنيّ إني قد كفيتُك الشدّ والترحال... ووطّأتُ لك الأمور... وذلّلتُ لك

الأعداء... وأخضعتُ لك رقَابَ العرب... وجمعتُ لك ما لم يجمعه أحد...

« ... وإنّي لستُ أخافُ عليك أن ينازعك في هذا الأمر إلا أربعة نفر من قريش:

الحسينُ بن عليّ...

وعبدالله بن عُمَير...

وعبدالله بن الزُّبَير...

وعبد الرحمن بن أبي بكر...

فأمّا ابن عمر فإنّه رجل قد وقذَتْه العبادة... فإذا لم يبق أحَد غيره بايعك...

وأما الحسين بن عليّ فهو رجل خفيف... ولن يتركه أهل العراق حتى يُخْرِجوه... فإن خرج وظفرتَ به فاصفح عَنه... فإنّ له رَحِمًا ماسّة... وحقًّا عظيمًا... وقرابة من محمد ﷺ...

وأمّا ابن أبي بكر فإن رأى أصحابَه صنعوا شيئًا صنع مثله... ليس له همّة إلا في النساء واللّهو...

وأمّا الذي يجثم لك جُثوم الأسد... ويراوغك مراوغة الثعلب... فإن أمكنَتهُ فرصةٌ وثَب فذاك ابن الزّبَير... فإن هو فعلها بك فظفرتَ به فقطّعْه إرْبًا إرْبًا... واحقُنْ دماء قومك ما استطعتَ!!!

(هكذا في هذه الرواية ذُكر عبد الرحمن بن أبي بكر... وليس بصحيح... فإن عبد الرحمن كان قد مات قبل معاوية)...

ثم مات معاوية... وكان مُلكه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يومًا... وتوفي وهو ابن خمس وسبعين سنة!!!

أقول... الذي نلتقطه هنا هو تقييم معاوية لشخصية ابن عُمر... ومِثْل معاوية وقد كان أميرًا للمؤمنين... يحكم مشارق الأرض

ومغاربها... وله خبرة واسعة جدا بطبائع النفوس... وحقائق معادن الناس... لطول ما عامَلَها وحَكمها وساسها... مِثل هذا الرجل يأتي حُكْمه صائبا ينبغي ان يُلتفت إليه أتمّ الالتفات...

يُقَوِّم معاوية... ابنَ عمر فيقول:

فأمّا ابن عمر... فإنّه رجل قد وقذَتْه العبادة!!!

أي لا عليك منه يا يزيد... فإنه غير راغب في الدنيا... غير راغب في الملك... إنما استهلكته عبادة الله... يؤثر ما عند الله على ما في أيدي الناس!!!

«فإذا لم يبقَ أحَد غيره بايعك»!!!

لماذا؟... لأنه أصلا غير راغب فيها... ولا متطلع اليها... بل يَراها مهنة ينبغي أن يتنزه عنها!!!

ابن عمر وبيعة يزيد؟!

«وفي رجب من هذه السنة... سنة ستين بويع يزيد بالخلافة بعد موت أبيه...

فلمّا تولّى كان على المدينة الوليد بن عُتْبَة بن أبي سفيان...

ولم يكن ليزيد همّة إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية بيعته...

فكتب إلى الوليد يخبره بموت معاوية...

وكتابا آخر فيه: أمّا بعدُ... فخذْ حسيْنًا... وعبدالله بن عمر... وابن الزبَير بالبيعة أخذًا ليس فيه رُخْصة حتى يبايعوا...

ثم إنّ الوليد أرسل إلى ابن عُمر ليبايع فقال:

«إذا بايع الناسُ بايعتُ»... فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه!!!

وقيل: إنّ ابن عمر كان هو وابن عبّاس بمكّة... فعادا إلى المدينة...

فلقيهما الحسين وابن الزّبير فسألاهما: ما وراءكما؟...
فقالا: موت معاوية وبيعة يزيد...
فقال ابن عمر: لا تُفرِّقا جماعة المسلمين!!!
وقدم هو وابن عبّاس المدينة...
فلما بايع الناسُ بايعا!!!
أقول... واضح هنا أنَّ ابن عمر لا يرى هذه الخلافة شيئًا ذا بال!!!
فما دام الأمر قد آل إلى يزيد بن معاوية... فمعنى هذا أن الأمور قد اضطربت... فلا ينبغي أن يزيدها اضطرابا!!!
لا تُفَرِّقا جماعة المسلمين!!!
فلسفته أن الحرص على الجماعة يُقدَّم على فكرة مَن أحق بالخلافة!!!

أحداث كبرى لم يشارك فيها ابن عمر؟!

«ثم كانت أحداث كبرى بعد بيعة يزيد...
إلا أن ابن عمر لزم سياسة الحياد التام... خلالها كلها!!!
منها مسير الحسين... رضي الله عنه... إلى الكوفة... بعد أن رفض البيعة ليزيد...
ثم دخلت سنة إحدى وستين...
وفيها كان مقتل الحسين... رضي الله عنه بالعراق... بكربلاء...
وكان عمر الحسين يوم قتل خمسًا وخمسين سنة...
وكان قتله يوم عاشوراء سنة إحدى وستين...
ثم دخلت سنة أربع وستين... وفي هذه السنة توفي يزيد بن

معاوية... وهو ابن ثمان وثلاثين سنة...

وفي هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيد بالخلافة بالشام...

ولعبدالله بن الزبير بالحجاز!!!

ثم في هذه السنة بويع مروان بن الحكم بالشام...

ثم دخلت سنة خمس وستين...

وفي هذه السنة أمر مروان بن الحكم بالبيعة لابنيه عبد الملك... وعبد العزيز... بولاية العهد...

وفي رمضان من هذه السنة مات مروان بن الحكم... وتولى ابنه عبد الملِك... وقام بأمر الشام... وكان بمصر ابنه عبد العزيز بطاعة أخيه عبد الملِك...

ثم دخلت سنة ست وستين...

في هذه السنة وثب المختارُ بالكوفة وأخرج عنها عامل عبدالله بن الزبَير...

وفي هذه السنة وثب المختار بمن بالكوفة من قَتَلَة الحسين... رضي الله عنه... وتجرد المختار لقتلةِ الحسين وقال: ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين أحياء!!!

ثم دخلت سنة سبع وستين...

ثم دخلت سنة ثمان وستين...

وكان عبد الملك بن مروان بالشام مشاققًا لابن الزبير...

وفيها مات عبدالله بن عباس... وعمره أربع وسبعون سنة...

ثم دخلت سنة تسع وستين...

ثم دخلت سنة سبعين...

وحجّ بالناس هذه السنة عبدالله بن الزبير...

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين...

وفي هذه السنة قُتل مصعب بن الزبير... واستولى عبد الملك بن مروان على العراق... وأمّا عبدالله بن الزبير فلمّا انتهى اليه قتل أخيه مُصْعب... حزن عليه حزنا شديدا...

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين...

ولما استقر عبد المَلِك بالكوفة بعد قتل مصعب...

أمر بقتال الخوارج...

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين...

وفيها قُتِل عبدالله بن الزّبَير... فكيف كان ذلك؟!!

الحجّاج السَّفّاح يرمي الكعبة بالمنجنيق؟!!

«فلمّا قَتَل عبد الملك مصعبًا وأتى الكوفة...

وجّه منها الحجّاج بن يوسف الثقفيَّ في ألفَيْن... وقيل: في ثلاثة آلاف... من أهل الشام... لقتال عبدالله بن الزبير...

وكان السبب في تسييره دون غيره أنّه قال لعبد المِلك: قد رأيتُ في المنام أني أخذتُ عبدالله بن الزبير فسلختـه... فابْعثني إليه وولِّني قتاله...

فبعثه وكتب معه أمانًا لابن الزبير ومَنْ معه إن أطاعوا...

فسار في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين... ولم يعرض للمدينة... ونزل الطائف...

وكان يبعث الخيلَ إلى عَرَفة... ويبعثُ ابنُ الزّبير أيضًا... فيقتتلون بعَرَفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كلّ ذلك وتعود خيلُ الحجّاج بالظفر!..

ثم كتب الحجّاج إلى عبد الملك يستأذنه في دخول الحَرَم... وحصر

ابن الزبير... ويُخْبِره بضعفه وتفرّق أصحابه ويستمدّه...

فكتب عبد الملك إلى طارق يأمره باللحاق بالحجّاج...

وقدم طارق على الحجّاج بمكّة في ذي الحجة في خمسة آلاف!!!

وأما الحجّاج فإنّه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجّة!!!

فنزل بئر ميمون...

وحج بالناس تلك السنة الحجّاج... إلا أنه لم يَطُفْ بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمرْوَة... منعه ابن الزبير من ذلك... فكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتِل ابن الزبير... ولم يحج ابن الزبيرِ ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعَرَفة ولم يرموا الجِمار... ونحر ابنُ الزبير بُدْنَة بمكة!!!

ولما حصر الحجّاجُ ابنَ الزبيرِ...

نصب المنجنيق على أبي قُبَيس... ورمى به الكعبة!!!

وكان عبدُ الملك ينكر ذلك أيام يزيد بن معاوية... ثم أمر به!!!

فكان الناس يقولون: خُذِل في دينه!!!

أقول... هذا ما آل إليه أمر هذه الأمّة في تلك الأيام!!!

مؤامرات سياسية بين عبدالله بن الزبير في الحجاز... وعبد الملك بن مروان بالشام!!!

واستباحة للحرمات... حتى أقدس مكان... بيت الله الحرام... الكعبة المشرفة... استباحها هذا الحجّاج السفاح... وأمر برميها بالمنجنيق!!!

فكيف نعجب إذا سمعنا أنّ ابن عمر اعتزل هذه الجرائم كلها... ونأى بنفسه عن صراعات لا ينبغي لعاقل أن يشارك فيها؟!!

ابن عُمَر يزجُر الحجّاج عن إجرامه؟!

وحجّ ابن عمر تلك السنة... فأرسل الى الحجّاج:
أن اتّقِ الله... واكففْ هذه الحجارة عن الناس...
« فإنَّك في شهر حرام... وبلد حرام...
« وقد قدِمَتْ وفود الله من أقطار الأرض ليؤدّوا فريضة الله... ويزدادوا خيرًا...
« وإنّ المنجنيق قد منعهم عن الطَّواف...
« فاكففْ عن الرمي... حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة »!!!
فبطل الرمي حتى عاد الناسُ من عرَفات وطافوا وسعوا...
ولم يمنع ابنُ الزّبير الحجّاج من الطواف والسعي!!!
أقول... ها هنا مفتاح خطير من مفاتيح شخصية ابن عمر...
إنه يزجر الحجّاج... السفَّاح... زجْرا عنيفا...
فما معنى هذا؟!
معناه أنَّ ابن عمر لا يخشى أمثال هؤلاء المجرمين... مهما كانوا من الرذالة والتسلط والإجرام!!!
ولقد صَكَّ وجهه القبيح صَكًّا عنيفًا...
وأسرَّها الحجَّاج في نفسه... وانتقم منه ودبَّر لاغتياله!!!

الحجَّاج يعاود رمي الكعبة بالمنجنيق؟!!

فلمَّا فرغوا من طواف الزيارة... نادى منادي الحجّاج:
انصرفوا إلى بلادكم... فإنّا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد!!!
وأوّل ما رُمي بالمنجنيق إلى الكعبة رعدت السماء وبرَقَت وعلا صوت الرعد على الحجارة!!!

فأعظم ذلك أهل الشام وأمسكوا أيديهم...
فأخذ الحجَّاج حجر المنجنيق بيده فوضعه فيه ورمى به معهم...
فلمّا أصبحوا جاءت الصواعقُ فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلًا...
فانكسر أهل الشام...
فقال الحجَّاج: يا أهلَ الشام لا تنكروا هذا... فإنّي ابنُ تهامة وهذه صواعقُها وهذا الفتح قد حضر فأبشروا...
فلمّا كان الغد جاءت الصاعقة فأصابت من أصحاب ابن الزبير عدّةً...
فقال الحجَّاج: ألا ترون أنهم يُصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلافها؟...
وكان الحجر يقع بين يدي ابن الزبير... وهو يصلي فلا ينصرف!!!

مصرع عبدالله بن الزبير؟!

فلما كان قُبيل مقتله تفرّق الناس عنه وخرجوا إلى الحجَّاج بالأمان...
خرج من عنده نحو عشرة آلاف...
وكان ممّن فارقه ابناه حمزة وخُبَيب... أخذا لأنفسهما أمانًا!!!
وقاتل حتى قتِل!!!
فقتلوه يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة!!!
ولما قُتل ابن الزبير كبَّر أهلُ الشام فرَحًا بقتله...
فقالَ ابن عُمر: انظرُوا إلى هؤلاء... ولقد كبَّر المسلمون فرحًا بولادته... وهؤلاء يكبرون فرَحًا بقتله!!!

السلام عليك... يا أبا خُبَيْب؟!

« وبعث الحجّاج برأسه إلى المدينة... ثم ذُهب بها إلى عبد الملك بن مروان!!!

وأخذ جثته فصلبها على الثنيّة اليمنى بالحجون!!!

فأرسلت إليه أسماء: قاتلك الله!... على ماذا صلبته؟...

قال: استبقت أنا وهو إلى هذه الخشبة وكانت له!!!

فاستأذَنَتْه في تكفينه ودفنه... فأبى ووكّل بالخشبة من يحرسها!!!

وكتب إلى عبد الملك يُخبِره بصلبه... فكتب إليه يلومه ويقول: ألا خلّيت بينه وبين أُمّه!...

فأذن لها الحجّاج فدفنته بالحجون...

فمرّ به عبدالله بن عمر فقال:

« السلام عليك يا أبا خُبَيْب!...

« أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا...

ولقد كنتَ صوّامًا قوّامًا وصولًا للرَّحِم...

« أما والله إنّ قوما أنت شرهم لنعم القوم».!!!

أقول... نلتقط من كلمات ابن عمر قوله: لقد كنتُ أنهاك عن هذا؟!

إنّ ابن عمر شديد الكراهية للعبة السياسة... ويراها أسوأ مهنة يحترفها انسان!!!

وقيل: إنّ ابن عمر مَرَّ بابن الزبير وهو مصلوب بعد قتله فقال:

« رحمك الله أبا خُبَيْب!...

« إنّك كنت لصَوّامًا قوّامًا...

« ولقد أفلحت قريش إن كنت شرّها».!!!

الحجّاج ينتقم من ابن عُمَر؟!

«وفي هذه السنة... سنة ثلاث وسبعين...
مات عبدالله بن عُمَر بمكة...
ودُفن بذي طَوًى...
وكان سبب موته أنَّ الحجّاج أمر بعض أصحابه... فضرب ظهر قدمه بزُجّ رمح مسموم فمات منها...
وعاده الحجّاج في مرضه...
فقال: مَن فعل بك هذا؟!
قال: أنتَ... لأنك أمرتَ بحمل السلاح في بلد لا يحلّ حمله فيه...
وكان موته بعد ابن الزبير بثلاثة أشهر...
وكان عمره سبعًا وثمانين سنة!!!
وهكذا مات ابن عمر ضحية ألعوبة من ألاعيب ذلك الأفّاك السفّاح!!!
هذا عن شخصيته العامة... فماذا عن شخصيته الخاصة؟!

مقاتل شجاع؟!

«قالوا: «والصحيح أن أول مشاهده الخندق...
وشهد غزوة مؤتة... وشهد اليَرْموك... وفتح مصر... وإفريقية»...
أقول: ولكن لماذا لم يقاتل في الفتنة الكبرى؟!
لأنه لا يرى قتال المسلم للمسلم!!!

كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ

وكان كثيـر الاتباع لآثار رسول الله ﷺ...
حتى إنه ينزل منازله... ويصلي في كل مكان صلى فيه!!!

رجل صالح؟!

في حديث مضى قال النبي ﷺ لحفصة:
«إنّ أخاك رجلٌ صالح»...
أي أنّ ابن عمر... قمة في الصلاح!!!

يفتي الناس ستين سنة؟!

قال مالك:
«قد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يُفْتي الناس وقال:
«وكان ابن عمر من أئمة المسلمين»!!!
فهو بذلك عملاق من عمالقة العلم والفتوى والتقوى!!!

ترك المنازعة في الخلافة؟!

«وكان ابن عمر شديد الاحتياط والتوقي لدينه في الفتوى... وكل ما تأخذ به نفسه...
حتى إنه ترك المنازعة في الخلافة... مع كثرة ميل أهل الشام اليه... ومحبتهم له!!!

ماذا قال حين حضره الموت؟!

قال ابن عمر حين حضرة الموت:
« ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية » .!!!

كن في الدنيا كأنَّكَ غريب؟!

عن ابن عمر قال:
« أخذ رسول الله ... ﷺ ... يوما ببعض جسدي وقال:
« يا عبدالله ...
« كن في الدنيا كأنك غريب ... » الخ ...
وقد عاش ابن عمر كذلك الى آخر لحظة من حياته!!!
قال جابر بن عبدالله:
« ما منّا إلا مَن مالت به الدنيا ومال بها ...
« ما خلا عُمر ...
« وابنه عبدالله » .!!!

خلاصة شخصيته؟!

عاش ابن عمر ثنتي عشرة سنة قبل الهجرة في مكة ...
وعشْرًا بعد الهجرة في المدينة ...
أي أنَّه نشأ في أعظم مرحلة من مراحل الدعوة ...
شهد فترة البلاء في مكة وكان طفلا ... فشبَّ جادًّا غير عابث ولا ضائع ...

ثم هاجر مع أبيه... فشهد أحداث الدعوة كلها في المدينة حتى انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى!!!

فهو بنيان أُسِّس على التقوى والجهاد والصراع!!!

وكان في كلٍّ ذلك تحت أعين أبيه... الفاروق عمر... المهيب الشديد في دين الله...

فأخذ عن أبيه الشدّة في دينه...

ثم شهد ابن عمر خلافة أبي بكر...

ثم خلافة أبيه عمر...

ثم خلافة عثمان...

ثم خلافة عليّ...

ثم عهد معاوية...

ثم عهد يزيد بن معاوية...

ثم عاصر مصرع الحسين...

وعاصر حين بايعوا لمعاوية بن يزيد بالشام... ولعبدالله بن الزبير بالحجاز!!!

ثم بايعوا مروان بن الحكم بالشام...

ثم بايعوا عبد الملك بن مروان بالشام...

ثم عاصر سنة ثلاث وسبعين مقتل عبدالله بن الزبير بمكة... قتله الحجّاج!!!

وبعد شهور من مصرع ابن الزبير... كان موت ابن عمر بدسيسة من الحجّاج!!!

فما معنى هذا؟!

معناه أن ابن عمر عاش تجربة الاسلام من أولها إلى آخرها...

عاش فترة النبوة...

وعاش فترة الخلفاء الأربعة...

وعاش فترة بني أمية حتى عبد الملك بن مروان...

فهو بذلك بالإسلام خبير... ﴿ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1] !!!

شهد الاسلام في صفائه... في عصر النبوة...

وشهد الاسلام... في نقائه في عصر الخلفاء...

ثم شهده حين التوت مفاهيم بني أميّة يفسرونه حسب أهوائهم... ومن هناك كانت شخصية ابن عمر شخصية فذّة... تنفرد بخاصية عظيمة... هي معاصرة شجرة الإسلام من أول لحظة إنباتها... إلى حين ارتفاع أغصانها إلى السماء... وانضواء البشرية كلها تستظل تحت ظلّها الظليل!!!

هذا عن مدى خبرة ابن عمر بالإسلام... وإلمامه إلمامًا عمليًا بتفاصيل الإسلام...

وبحقيقة هذا الدين قبل أن تلعب به الأهواء!!!

أضف إلى ذلك أنه كان مرجعًا من مراجع الحديث...

رَوَى فأكثر... ورُوِيَ عنه فأكثروا... فهو صحابيّ جليل...

ومعاصر للإسلام في جميع مراحله...

ثم هو فقيه... ومحدّث... وعالم... ومُتَّبِع بعد ذلك...

استوفى كمالات الصُّحْبة فكان في أعلاها!!!

واستوفى كمالات اتباع النبيّ ﷺ فكان في منتهاها!!!

واستوفى آداب التحديث عن النبي ﷺ فكان في أسناها!!!

واستوفى كمالات الفضائل فكان في أرقاها!!!

---

(١) سورة فاطر، الآيه ١٤.

نِعْمَ الرَّجُلُ؟!

وأخيرًا... أقول: ما هي شخصية ابن عمر... في كلمَتَيْن اثنتين؟!

الجواب: ما قال النبيّ ﷺ... حين قصَّت حَفْصَة رضي الله عنها رؤيا أخيها ابن عمر عليه ﷺ... فقال:

«نِعْمَ الرَّجُلُ...

«عَبْدُاللهِ...

«لوْ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ...

«قال سالِمٌ: فكانَ عَبْدُاللهِ لا ينامُ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ قليلًا.»!!!

«نِعْمَ الرَّجُلُ»؟!!

كلمتان اثنتان!!!

فهرس

ماذا في هذا الكتاب ؟!

عن ابن عمر قال: رأيت في المنام كأنما بيدي قطعة إستبرق... ولا أشير بها إلى موضع من الجنة إلا طارت بي إليه... فقصصتها على حفصة... فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: «إنّ أخاك رجل صالح»!!

وقال مالك: «لقد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس...»!!

وقال جابر بن عبدالله: «ما منّا إلا من مالت به الدنيا ومال بها... ما خلا عمر... وابنه عبدالله»!!!

وقال نافع: «دخل ابن عمر الكعبة... فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم يا ربي... ما يمنعني من مزاحمة قريش على الدنيا إلا خوفك»!!!

وعن عبدالله بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ يوما ببعض جسدي وقال: «يا عبدالله... كن في الدنيا كأنك غريب... أو كأنك عابر سبيل...»!!!

إنه «حياة عبدالله بن عمر»!!!